بسم اللّه الرحمن الرحيم

والصلاة على نبيّه محمّد واله الطاهرين .

* (ومن كلام له (ع) في القضاء و القـدر) *

أجاب به سائلا سأله أكان مسيرنا الى الشام بقضاء من اللّه وقدر ؟ فقال (ع) : ويحك لعلك ظننت قضاء لازما وقدرا حاتما ولو كان ذلـك كذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد ان اللّه سبحانه أمـر عباده تخييرا ونهاهم تحذيرا و كلّف يسيرا ولم يكلّف عسيرا واعطى علـى القليل كثيرا ولم يعص مغلوبا ولم يطع مكرها ولم يرسل الأنبياء لعبا ولـم ينزّل الكتاب للعباد عبثا ولا خلق السموات والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظنّ الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار .

و الرواية جاءت بهذا اللون ان السائل لمّا قال له (ع) اخبرنا عـن مسيرنا الى الشام أكان بقضاء اللّه وقدره فقال (ع) والذى فلق الحبة وبرأ النسمة ما وطئنا موطئا ولا هبطنا واديا الاّ بقضاء وقدر فقال السائل عند اللّه احتسب عنائى فقال (ع) مه ايّها الشيخ لقد أعظم اجركم فى مسيركـم وانتم سائرون وفى منصرفكم وانتم منصرفون ولم تكونوا فى شيء من حالاتكـم مكرهين واليها مضطرّين فقال الشيخ كيف والقضاء والقدر ساقانا فقـال ويحك ــ الفصل الانف ــ الاّ ان بعد قوله وسقط الوعد والوعيد ــ قوله ــ

والأمر و النهى ولم تأت لائمة من اللّه لمذنب ولا محمدة لمحسن تلك مقالة عبدة الأوثان وجنود الشياطين وشهود الزور واهل العمى عن الصواب وهم قدرية هذه الأمة ومجوسها لأن اللّه تعالى امر عباده تخييرا ـ الى اخر الفصل ـ فقال الشيخ فما القضاء والقدر اللذان ماسرنا الاّ بهما فقال هو الأمر من اللّه تعالى والحكم : ثم قرأ : وقضى ربّك الاّ تعبدوا الاّ اياه فنهض الشيخ مسرورا وهو يقول :

أنت الامام الذى نرجو بطاعته يوم النشور من الرحمن رضوانا
اوضحت من ديننا ماكان ملتبسا جزاك ربّك عنّا فيه احسانا .

* (القضاء والقدر فى الكتاب والسنة والعقل) *

لا ريب ان القضاء والقدر يجب أن يكون على معانى وفقا لما طلع به العيان فقضاء بمعنى الحتم والقسر و موردة التكوينيّات على الاطلاق وقضاء بمعنى اصدار الرأى طبقا للمصالح المرآة وهذا لامنفذ للقسر فيه بمعنى ان يكون صدور العمل من العامل الجائيا لا اختياريّا حتى لو تعقبه العقاب على المخالفة والثواب على حسن الطاعة بلا فاصلة فأن خوف ترتب العقاب ورجاء تحصيل الثواب وان كانا حافزين على الفعل او الترك الاّ انهما لا يتدخلان فى نفس العمل فعلا وتركا ولا يمسّان الأختيار بأقل تصرف مثلا نرى الحكومات المقتدرة تأمر وتنهى بفعل شئ وترك آخر وتعد للطرفين جزاء فعليا لاتتشكك النفس فى تنفيذه العاجل ومع ذلك اذا أهابت بها دواعى اخرى حادت عن اوامر الحاكم المقتدر النشيط المنفذ لمقاصده ولم تحتفل بنواهيه حضورا منها للعمل المخالف ولو نالت جزاءه بلا فصل من ارتكاب المخالفة فترى الفرد يقدم على القتل المحظور اشدّ الحظر تنجيزا لرغبة نفسه مع علمه انه يشنق بفاصلة دقائق من بعد قيامه

بمهمّته فعمل القتل الصادر منه اختیاری خالص وقس علی ذلك کل جرم وجریرة یأتیان من الأفراد سواء أکان الجوّ محکوما بحکومة قادرة منفّذة ام کان الوضع فوضی لاحاکم فیه ولا حکیم وهکذا کل اصلاح واحسان تقوم بهما الأفراد سواء أکانا مشفوعین بوعد علیهما او توعید ام فعلهما الانسان بالرغبة المجردة فان هذا کلّه فی حوزة الاختیار ما دام الانسان بمقدور خلقته وقواه ان یفعل وان لا یفعل وان کان یعلم انه لو فعل او ترك لاثیب او لعوقب فان تحقق الغایة لا یسلب النفس اختیارها فی ظرف العمل السابق زمانا علی تحققها مادام یجد الانسان فی نفسه القدرة علی الفعل والترك فهذا کلّه مالا یصدق فیه الألجاء و القسر و التحتم اذن فالفارق بین الأفعال الاختیاریة والقسریة هو ان الفاعل حین شروعه بملابسة العمل ان کان یجد فی نفسه القدرة علی الفعل او الترك ولو انّه لو فعل او ترك لجرّ الی نفسه الهلاك المحقق فهو مختار فی فعله وترکه وان کان یجد نفسه لا تملك هذه القدرة اصلا کمن یجرّ فی مشیه جرا او تقبض یده قبضا فهو مقسور مقهور فی الفعل والترك جمیعا ..

و هناك ما یشتبه الحال فیه فیجب التنبیه علیه وهو ان التهدید بالأهمّ من متهدد قهّار علی فعل شیء او ترکه یجوز ان یکون عذرا للفاعل و التارك لو فعل خلافا او ترك فریضة واقعیة وان اطلق علیه الألجاء فبعنایة وتوسع نظیر ان یتهدد متهدد مقتدر انسانا فیأمره بضرب انسان آخر لیس له فی شریعة الحقّ ضربه وانه اذا لم یفعل قتله فلو ضربه لما کان فی ضربه ایّاه ملجئا فی نفس العمل لانه یجد فی نفسه القدرة علی الفعل و الترك جمیعا غایته انه اذا لم یضربه یقتله المتهدد علی تمرده وهذا امر وراء اختیار نفسه و وقوفها بین القدرة علی الفعل و علی الترك نعم قد لا یکون فی ضربه ایّاه مجرما لانه قد دفع بذلك ما هو اهمّ منه وهو القتل

عن نفسه ولا ريب ان القتل اهمّ من الضرب وقس على ذلك نظائره واشباهه ·

فالانسان التكويني في وسامته ود مامته وطوله وقصره وموفقيّته في اعماله ومحروميته ملجأ مقسور لا يجوز حمده ولا ذمّه ولا اثابته ولامعاقبته والانسان التكليفيّ في امره بفعل شيء او نهيه عنه مختار يحمد ويذمّ ويثاب ويعاقب وما أمره بفعل الشيء او نهيه عنه الاّ توجيه له وتقنين قانون لا يمسّ باختياره ادنى مساس ولا هو من القسر في قليل ولا كثير: هذا هو منطق العقل و الوجدان بالعيان ·

وامّا القرآن فلم يحد عن ذلك قيد شعرة وقد اعربت اياته الصريحة عن ذلك فمنه قوله تعالى (سورة الدهر الآية ٢ــ٣) انّا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انّا هديناه السبيل امّا شاكرا وامّا كفورا : وقوله(سورة الكهف الآية ٢٩) وقل الحقّ من ربّكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر: فهذه الايات ناطقة بصراحة ان اللّه لمّا خلق الانسان جعله اعدادا كاملا وأراه طريق سعادته وشقائه وعرّفه بهما ثم جعل شكره وكفره ايمانه والحاده الى اختياره ان شاء آمن وشكر وان شاء جحد النعمة وكفر ·

نعم هناك نقطة يجب التوجه اليها وهي ان افراد المكلفين ثلاثة اقسام قسم معتدل لا يتسفل بنفسه كما لا يريد بها التعالى فوق ما هي عليه و قسم يهوى الحقّ من صميم قلبه ويريد ان يكون محقا على كل حال فانيا في الحقيقة متهالكا في طلب اعلا مراتب الايمان وقسم متسفّل بنفسه لأقصى درجة لا يعير الحقّ طرفه ولا الحقيقة قلبه ولا الايمان لبّه ولا يعرف سوى الانهماك في ميول النفس ورغباتها ·

امّا القسم الأوّل فسبيله ما أشعرت به الآيات الآنفة الذكر من انّ اللّه سوّى خلقه وأراه طريق سعادته وشقاءه وعرّفه بهما و وكل ايمانه وكفره بعد

ذلك الى اختياره : وامّا القسم الثانی فسبيله ماتحدثعنه القرآن (سورة الكهف الآيات ١٠ و ١٣ و ١٤) اذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربّنا آتنا من لدنك رحمة وهيّئ لنا من أمرنا رشدا : انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى : وربطنا على قلوبهم : فهذه الآيات تشعر ان هؤلاء الفتية فريق من المكلفين ارادوا الاتصال بالحقّ والانغماس فی الحقيقة و وجدوا ان وصولهم الى هذا المقصد مع الهنات والعوائر القائمة فی افقهم والمحيط الذی يدرجون عليه شاق عسر فمدّوا ايديهم الى اللّه عن قلوب لهيفة ان يمدّهم من فضله بما هو خارج استحقاقهم عليه بعد ماجعل خلقهم سويا واعدادهم قويّا وانّه ان لم يفعل طال بهم السفر وربّما عاقتهم العوائر عن هوايتهم التی يريدون تحقيقها فی اقصر وقت ممكن وتلك هی الحقيقة المرموقة لهم وهنا وجد اللّه لزاما عليه من باب اللطف الذی هو اهله ومعدنه ان يسهّل لهم الطريق ويقلّل عنهم العوائر التی اعترضت فيها ومثل هذا اللطف مع مثل هذه الموارد يراه العقل ضريبة لازمة توفيرا للحقّ واهله المتعطشين له .

وامّا القسم الثالث فشأنه ما قال اللّه عنه (الأعراف الآية ١٠٠) تلك القرى نقصّ عليك من انبائها ولقد جائتهم رسلهم بالبيّنات فما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا من قبل كذلك يطبع اللّه على قلوب الكافرين : ولا ريب ان المعاند المصرّ على عناده بعد كشف وجوه المصالح والمفاسد له وسوق انواع الأدلة والبراهين على صدق ما هو راغب عنه وسقم ما هو منهمك فيه محارب للحقّ ولتمكينه من الاجتماع ولحكومته فيما بين الأفراد وكلّ من كان على هذا الملاك وجب سحقه ومحقه طردا للعضو الفاسد وابعادا لمن انهكته العلل وتمكنت منه الأسقام حتّى عاد لا يرجى له شفاء ولا يتوقع منه خير على اختيار منه فی كلّ ما فعل ومباشرة فيما جرّ لنفسه من مرض و عمد فی

تسفله وقصد فی محق وجوده : ولیس هذا القسم ولا ماقبله من عالم الالجاء والقسر بالمرة کما شرحناه .

وامّا ما یوهم الجبر فی الأفعال من آیات الذکر نظیر قوله تعالی (سورة الصافات الآیة ۹۶) واللّه خلقکم وماتعملون : فهو من السفسطة المفتضحة فان هذه الایة تابعة لما قبلها : قال : أتعبدون ماتنحتون واللّه خلقکم وماتعملون : ای من هذه الاصنام التی تعملونها والحال انتم وهی وکل موجودات الکون مخلوقون له : نعم هناك مالابدّ من تخصیصه او تقییده لامن طریق العقل وحده بل من طریق القرآن الوارد مثل قوله تعالی (سورة الدهر الآیة ۳۰) وماتشاؤن الاّ أن یشاء اللّه : فان ذلك لایجوز تعمیمه لکل شیء حتی فی موارد الحکم الشرعی وما یجد فیه الانسان نفسه مختارا اتمّ اختیار بدلیل انّا نری اللّه یقول ـ فضلا عمّا اسلفناه ـ (سورة الأسراء الآیة ۱۵) من اهتدی فانما یهتدی لنفسه ومن ضلّ فانّما یضل علیها ولا تزر وازرة وزر أخری وما کنّا معذّبین حتّی نبعث رسولا : فهو تعالی قد اناط اهتداء الانسان بنفسه ونسبه لاختیاره وجعل ما ینتجه الاهتداء من کسبه وهکذا الضلالة بسوء اختیاره لها و ما تعود به من ضرر فممّا جنته یداه وانّه لایعذّب کائنا الاّ بعد أن یتمّ الحجة علیه ببعثة الرسل وقیامهم بالدعوة الی آخر نفس وکل هذا ینافی القسر فی الأفعال والألجاء فی موارد التکالیف ولیس باستطاعتنا ان نسرد نظیر هذا المفاد من الکتاب العزیز لامتداده مع القرآن کله : ونکتفی من الاستدلال العقلی وما ورد فی السنة بما ذکره أمیر المؤمنین (ع) فی الفصل الذی صدّرنا به البحث فانه (ع) لمّا قال للسائل والذی فلق الحبة وبرئ النسمة ما وطئنا موطئا ولا هبطنا وادیا الاّ بقضاء وقدر جنّ جنون السائل من هذا الجواب حیث ترکز فی نفسه انه ملجأ فی کل ماصدر

عنه من حركة وسكون وقتل وقتال وان متاعبه وان حصلت من دون اختيار منه لأنّها بقضاء وقدر الآ انّها مأسوف عليها حيث لم يقابلها شيء من الثواب اذ لامجال للثواب على الامور القسرية فان قيل ان الاختيار والاجبار فی عمل الانسان امران وجدانيّان له والأمر الوجدانی فی غنی عن السؤال اذ ليس اقرب الی الانسان من وجدانه حتی يستفسر منه فكيف صحّ لهذا السائل وامثاله أن يسألا عن أمثال هذه النقاط الوجدانيّة كان الجواب ان هؤلاء المتدينين لمّا سمعوا مكررا ومتواترا بالقضاء والقدر فی الكتب الدينيّة وعلی السنة دعاة الدين غفلوا عن مراعاة وجدانهم و الركون اليه ظنّا منهم ان الدين له دخالة فی كل شيء حتی فی الوجدانيّات ولو كانوا من أهل الفطن الراقية والأفهام النافذة لوجدوا فی سؤالهم هذا شذوذا كشذوذهم لو سألوا ان الماء هل يروی شاربه والزاد هل يشبع طاعمه فان كل انسان حين ملابسته للعمل يعلم انه مختار فيه او مقهور عليه بلاريب وهذا من المطالب التی يحجّ بها الجبريون فان قالوا ان واجد الاختيار فی نفسه واهم بل هو ملجأ فی عمله الذی يراه اختياريا قلنا لهم فهل ترونه واهما فی احساسه بالرواء بعد شرب الماء و بالشبع عقيب اكله للطعام ومن البعيد جدّا ان يروه واهما بهذه المثابة الآ اذا كابروا و المكابر لا كلام معه .

لكنه (ع) حلّل له المقصود من كلمة القضاء والقدر فی امثال المورد المسؤل عنه فقال له : متبرّما : من فهمه السطحی و علمه القشری ـ مه ـ ايّها الشيخ لقد أعظم اللّه اجركم فی مسيركم وانتم سائرون وفی منصرفكم وانتم منصرفون ولم تكونوا فی شيء من حالاتكم مكرهين واليها مضطرين : فتعجب الشيخ من هذا الجواب ورأی فی نفسه انه مناقض لما سلف من قوله ما وطئنا موطئا ولا هبطنا واديا الآ بقضاء وقدر فقال كيف نؤجر

القضاء والقدر قد ساقانا وكيف لا نكون مكرهين ولا مضطّرين والقسر والألجاء قد اكرهانا واضطرّانا فقال (ع) ويحك لعلك ظننت: من قولى بقضاء وقد ر: قضاء لازما: لا اختيار للعبد معه: وقدرا حاتما: لامجال معه لارادة النفس: ولو كان ذلك كذلك: وهو بطلان الاختيار وعقم الأرادة، لبطل الثواب: على الطاعة: والعقاب: على المعصية: بل لا طاعة مع الألجاء ولا معصية فلا تصل النوبة الى الثواب والعقاب مضافا الى أن المثوبة والعقوبة لا تصحّان الاّ مع الاختيار والقصد القائم بالأرادة الحرّة: وسقط الوعد: بالجنّة: والوعيد: بالنار اذ لامجال مع الالجاء للوعد والوعيد فان المنظور بهما عند ما يقالان تحريكهما من عاطفة الطرف فاذا كان الطرف مأخوذا على يده سقطت موضوعيتهما رأسا: والأمر والنهى: لانهما مع الألجاء يكونان من قبيل تحصيل الحاصل فان طرف الأمر ملجأ لفعله وطرف النهى مقسور على تركه، ولم تأت من طريق العقول، لائمة من اللّه لمذنب، لان الذنب الصادر عنه قسرى، ولا محمدة لمحسن، لان احسانه ليس من ارادته وانّما صدر منه الجاء، تلك مقالة عبدة الأوثان: أى الجهلة الذين جوّز لهم جهلهم العريق ان يعبدوا ما يصنعونه بأيديهم، وجنود الشياطين، المغلوبين على عقولهم، وشهود الزور الذين يقولون على اللّه مالم يقله وان قال كلمة القضاء والقدر فلم يرد منها مافهموه وأجروه فى كل مورد، واهل العمى عن الصواب: من هم اولئك فقال (ع): وهم قدرية هذه الامة ومجوسها، ان اللّه سبحانه أمر عباده، فى كل ما امرهم به بلا فرق بين أمر و أمر: تخييرا: مصدر بمعنى اسم الفاعل اى أمرهم مخيّرا اى موكلا ذلك الى اختيارهم والذى منه هو اراءة الطريق وتمييز المصلحة عن المفسدة والوعد بالثواب لمن يختار الحسن والوعيد بالعقاب لمن يريد القبيح، ونهاهم، عن فعل الباطل، تحذيرا، اى محذّرا لهم من عواقبه، و

كلّف يسيرا : ولم يعنت بمخلوقاته : ولم يكلّف عسيرا : واعطى : تفضلا منه : على القليل من العمل : كثيرا : من الثواب : وهذا دليل آخر على الاختيار فان الألجاء لا ثواب معه فضلا عن الاكثار منه لفاعل القليل من الخير فلو لم يكن فعله اختياريا لما جاز اصل الثواب ولا التفضل بأعطاء الكثير منه : ولم يعص مغلوبا، ولكن ليوسّع المجال للعبد ويرخى له حتّى اذا عاقبه عاقبه عن حجّة تامّة اقامها عليه باعطاءه الحريّة من نفسه مع التحذير بوخامة العاقبة ،ولم يطع مكرها : بصيغة اسم الفاعل : لمن اطاعه بعمل الطاعة بل أطاعه الممتثلون عن اختيار منهم خضوعا لمن انعم عليهم ومن لا يريد بهم الاّ خيرا لأنفسهم فی العاجل والاجل : ولم يرسل الأنبياء الكثيرين على طول الاجيال عبثا ولا: لعبا : بل ارسلهم لينشروا دعوته بين الناس وتتمّ الحجة بهم على المكلّفين حين يريد اللّه مؤاخذة العصاة منهم واثابة المطيعين ومع قسرهم على فعل الطاعة وعمل المعصية يكون ارسال الرسل فعلا لاغيا اذ لا ثمرة تترتب عليه مع الالجاء : ولم ينزل الكتاب للعباد عبثا: لأنّ الكتب المنزلة بمنزلة المذكر الدائم للمكلّفين بما يراد منهم ومع الألجاء لا أثر لذلك بالمرّة لان التذكير انما ينجع فی المختار الذی يجوز فی حقه ان يفعل وان لا يفعل بأرادته فيكون تذكيره من العوامل المحركة له امّا اذا كان منساقا بالقهر الى الفعل او الترك انتفت فائدة ذلك فی حقّه : ولا خلق السماوات و الارض وما بينهما باطلا: ومع الالجاء فی الافعال تكون خلقة البشر باطلة اذ ليسوا حينئذ الاّ فی حكم الجمادات التی تتسخر بارادة الغير فان الالجاء معناه ذلك : وهنا استوضح السائل امامه (ع) فقال : فما القضاء والقدر اللذان ما سرنا الاّ بهما : فقال هو : اصدار : الأمر من اللّه تعالى : والحكم : بالمسير ونحوه كما تأمر الموالی وتحكم على عبيدها بالذهاب الى جهة من الجهات او فعل شیء من

الأشياء : ثم قرأ : الآية : وقضى ربّك الاّ تعبدوا الاّ اياه : اى انه امر و حكم بلزوم عباد ته ولو كان الجاء فى البين لما رأيت فى الناس من هو كافر به فأيمان بعض وكفر بعض من اوضح الأدلة على جعل الناس مختارين فى اعمالهم بل و نيّاتهم بعد اراءة الطريق لهم وحثّهم على فعل الحسن وزجرهم عن ملابسة الباطل : فنهض الشيخ مسرورا : اذ لم تذهب متاعبه هدرا ولا عناؤه لاغيا ٠

* (وقال (ع) فى علل الأحكام الشرعية) *

فرض اللّه الايمان تطهيرا من الشرك والصلاة تنزيها عن الكبر والزكاة تسبيبا للرزق والصيام ابتلاء لأخلاص الخلق و الحجّ تقوية للد ين والجهاد عزّا للاسلام والأمر بالمعروف مصلحة للعوام والنهى عن المنكر ردعا للسفهاء وصلة الرحم منماة للعدد والقصاص حقنا للدماء واقامة الحدود اعظاما للمحارم وترك شرب الخمر تحصينا للعقل ومجانبة السرقة ايجابا للعفة وترك الزنا تحصينا للنسب وترك اللواط تكثيرا للنسل والشهادات استظهارا على المجاحدات وترك الكذب تشريفا للصدق والسلام أمانا من المخاوف و الأمانة نظاما للاُمّة والطاعة تعظيما للامامة : فهنا فصول :

(١) الايمان (٢) الصلاة (٣) الزكاة (٤) الصيام (٥) الحج (٦) ـ الجهاد (٧) الأمر بالمعروف (٨) النهى عن المنكر (٩) صلة الرحم (١٠) القصاص (١١) اقامة الحدود (١٢) منع المسكرات (٣) تحريم التلصص (١٤) المنع عن الزنا (١٥) حرمة اللواط (١٦) اقامة الشهادات (١٧) ترك الكذب (١٨) افشاء السلام (١٩) الأمانة (٢٠) الطاعة ٠

(١ ـ الايمـــان)

اعتبر الامام (ع) كون الشرك دنسا وقذارة ونجاسة للانسان العاقل وانما ايمانه طهارة له من هذا القذر والحق هو ذلك فان عقل العاقل يزمّ به بعد ان يعترف بصانع الكون ان يجعل بعض الكائنات شريكة له في الخلق نفسه او في ادارته اوالقيمومة عليه لأن ما سوى واجب الوجود بحكم العقل شيء طفيف لاقيمة له ومهما كان عظيما في مادة وجوده كالمجرّات و الشموس مثلا فان الكائنات المسخّرة للصانع ـ وكلها مسخرة له ـ لاتملك في قبال حوله وطوله وارادته قليلا من الحول و الطول والارادة فاذا رأى الانسان ان شيئا منها يساهمه ويشاركه في ذلك فقد انحرف عن مجرى عقله ولم يعد يعرف ربّه فهو شاذ بعقله عن مجموعة العقول والعقلاء خارج عن حوزتها مطرود عن جامعتها غريب الجنس بالنسبة اليها ومتى تركزت خاطرة الشرك فيه راح بطبيعة حاله يدعو اليها ويكثّر المعتنقين لها و المعتقدين بها واىّ دنس اعظم من هذا الدنس الذى اذا ارخى له لوّث جانبا كبيرا من الاجتماع فاذا توجه الى غلطه وتجافى عن خطته واعتقد بما هو الحقّ من انحصار المؤثر الحقيقى بواجب الوجود صانع العالم و القيّم عليه فقد طرد عن نفسه تلك الأدناس وتجرد عن تلك الأقذار وطهّر نفسه بالايمان من تيك النجاسة وعاد لا يدعو الاّ الى الحقيقة ولا ينقم الاّ على الانحراف في العقيدة وهذا هو الايمان المطهّر شرعا و عقلا .

وللامام (ع) فصل رائع في تعريف الايمان والكفر و الشك حيث قال : الايمان على اربع دعائم على **الصبر** و اليقين و العدل و الجهاد والصبر منها على اربع شعب على الشوق والشفق و الزهد والترقب فمن اشتاق الى

الجنّة سلا عن الشهوات ومن اشفق من النار اجتنب المحرمات ومن زهد فى الدنيا استهان بالمصيبات ومن ارتقب الموت سارع فى الخيرات: و اليقين منها على اربع شعب على تبصرة الفطنة وتأول الحكمة وموعظة العبرة وسنة الأوّلين فمن تبصر فى الفطنة تبينت له الحكمة ومن تبينت له الحكمة عرف العبرة ومن عرف العبرة فكأنما كان فى الأوّلين ٠

والعدل منها على اربع شعب على غائص الفهم و غور العلم وزهرة الحكم ورساخة الحلم فمن فهم علم غور العلم ومن علم غور العلم صدر عن شرائع الحكم ومن حلم لم يفرّط فى امره وعاش فى الناس حميدا ٠

و الجهاد منها على اربع شعب على الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر والصدق فى المواطن وشنآن الفاسقين فمن أمر بالمعروف شدّ ظهور المؤمنين ومن نهى عن المنكر ارغم انوف المنافقين ومن صدق فى المواطن قضى ما عليه ومن شنأ الفاسقين وغضب لله غضب الله له و أرضاه يوم القيامة

والكفر على اربع دعائم على التعمق والتنازع و الزيغ و الشقاق فمن تعمّق لم ينب الى الحق ومن كثر نزاعه بالجهل دام عماه عن الحق ومن زاغ ساءت عنده الحسنة وحسنت عنده السيئة وسكر سكر الضلالة ومن شاق وعرت عليه طرقه وأعضل عليه امره و ضاق عليه مخرجه ٠

والشكّ على أربع شعب على التمارى و الهول و التردد و الاستسلام فمن جعل المراء ديدنا له لم يصبح ليله ومن هاله ما بين يديه نكص على عقبيه ومن تردد فى الريب وطأته سنابك الشياطين ومن استسلم لهلكة الدنيا و الآخرة هلك فيهما ٠

وله (ع) فى هذا المعنى كلمة قصيرة حيث قال علامة الأيمان ان تؤثر الصدق حيث يضرّك على الكذب حيث ينفعك وان لا يكون فى حديثك فضل عن عملك وان تتقى الله فى حديث غيرك: وهاك شرح الفصلين :

امّا ما يخصّ الفصل الأول فيقال فيه : ان الايمان بالشيء من طريق اللغة هو الاعتقاد به وفى عرف الدين هو الاعتقاد بالله وبما ارسل وانزل وقرّر وقدّر وفى نظر العارف هو الأذعان لذلك مضافا الى الألتزام بأدب الشريعة التزاما يستلزم تطهير النفس ورياضتها على كلّ خير حتى تجيء مثالية من طراز واقعىّ مرموق .

والأصول الرئيسية المقوّمة للايمان فى نظر الامام (ع) اربعة الصبر و اليقين والعدل والجهاد وبيّن (ع) منظوره من الصبر الذى اعتبره دعامة رئيسية للايمان فقال : ان قوامه ايضا على اربع شعب على الشوق : وهو فى اللغة ميل النفس بقوة نحو الشيء : والشفق :وهو انشمارها عنه لخوف او حذر واحتياط : و الزهد: وهو استحقاره وعدم الاعتناء به : و الترقب : وهو انتظاره والتشوف اليه : ثم شرح منظوره بكل واحد من هذه الاربعة فقال ان المراد بالشوق هو ميل النفس واندفاعها بقوة الى تحصيل الجنّة التى اكثر الله سبحانه من الترغيب اليها والاستمتاع بلذائذها لامطلق ميول النفس واشواقها فان الاكثر من ميولها مادى ساقط منحط الوزن فى مذاق الدين فكيف يكون من مقومات الايمان و دعائمه : ثم لا ريب ان الشوق اذا تمكن من نفس الانسان دفع بصاحبه الى تهيأة مقدمات الوصول لما اشتاق اليه ومرابطة الموقف لاستحصال النتيجة ولا يكون ذلك الاّ من الانسان الصابر المرابط .

ثم يسأل فيقال ما الملازمة بين الشوق الى الجنة و بين سلسوان الشهوات فانه (ع) لم يقيد الشهوة بكونها من ممنوعات الشرع حتى يقال ان تحصيل الجنة ينافى ارتكاب الشهوة المحرّمة والجملة الوافرة من شهوات النفس ليست من المحظورات الشرعية فنقول ان فى تعبيره (ع) بالسلوان نكتة دقيقة جدّا وخلاصتها ان الانسان المشتاق بمرابطته

لاستحصال النتيجة يغفل ويلهو عن كلّ تعب جسمى وعناء فكرى وخسارة مادية تلحقه فى ظرف هذه المرابطة ويعود من طريق شواغل الشوق غير ملتفت الى كلّ ذلك ومهما كثر وزنا وكبر حجما حتى انه بعد استحصال النتيجة واستقرار نفسه من ناحية ما كانت مشتاقة اليه اذا حاسب نفسه حسابا دقيقا على ما تحمّل من أجلها فى هذه المواقف والتفت الى متاعب جسمه وعناء فكره وخساراته وجد انّه قد ضحّى بالشيء الكثير لكن عن عدم شعور به فى وقته لأنّ داعى الشوق أنساه ذكر كلّ ذلك و أسلاه عنه فالمنظور بالسلوان هو مجانبة الشيء لا لأنه محظور ممنوع بل لأن ما هو اقوى منه داعيا غطّاه اهمله فى عين صاحبه : اذن فهذه عليه السلام من قوله فمن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ان المكلّف الذى تحفزه نفسه الى تحصيل ما وعد الله به من الجنّة بفعل محصّلاتها والسعى وراء محققاتها يلهو بمرابطة هذا الموقف الذى شغل نفسه عن كلّ شهوة اخرى ولو كانت مباحة فى الشرع اذ لا يجتمع فى النفس شوقان متخالفان فى الجهة قطعا ومع فرض ذلك فلابد من مغلوبية احدهما بالآخر و انكسار ضعيفهما فى النفس بكسر اقواهما عندها .

وفى هذه الجملة ايماء ايضا الى انّ التوسع فى الشهوات المباحة لا يخلو من حزازة شرعية عقلية لما يوجب ذلك من التبذّل المزرى بقدر الانسان لا فى متانته فقط بل بنشاطه الفكرى ونفاذه الدينىّ فان العاقل النشيط والدينىّ النافذ عليه لعقله ودينه واجبات لا تحصى فان قام بلازمها شغله وقته المأخوذ منه عن ذاك التوسع وان اغفلها وأهملها فقد ضيّع كثيرا يعتدّ به بتافه لا قيمة له .

وهكذا شرح منظوره من الأشفاق وانّه لا يريد به مطلق الخوف فان الخوف الملازم للانسان فى كلّ شيء ومن كل واهمة عيب كبير يقوده الى

الجبن المذموم شرعا وعقلا بل يريد الخوف من النار التى توعّد اللّه بهـا وبيّن من صفاتها المدهش للعقل المعجز للطاقة البشرية ولا ريب ان النار انما تكون جزاء من ارتكب المعصية المحققة والوظيفة المعلومة التوظيـف ولذلك قال (ع) اجتنب المحرّمات اى ما ثبت تحريمه من الشرع يجـب اجتنابه واذا فعله المكلف عالما عامدا استحق على فعله النار وانت تـرى كم من الفاصلة بين قوله سلا عن الشهوات و قوله اجتنب المحرمات فـان السلوان عن الشهوة لا يعطى حرمة ارتكابها بل يعطى الغفلة عنها بقاهر زواها عن النفس فلم تلتفت اليها امّا كلمة الاجتناب فانّها تعطى ذلـك ولهذا جعل متعلقها المحرّمات التى يجب تركها بلا تردد والتى يقـود ارتكابها الى ملابسة النار المتوعد بها على لسان اللّه تعالى .

وكما انّ المشتاق يأيحاء من شوقه يرابط موقفه بتهيأة ما يحصّل لـه مراده والمرابطة المذكورة ممّا تدعو الى الصبر كذلك الخائف من النـار يأيحاء من اشفاقه هذا يرابط موقفه حتّى يحصّل من طريقه ما يؤمّن لـه خوفه واشفاقه وهذه المرابطة كتيك من حيث الجنس وانها تدعو الى الصبر والتحمّل .

ثم يسأل فيقال انّ الانسان الطبيعى الذى نلمسه ونشهده موجـود اقلّ طرف من النار يزعجه بل قد يسبّب له الموت احيانا ومثل هذا الموجود انما يقصد بخلق النار له تعذيبه وتعذيبه بالنار يحصل بجمرة لا هبة يمسّ بها بدنه او حديدة محماة يكرّر الصاقها وايصالها الى اطرافه وفى ذلك من الازعاج له ما يعرفه ويعترف به كل احد فما هذا التفصيل الوارد فى وصفها كتابا وسنة بما لا حاجة اليه قطعا فان قوله تعالى كلّما نضجـت جلودهم بدّلناهم جلودا غيرها يتحقق بهذه النيران العادية المتداولة فانها تنضج الجلود بل تحيل العظام الى رماد .

و الجواب ان الانسان مع علمه بان الموسى اذا بعجه فى مقتل قضى عليه وان السكين الصغيرة تفقده حياته بالأجهاز عليه ولكن مع ذلك نراه يرعب بالسكّين الكبيرة اكثر وبالسيف القاطع ازيد وعلى مثل هذا اذن فضخامة المادّة المزعجة او المهلكة لها تأثير قوىّ فى النفس بما يرعبها عن مقاومة اىّ عمل هدّدت به على تركه فالذى يهدّد طرفه بانه سيجعله هدفا للرشاشات القويّة او لألقاءه فى البحر او ايقاد نار عظيمة والقاءه فى وسطها انّما يستهدف به اثارة الرعب الزائد فى نفس المقابل بحيث تؤثر عليه هذه الكلمات بالفاظها قبل تحقّق معانيها فى الخارج بخلاف ما لو هدّده بما هو اقلّ من ذلك وان كان الأدون منه محصلا لغرض الأزعاج او الاتلاف الاّ انه فاقد للرعب الذى تولّده تلك التهديدات العارمة و المقصد كلّه من التهديد الذى يراد منه التأديب قائم بالأرعاب الذى يحصل منه فكلّما ازداد الارعاب اعطى اثرا قويا من نفسه فى الطرف الذى يراد كفّه وزجره عن فعل من الأفعال ومقارفة بعض الأعمال .

ولم يتعاظم سبحانه بوصف النار بمالا واقعية له غدا اكتفاء بقوّة الارعاب الحاصل من التهديد العنيف بل سيكون منه ماوصف عينا بلاخلاف فان المزعج مهما تضخمت مادّته اثّرت رؤيته فى النفس تأثيرا قهّارا فان العين لتنبو عن مشاهدة النار الممتّدة على طول مسافة واسعة والتى يعترك بعضها ببعض من شدة تكالبها مع تصديق النفس بأن موجة من لهبها كافية لأحراق فريق من الناس اذن فمادة العذاب كلّ ما اتسعت وجودا وعظمت وصفا اثّرت فى النفس آثارا مزعجة تزع الطرف عن ملابسة مايراد فعله او تركه ولهذا نرى الحكّام لأجل تثبيت اقدامهم فى الحكم يظهرون من قواهم ما يأخذ بالنفس رعبا طلبا لأصاخة الناس وسيادة الاستقرار عليهم : فان قيل رؤية ما وصفه اللّه من سعة نار الآخرة وتكالبها

انما تكون بعد فناء هذه النشأة و لا تخويف على فعل او ترك الاّ فيها اذ لا تكليف فى النشأة الثانية وانّما هى دار ثواب او عقاب فلم يبق وازعا عن ارتكاب المساوى التى كلّف العبد باجتنابها الاّ وصف العذاب الشديد لا اكثر قلنا واقعية العذاب غدا وان لم تثمر ثمرها الواقعى الاّ للانسان المتقى الذى نزّل غده من حاسته منزلة يومه الذى واجهه بكل وجهه الاّ انّ رؤية العذاب العظيم فى ظرفه ممّا يزيد فى حسرات العاصى ويزداد بذلك ألما فى روحه فوق ألمه فى جسمه كما تزداد به بهجة المطيع فوق ابتهاجه بالنعيم الذى حصّله وتضخم قيمة النعيم فى عينه اكثر من قيمته الواقعية لنفسه فان المقارنة بين الأضداد ممّا تظهر هويّاتها اكثر من اظهار كل ضد لنفسه وبمفرده وفى ذلك من الفوائد مالا يخفى :

وهكذا أبان (ع) مقصوده من كلمة الزهد فى قوله ومن زهد فى الدنيا استهان بالمصيبات بأنه ليس المقصود من الزهد الذى هو استحقار الشىء والاستهانة به هو تحقير الدنيا بما هى دنيا فان الدنيا فى كلّ اشيائها ـ اذا انحذفت عنها عوارضها الطارئة التى ليست من خواصّها اللازمة لها ـ ذات بهجة يحقّ الاستمتاع بها والتزود من لذائذها وما انتصبت عرصاتها عبثا حاشا خالقها من ذلك لكن البشر الذى خلق دّيارا لها لم يراع حقّها ولا كيفية الاستفادة منها فعاث وعبث وغيّر وطوّر بما أحال الحياة فيها من أشكل المشكلات حيث كثر التكالب والتغالب بين كافة عناصرها ولذلك اعطت بهجتها من يدها وعادت بلاء على أهلها وصار من وظيفة اللبيب فيها ان يتباعد عنها حفظا لكرامته واعتزازا بسلامته وطبعا اذا عرفها بهذا اللون استهان بها واذا تميّزها دار تكالب و تغالب وانها اصبحت كميدان حرب لا يخلو حضّاره من الأصابات المؤلمة ولو كانوا احياء بأرواحهم ومن الحوادث الجارحة على بقاء من اعمارهم

خفّت عليه واردات مصائبها وتواتر خطوبها لعلمه ان ذلك من خواص الحياة فيها وانّها لا تنفك عنها بالمرة ٠

وهذا بخلاف من اعتدّ بالدنيا واعتبرها دار حياة ومجال استمتاع فانه اذا ناشته شوكة تأثر لها او لسعته بقّة انزعج منها وهذا هو الذى يطول عذابه فيها وتكثر المنغّصات عليه من طريقها وتعود الحياة عليه من اصعب الأشياء تحملا وابطئها هضما فكم من فرق بين ذاك وهذا فى اصل الحياة التى يعيشانها جميعا : لكن لا ريب ان الزهد لا يحصل للانسان عفوا بل لا بد فى طريقه من اعتبار قوى ورياضة نفس وذلك مايدعو الى الصبر و سعة الحوصلة ٠

وهكذا شرح (ع) منظوره من قوله ومن ارتقب الموت وهو انتظاره فى كل آن آن من ساعات العمر بأنّه ليس المراد هو تنغيص الحياة على مافيها من منغصات أخر على الانسان فان ذلك يدعو الى الاستخفاف بالأعمار وعدم الاعتناء بها فى كسب اى شئ يفرض والحياة لم يعطها خالقها لأن تكون سبب انزعاج وتكاسل بل المراد هو ان الانسان دائما يجب عليه ان ينظر خوارم الحياة وان كان قوىّ العضلات مستجمع القوى حتى يجدّ الجدّ كلّه فى انهاء مارصد نفسه له من مكسب مخافة ان يوافيه اجله وهو بعد لم يقض حاجة من حاجات نفسه المشروعة التى ألزمه عقله بها او دينه بفعلها مستشهدا على خوفه هذا بما يراه من الاخترامات المتنوعة فى الحياة وان الموت لاضمان له على ابن آدم فكما قد يعمر مأة سنة فأنّه قد يموت جنينا فى بطن امّه وهلّم دواليك : فاذا كانت الأعمار بهذه المقولة كان لزاما على الموظف ان يسعى فى انهاء وظيفته قبل حلول منيته ليستفيد من جدّه سعده ومن كدّه أجرته وهذا هو الذى يجعله مسارعا فى الخيرات غير متكاسل عن فعلها ولا محيل بها الى

اوقات لا يعلم بقائها له ولا استمرار حياته او قدرته عليها حينذاك .

ولا ريب ان ادامة الالتفات بالنفس الى خوارم الحياة ومواصلة السعى فى طريق انهاء الوظيفة تدعوان الى رضوخ الانسان وصبره و دوام يقظته لمصلحة آجله و عاجله .

فان قيل ان الحياة على كلتا حالتيها من فرضها خالية من حزازة التكالب والتغالب و واجدة لذلك تستدعى اطالة العمر للانسان حتى يستطيع ان يستفيد منها بغية روحه فانها امّا ان تكون مجال اختبار وامتحان فكلما طال وقت الامتحان كان اجدى بحال من يراد امتحانه بتوسعة الوقت له وعدم التضييق عليه وفى ذلك نوع احسان به وامّا ان تكون من مجالى الاستفادة والاستمتاع فلاريب ان بسط الوقت امام الاستمتاعات خير من قبضه ولمّه : فلماذا لانرى من مصاديق ما قلناه الاّ الطرف القليل ممّن قسم له ان يعيش ثمانين او تسعين او مأة سنة بسلامة فى مزاجه واعتدال من قواه .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فنقول لا ريب ان الانسان فى اصل خلقته لا يحمل نقصا فى اجهزته ولا تلوّيا فى اعداده لما يراد به من بنيان مدينته الفاضلة لسعادة نفسه وسعادة الناس معه ما مشى على الطريقة الحسنة لكنّه لمّا تنزّى على هذه الأرادة وتفلّت على الشرائط اللازمة فحصل من طريق ذلك تكالب على الحياة وتغالب على مزاياها المتخيلة وانتشرت بين الأفراد هذه الروح الصناعية المنحرفة تهدم بنيان تلك المدينة من حينه واخذت الدنيا لنفسها صبغة اخرى وراء صبغتها التى اريدت بها وعيّنت لها وبأوّل نشأة الانسان اقترن هذا الانحراف لذلك تجد العقول أن اطالة الأعمار لأمثال هذه الموجودات من الأضرار التى لا تتحمل ولا تطاق الاصاخة عليها مع مثل هذه الأرواح المتكالبة المتغالبة العابثة جهدما تستطيع :

كيف وهى تتمنّى زوال اكثر الأفراد عن ساحة العيان خلاصا من تهجّماتها العارمة ٠

نعم هى تودّ طول العمر وتهواه من كلّ قلوبها للمتقين المحسنين والمثاليين الأبرار وان كانوا من ندرة الوجود بمكان سحيق والحقّ معها فى تمنّياتها تلك وودّها هذا لكنّ من بيده اجابة هذه الدعوات لم يجبها الى ما رغبت فى الطرفين وجاءت المصالح المندكة فى ذلك خفيّة عليها بل مستورة الى الأبد :

ولعلّ السرّ الآنف فى المنحرفين هو الذى جرى عليه قضاء اللّه فى قصر أعمار الأشرار فى الأعم الأغلب خلاصا من شرّهم وفى عدم اطالة اعمار الأبرار ضنّا بهم عن معاناة الشدائد وتقريبا لهم الى السعادة الأبديّة : اذن فليس مدّ فاصلة الأمتحان باكثر من هذه الفواصل التى شهدتها البشرية بمصلحة لا فى حقّ الظالم الذى لا يزداد على مرور الأيام الاّ عتوّا ولا فى حقّ المظلوم الذى انهكته التعديات عليه حتى احالت منه انسانا مختبلا لا يدرى ماذا يصنع ولا توسيع مجال الاستمتاع لهاته النفوس الشريرة ازيد ممّا عبثت فيه بحقّ وهذا غاية ما تتمكن ان تهتدى اليه العقول فى هذا الباب و اللّه هو الملهم للصواب ٠

وقال (ع) فى تتمة ما سبق و اليقين على اربع شعب على تبصرة الفطنة وتأوّل الحكمة وموعظة العبرة وسنّة الأولين فمن تبصر فى الفطنة تبيّنت له الحكمة ومن تبيّنت له الحكمة عرف العبرة ومن عرف العبرة فكأنما كان فى الأولين ٠

يقال أيقن بالشىء اذا جزم به ولم يتخالجه شك فيه والتبصر هو التعمق فى النظر والدقّة فى التحسّس والفطنة سرعة التوجه الى المطلب والحكمة هى البحث عن حقيقة الشىء بالدليل العلمى و النظر الفنىّ

العميق والتأوّل هو ارجاع الشيء الى أوله ومرجعه والموعظة هى بذل النصيحة بالحقّ لمصلحة الموعوظ والعبرة هى النازلة تنزل بالغير فيكون من حقّها ان تصير مقياسا يقاس عليه بأخذ الحائطة من امثالها وسنة الأولين ما كان عليه السلف الماضى .

امّا قوله فمن تبصر فى الفطنة فلا ريب ان افراد البشر متفاوتون فى كمّ الفطنة وكيفها ولا يجوز لنا أن نعمّم المطلب حتى فى ناقص الخلقة لندرة الفرد الفاقد للفهم بالمرة لكن نتسائل فنقول هل هذا التفاوت ايضا خلقى بأن فاوت اللّه بين افراد البشر فى اصل مادة الفهم فكان بعضهم اكثر فهما من بعض وبعضهم اسبق فطنة من البعض الآخر فى اصل الخلقة او أن هذا التفاوت انّما يكون من حسن تربية الانسان لنفسه ومزيد توجهه لكسب الكمال : ولا شكّ ان الفهم قابل للزيادة والنقصان من هذا الطريق الذى اشعرنا به .

والحق ان هذا التفاوت وليد حسن التربية ومزيد التوجه بدليل انّا نرى القرويّين البعيدين عن هذا الملاك ماداموا منقطعين الى ريفهم يعيشون من ناحية فهومهم عيشة بسيطة محفوفة بالأوهام والخرافات لانصرافهم عن أفهامهم الاّ فيما يعانونه من مشاكل حياتهم لكنّهم اذا فارقوا هذا المحيط واتّجهوا للدراسة فى الحواضر ومارسوا اهل العلم اخذت افهامهم تتصاعد شيئا فشيئا حتى يخرج من بينهم نوابغ لعقولهم وزنها المرموق فى الانظار الصائبة والابتكارات العلمية وان كان ناشىء المدينة اسبق منهم نبوغا اذا توجه التوجه التام لمقصده ذلك لأنه من صغره مارس الطبقة المثلى من واجدى العقول سواء كانوا اهله الذين يكبر بينهم ام سائر المتحضرين الذين يختلط بهم .

وعليه فالذى يوجد التفاوت فى الأفهام كمّا وكيفا هو كثرة التوجه الى

النفس والرجوع اليها وزيادة ممارستها وقلّة ذلك والفطنة هى وليدة الممارسة ولذلك نرى الشحّاذين والعيّارين على بعدهم عن الكمالات الروحية من اهل الفطن العالية فيما يخصّ عملهم لكثرة ممارستهم لأذهانهم فى المقاصد التى يتوخونها والمراد بتبصرة الفطنة هو التحقق المؤكد ممّا تسبق اليه الأذهان تخلّصا من الوقوع فى الخطأ فانّه ليس كلّ ما سبق الى الذهن او سبق الذهن اليه بحقّ واقعىّ بل قد يكون نظرا سطحيا يتدهور بالتعمق فيه ومتى كانت الفطنة سطحية فى الواقع لم تكن قاعدة لتركز اليقين عليها ٠

ثم انك قد عرفت ان الحكمة هى البحث عن حقيقة الشىء بقدر الطاقة العلمية ومجهود ادراك العقل وانّما طار صيتها وقال اللّه تعالى فيها: ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا لأنّ جهازها الذى تشتغل به اقوى ما يمكن استعماله فى المباحث وهى البراهين العقلية والمدارك الحسيّة فيما تسيل فيه والأنظار الواهية فيها بيّنة الضعف بأول نقاش وعلى كلّ فليس وراء العقول المهذبة والمشاعر المدربة شىء يعتدّ به وكفى العقول العالية انها آخر مقياس تقاس به الأشياء وبها عرف اللّه وعبد وبها يثيب اللّه ويعاقب وهى قاعدة التكاليف والحجر الأساسى لنظام كل شىء وامّا هؤلاء الحمقى الذين عزلوا العقل عن كرسىّ حكمه وانه لا اثر له فى قبال كل ما ينسب للحديث والسنة فاولئك بعد مجانبتهم لعقولهم لا يجوز ان يوجّه اليهم خطاب او يساق اليهم طرف عتاب ٠

نعم لا ننكر ان العقول قد تضلّ واقعا وقد تتلبس عليها الخفيّات حقيقة وينستر عليها الواقع الى الأبد لكن لا محيص عن سلوك طريقها اذ لا طريق للبشر سواها فان كان فى عرضها اثر قطعى الصدور عن الحجة بالطرق المثبتة لليقين بصدوره ولم يكن مفاده مصادما لمرتئياتها المكشوفة

بل كان ممكنا فى ذاته عقلا أخذ به باعتبار انه حجّة سمعيّة وامّا اذا لم يعرف مصدره الاّ بالاحتمال او كانت العقول تصادمه وتأباه فلا قيمة له اصلا اذ لامعنى للتعبد بما لامدرك عليه واحتمال ضلال العقل فى الواقع شك لااهمية له وليس هذا العلم الأجمالى بمنجز فى العقليات بعد تمام التبحّر وبذل الوسع فى تنقيح مجارى العقول لأداءه الى بطلان كل وسيلة للعلم والعمل واذا كان احتمال ضلال العقل هادما له فأحر بما سواه ان ينهدم بانهدامه اذ لاطريق الى تمييز صحته وسقمه خارج العقول .

وامّا ما ورد عن الحجة فى الشرع بأن دين اللّه لا يصاب بالعقول فان المراد به انّ العقل لا يجوز تحكيمه فى التعبديّات بمعنى لزوم فهمه لأسرارها و وقوفه من نفسه على رموزها نظير ما جاء فى السمع انه لاصلاة الاّ بطهور ولاصلاة الاّ بفاتحة الكتاب وانه فى مقام الشكّ بين الأقل والأكثر فى ركعات الفريضة يبنى على الاكثر فانه لا يفهم هذه المعانى كما اريد بها ولكنّه لا يراها مصادمة له ولا متحدية اياه ولذلك لا يعيرها الاّ طرف ساكت عنها وقد آنفنا ان مثل هذا بعد قيام السمع عليه يؤخذ به ويرجع اليه فيما يخصّ الشريعة فقط وهو وراء ما يحاول من اسقاط العقل عن مدركيته ومتى تصادم العقل وما ينسب الى السمع فى شىء ولم يمكن ايجاد التلاقى بينهما وجب تحكيم العقل وطرد مانسب الى السمع او تأويله ان قبل التأويل الى معنى يلتقيان فيه : فلو ورد فى السمع انّ اللّه جسم وان عرشه يئطّ من تحته لمزيد ثقله عليه وجب تكذيب هذا السمع لأن العقل الذى عرف واجب الوجود وبسواه تستحيل معرفته على البشر عرفه وجودا مجردا و التجرد يناقض التجسيم بالبيان المفصّل الذى حررناه فى اثبات الصانع وكلّما ناقضه العقل فهو مطرود عن ساحة العلم قطعا .

ولا ريب ان العاقل الفطن اذا سبق ذهنه الى شىء ممّا هو مسيل

للعقول ومجال لتمييز الصحيح والسقيم منه بواسطتها وامعن النظر فيه مكررا وطالعه متبحرا تبينت له وجوه الحكمة فيه اذن فهناك تلازم واضح بين التبصر فى الفطنة وتبين الحكمة فى تركيز اليقين فى النفس ٠

وامّا قوله (ع) ومن تبيّنت له الحكمة عرف العبرة فلا شكّ ان الانسان اذا استبطن الأمور ونقّب فيها جهد المقدور اتضح له وجه مانصح به العقلاء وما حذروا عنه وما حسّنوا فعله للانسان او الزموه بتركه والعبرة معناها التشوّف الكامل الى مانزل بالاغيار واقترن بافعالهم وتروكهم حتّى يكون ذلك دافعا او وازعا للمتشوّف بالنسبة الى نظير ما فعله الغير او تركه اذن فالحكيم تراه دائما معتبرا لا يمشى توّا من غير تدبّر او من دون مقياس يقيس عليه حركاته وسكناته ٠

وامّا قوله (ع) ومن عرف العبرة فكأنما كان فى الأوّلين فانه يريد بهان المتدبر المتثبت فى كل ما يأخذ ويذر وان كان قليل العمر غير واسع التجربة بنفسه الاّ انه من طريق تحرّيه للأمور واستبطانه لدوافع الأشياء ومغازيها واخذه الحائط لنفسه وتبصره فى وجوه الحكمة لأمره يعود فى صحة تدبيره من اهمّ المحنّكين وهو وان كان فى جيله متأخر الزمان وفى عمره قليل المدّة غير انّه لدربته الواسعة كأنه عاشر الأجيال كلّها وعاصر الناس بأسرهم وعرف مامرّ عليهم واقترن بهم واستفاد من طريق ذلك كلّ مايحتاجه الانسان لحياته المادّية والمعنويّة ٠

ولا ريب ان تبصّر الفطنة وتبيّن الحكمة وتدبر العبرة وجوس خلال ما كانت عليه الأجيال ممّا يولّد فى النفس يقينا لا يشوبه شك وجزما لا يعتريه ريب ونورا بالحقائق لا تلابسه ظلمة ٠

قال (ع) والعدل منها على اربع شعب على غائص الفهم وغور العلم وزهرة الحكم ورساخة الحلم فمن فهم علم غور العلم ومن علم غور العلم صدر

عن شرائع الحكم ومن حلم لم يفرّط فى امره رعاش فى الناس حميدا ٠

الغوص هو تبطّن الشىء والفهم الدرك والغور هو العمق و العلم هو انكشاف الواقع والزهرة هى التشعشع والحكم هو البتّ فى الشىء والقضاء فيه والرسوخ هو الثبوت والحلم امتلاك النفس فى الاضطرابات و الحميد هو المحمود ٠

اسلفنا انّ الفهم هو درك المطلب ولو كان سطحيا وتقييده بالغوص الذى هو تبطن الأشياء والتحقق منها يعطيه التثبت والتقرر والتأكد ثم لا يخفى ان الغوص فى حقائق الأشياء انما يحمد اذا لم يؤد الى التشكك ولم يقذف بصاحبه الى الجهل بعد العلم والى الغموض بعد الأتضاح فان من المشاهد فى الحواس والوجدانات ان تكرير النظر فى الشىء أكثر من نصاب التحقق يؤدى الى استغراب النظر فيما نظر اليه معاودا كأنه لم يعرفه ولم يتميّزه كما يؤدى بالنفس الى استنكار ما عرفته اولا بالبحث الدقيق وكل مشكك فى الدنيا انما اثير شكه من وسواسه فيما نظر اليه ودقق فيه اذن فليس منظور الامام من غائص الفهم ما يؤدى الى نقيض المقصود بل منظوره ان النظرات العابرة السطحية اعمّ من ان تكون فى المحسوسات ام فى غيرها قد تخطىء كثيرا فلا يجوز للانسان الورع ان يعتمد عليها ويجعلها ميزان علمه وعمله ٠

وهكذا المراد بغور العلم هو التحقق فيما ينكشف للنفس فقد تترائى للانسان اشباح لا أرواح معها والشبح لا يفيد الانسان الاّ اغترارا بالجهل : وامّا المراد من زهرة الحكم فهو ان الانسان لا يجوز له ان يتسرع فيما يعترض لنفسه من خاطرة يتصيّدها من اطراف حديث يلقى عليه او دعوى تطرح لديه بل لابدّ له من التثبت حتى تتجلّى له كوامن الحقائق وحينذاك يحكم ٠

وقد عرفت ان الحلم هو امتلاك النفس فى الاضطرابات ومعنى رسوخه هو تمكن الانسان من امتلاكها وتمام قدرته عليها حتى لا تنهار مع الاضطرابات العارضة بل تبقى فى طوع صاحبها ٠

وعلى هذا فمن توجه الى حقيقة من الحقائق ليدركها فأدركها فيما يلوح له ثم تثبّت من حاسّته فى ادراكها فتحقق له انّها لم تخطأ كان هذا الانسان من الذين انكشف لهم واقع الحقيقة المبحوث عنها ومتى كان على هذا الوصف فحكم عليها بما هو حكمها فقد صدر عن شرائع الحكم الصحيح وكل من امتلك ازمة نفسه ولم يطاوعها فى تسرعاتها وهيضاتها العارمة لم يتعد جادة الاعتدال فى كل اموره واذا كان على هذه الطريقة عاش بين الناس محمودا من جماعتهم الاّ ان يتجرّم متجرم فينتقده جزافا ٠

ثم العدل الذى قوامه بالفهم الثابت والعلم الراسخ والتثبت فى الحكومة وامتلاك النفس فى التموّجات من اعظم المقاييس التى توزن بها الحياة العامّة والخاصّة اذ ما من انحراف فى الماديّات كان ام فى المعنويات الاّ ومنشؤه الميل بها عن جادته اللاحبة : ومنشأ الميل تارة يكون سقم الدرك للمطلب لتناوشه من غير تحقق منه واخرى يكون من عدم الاحاطة بجوانبه التى يجب ان تمحّص معه وثالثة يكون باعطاء النتيجة قبل لمّ مقدماتها المنتجة وان كان شتاتها منكشفا له ورابعة يكون بتسرع اللسان او القلم وان كانت النفس مطمئنة من معلومها الذى استحصلته : وان اختلال واحدة من هذه المقدمات كاف فى انهيار العدل المطلوب فى تركيز الحق ٠

ثم قال (ع) والجهاد منها على اربع شعب على الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر والصدق فى المواطن وشنآن الفاسقين فمن امر بالمعروف شدّ ظهور المؤمنين ومن نهى عن المنكر ارغم انوف المنافقين ومن صدق

فى المواطن قضى ما عليه ومن شنأ الفاسقين وغضب للّه غضب اللّه لـــه و أرضاه يوم القيامة ٠

الجهاد فى اللغة بذل الجهد وفى الشريعة بذل تيك الجهود فى سبيل العقيدة الدينية وان كان اظهر مصاديقه هو الجهاد بالسيف : و الأمر هو بعث الطرف على الفعل : والمعروف كل فعل ثبت حسنه عنـــد العرف العاقل اما استقلالا او تلقيا من الشرائع الصحيحة : والنهى هـــو الزجر عن فعل ما يراد تركه : والمنكر هو كل فعل ثبت قبحه عند العقلاء استقلالا او تلقيا من الشرائع الحقّة كما سلف نظيره : والصدق هو الجهر بالواقع : والمواطن هى المناسبات التى يتجلى فيها قول الصدق اكثر منه فى غيرها : والشنآن هو البغض : والفاسق هو المنحرف : وشدّ الظهـــر تقويته : وارغام الأنوف هو الصاقها بالتراب تذليلا لها : قضى ما عليه اى قام بالوظيفة الملقاة على عاتقه من طريق وجدانه وايمانه ٠

وجماع الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر هو الأصحار بالحق انتصارا له وطردا للباطل عن ان يقف فى وجهه واشفاقا على الأخ فى النـــوع ان تترامى به الجرائم حتى تهلكه وتهلك معه كلّ من يتأسى به ويتخذ ظاهرته وليجة لارتكاب الباطل وبالأخرة صون الاجتماع من الملوّثات حتى تحكـــم الحقائق الراهنة بين الناس لتعتدل الحياة للجميع وتقلّ ويلاتها علـــى الأحياء : والأمر بالمعروف يكون باللسان خطابة على منبر او جلوسا علـــى كرسى تدريس او مشافهة فى ندوة خاصة او مكالمة مع انسان واحد وبالقلم تدوينا فى مؤلف خاصّ او تحريرا فى جريدة او مجلة او كتابة فى رسالـــة لواحد او اكثر : وبالقدم سعيا لانجاز مهمّة عند الطرف حتى يكون ذلـك جالبا لعاطفته جارّا له الى صوب الساعى الذى يريد تقويمه او لا يجـــاد طريق تواصل بين الآمر و الناهى والمأمور والمنهىّ وما الى ذلك ممّا يكون

السعى واسطة موصلة لتحصيل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر : و بالدرهم بذلا للمنحرف حتى يعتدل وللخطيب حتى تتهيأ له وسائل خطابته او حتّى يتمرن عليها وللمدرّس حتى يتمكن من القيام بمهمة الارشاد والتعليم وللكاتب حتى يستعين على التأليف والكتابة وللوسائط الساعية حتى تهيأ الاجتماع بين الآمر و المأمور والناهى والمنهىّ و شبيه ذلك ممّا يحّصل الغاية المتوخاة .

وان حالت الحوائل بين كلّ هذه المقدمات وما يراد بها فآخر مرحلة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الأعراض بالجسوم والقلوب عن المنحرفين والأقبال بها على المعتدلين المستقيمين : واذا تعذّر اعراض الجسوم واقبالها فلابد من الاعراض والأقبال القلبيين اذ لاحكومة على القلب من أيّة قوّة مرعبة تفرض .

وجماع الصدق فى المواطن هو انّ الانسان المؤمن بالحقّ من وظيفته ان لا يغفل المناسبات النافعة المؤثرة فى تأييد الواقع فانّه ان لم يفعل ذلك فقد جفا ضميره وأهمل ايمانه واعتزّ براحته الجوفاء واستذلّ الصراحة اللازمة عليه خصوصا فى امثال هذه المواطن والمناسبات : وجماع شنآن الفاسقين هو انّه لا يجوز للمؤمن ان يعتدل قلبه مع الفاسق ومتى اعتدل معه لم يكن مؤمنا فى الواقع فان تقابل الايمان والانحراف تقابل واقعىّ لا اعتبارىّ فكيف يعقل فى المؤمن الواقعى ان لا يشنأ بطبيعته الفاسق المنحرف ـ ثم نجىء الى الشرطيّات الأربعة ـ :

فنقول امّا قوله فمن أمر بالمعروف شدّ ظهور المؤمنين فان المؤمن الملازم لأيمانه المتجاهر به الواقف منه موقف المجاهد اذا لم يحصل له مساعد ومعين يخفف عنه ويلات المنحرفين وهجمات الفاسقين ومعاندة الزائغين تشتدّ به المواقف حراجة وتطول به اذيّة الانفراد وخذلان الناصر

امّا اذا وجد الى جنبه من يدافع عنه بلسان او قلم او قدم او درهم ويذود عنه بشيء من هذه الوسائل اتسع له ميدانه وخفّت عليه المزاحمات وكثر اطمئنانه من موقفه وقويت عضلاته اكثر على مرابطة الميدان وكان املـه بمستقبل مجاهداته قويّا فى نفسه وهذا معنى شدّ ظهره وتقوية امره و مؤآزرته فيما يتولّاه من عمل ٠

وامّا قوله ومن نهى عن منكر ارغم انوف المنافقين ذلك لان المنافق جاحد فى الواقع وانما ينافق ويتظاهر بما هو بعيد عنه واقعا لمصالح يتوخّاها فى الاجتماع امّا لمعيشته او لجاهه او لحيثيّات اخرى وراء ذلك ومثل هذا الانسان يودّ شيوع المنكر وانتشار الفحشاء حتى يَصير اصبغة عامّة للناس وحينذاك يكون فى راحة من النفاق والتدليس فان فيهما ثقلا عليه وتقييدا له لأنّه يهوى الأصحار بما واقعه عليه من دون ملاحظة فاذا كثر فى الناس من ينهى عن المنكر ويندّد بالفحشاء ويشهر لسانه او سائر عوامله الأخر فى هتك الباطل والمبطلين وانتقاد الزائغين والمنحرفين زاد ذلك فى اذيّة المنافق وارغام انفه وازداد هو فى التستّر خوف الافتضاح ومراعاة لمصالحه التى يتوخّاها فى دنياه ٠

وامّا قوله ومن صدق فى المواطن قضى ما عليه فان الذى يستغلّ المناسبة فرصة ويفيض عنها بما هو وظيفته من تنبيه غافل وتذكير ناس وتعليم جاهل وتذليل شماس متغطرس وملاطفة متكبر فقد قضى ما هو واجبه اذ لا يستطيع القيام بأكثر من ذلك فان حصل وراء هذا السعى اثر وأينع ثمر فهو المطلوب والاّ فقد اقام حجة على طرفه وزاده مسؤلية امام ربّه فضلا عن قيامه هو بوظيفته ٠

وامّا قوله ومن شنأ الفاسقين وغضب للّه غضب اللّه له وأرضاه يوم القيامة فلا بدع ان من يبغض الفاسق المنحرف كان فى بغضه له غاضبا للّه لان

اللّه هو الذى أمر بالعدل والمعروف ففسق المنحرف عن أمره ومن الطبيعى ان يغضب اللّه له جزاء لجنوحه اليه وانحيازه الى جانبه لو تعدّى عليه غيره اكثر من الغضب له لمجرد التعدى عليه بما هو فرد مظلوم لا أزيد وباعتبار ان الجزاء على الاعمال حسنها وقبيحها فى الشريعة لا يكون الّا يوم القيامة لانه يوم المحاسبة والمحاكمة قال عليه السلام وأرضاه يوم القيامة اى وفّاه حقه اللازم وقد يتفضل عليه بما هو شأنه تعالى : ولا ريب ان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والصدق فى المواطن وشنآن الفاسقين جهاد تامّ العيار وقد تثمر نتائجه اكثر ممّا يثمر السيف ذلك لان اعمال السيف ان كان بلا أخطار واعذار وتشريح وتوضيح للدعوة التى يجاهد من أجلها كان ذلك تعديا على حقوق الناس وتهجّما على دمائهم من دون مبرّر سوى حبّ التغلّب و التحكم المجردين من ناحية الممقوتين من ناحية ثانية وان كان بأخطار واعذار كان الجهاد حينذاك فى سبيل الحقّ حقّا لأنّه جلب للمتمرد الى أن ينال السعادة لنفسه وان كان مرغما على ذلك ولأن تعيش الناس منه فى راحة لأنه ان بقى على تمرده زاحم غيره بحكم عنجهيته وخبث ضميره : اذن فمرحلة البيان سابقة على اعمال السنان و السنان فقط ضامن اجراء لما توجيه الضمائر الحرّة والعقول السليمة و الشرائع السماوية الصحيحة .

ثم انّ الامام عليه السلام وان كان انما سئل عن الايمان فقط واجاب عنه بالأجوبة الآنفة لكنه رأى من الوظيفة ان يشفع المقام بالبيان عن دعائم الكفر و الشك الذى هو التحيّر حتى يتجلّى معنى الايمان ببيان هذه الأضداد اكثر لأن مقايسة الضدّ الى الضدّ تظهره ازيد مما يظهره البيان عنه مفردا مضافا الى ما فى شرح معنى الكفر و الشك من فوائد جديدة لا يستغنى عنها من يريد معرفة الايمان والتثبت منه .

فقال (ع) والكفر على اربع دعائم على التعمق والتنازع والزيغ والشقاق فمن تعمّق لم ينب الى الحقّ ومن كثر نزاعه بالجهل دام عماه عن الحق ومن زاغ سائت عنده الحسنة وحسنت عنده السيئة وسكر سكر الضلالة ومن شاقّ وعرت عليه طرقه وأعضل عليه أمره وضاق عليه مخرجه .

الكفر بالشيء هو الجحود له و التعمّق هو زيادة التدقيق والتنازع هو المجادلة الزائدة عن نصابها المعقول : والزيغ هو الانحراف عن الجادة : والشقاق هو ايقاع الفواصل وايجاد الحواجز وخلق ما يوجب العداوات : والأنابة هي الرجوع : وعمى الشيء انستاره : والسكر اعطاء الشعور من اليد : والضلالة التيه والحيرة عن الواقع والانحراف الى صوب الجهل : والوعورة الصعوبة : والاعضال الاشكال : والمخرج هو المنفذ المنجى .

ـ وامّا الشرطيات ـ

فالمراد بقوله فمن تعمّق لم ينب الى الحق ان زيادة التنقيب عن الشيء وامعان النظر فيه اكثر من لازمه يعود ان بالانسان الى الجهل به بعد علمه والى انكاره بعد معرفته وقد اسلفنا طرفا من الكلام عن ذلك ولا ريب انّ اكثر الملحدين من المحصلين انّما ألحدوا من طريق هذه التشككات حيث يتنزل بهم انكشاف المطلب الى خفاءه بتكرير السؤال و ادامة التبحر فيه ظنا منهم ان ادامة النظر في الشيء تكشفه لهم اكثر ممّا يكشفه التحقيق المتعارف ولذلك يفوتهم الواقع الذي هم بصدده بعد أن حصلوه وكلّ من تعاورته الشكوك حسب انه لا شيء في البين يرفع جهله ولذلك لا ينيب الى الحق الذي عرفه قبل التشكك زاعما انّه ليس هو الواقع الذي يفتش عنه : وهذا الكفر اعظم من الكفر الذي يكون عن جهل بسيط او عن تقليد محض لان ما يكون عن هذين العاملين قابل للازالة بالارشاد

والتعليم لحضور نفس الجاهل البسيط الى التعلم والمقلّد الى التفهم امّا من يعتدّ بنفسه ويرى انه قد خاض فى المسألة كل جوانبها ومع ذلك لم يحصّل منها على طائل فان اقناعه يعدّ من المستحيلات ٠

والمراد بقوله ومن كثر نزاعه بالجهل دام عماه عن الحق ان نزاع المتعاظم بنفسه المعتد بفكره المعتقد بفضله نزاع لا يؤدّى الى نتيجة لأنّ هدفه اثارة الغبرة وعدم الاستكانة الى الحق ولذلك يدوم عماه وجفاه وعدم اعتناءه بالحقيقة ومن دام عماه عن الحقّ كان جاحدا له بلا ريب ٠

والمراد بقوله ومن زاغ ساءت عنده الحسنة وحسنت عنده السيئة ان المنحرف الملازم لانحرافه الراضى عن سيرة نفسه وسيرها به يهزأ بما عليه المقدسون والمتدينون بل والاعتداليون ويحسبهم اناسا بعيدين عن الحياة ولوازمها قشريين فى روحياتهم خرافيين فى نزعاتهم محرومين من اللذائذ التى لو مدّوا ايديهم اليها لحصلوها وتمتّعوا بها كما فعلوا هم لأنفسهم : كما يستحسن السيئآت التى هى عمله ودينه وشغله ويحسّنها لغيره تكثيرا لصنفه وتعزيزا لمشربه وتأييدا لمذهبه ولا ريب ان من يكون كذلك لا يتعلق من اللّه بأدنى سبب ولا يعتقد به ولا بشرائعه ولا برسله وكتبه وهذا هو السكران الذى لا يفيق والمعطى لشعوره من يده والضالّ عن الطريق الى الأبد ما دام على الوصف ٠

و المراد بقوله ومن شاقّ وعرت عليه طرقه أن طالب الفتن وموجد الحزازات وخالق العواثر بين الناس والمباعد بين قلوبهم والذى يحبّ الانحياز عن جماعتهم وايقاع نفسه فى شقّ بعيد عنهم سواء فى عقائده أم اخلاقه تصعب عليه مسالكه فى الحياة لاختلافه بمسلكه عن كل مسلك ويشكل عليه امره فى كافة مجارى العيش ويضيق عليه مخرجه من المشكلات التى يخلقها لنفسه ومثل هذا اذا كان متبطنا لهذه الرويّة معتقدا بهذه

السجيّة كان جاحدا للّه قطعا مباينا لتعاليمه وما نزلت به كتبه ونطقت به رسله وحثّ عليه الأخيار الأبرار من المقدسين والمثاليين .

قال (ع) والشك على اربع شعب على التمارى والهول والتـــــردد و الاستسلام فمن جعل المراء دينا له لم يصبح ليله ومن هاله ما بين يديه نكص على عقبيه ومن تردد فى الريب وطأته سنابك الشياطين ومن استسلم لهلكة الدنيا والآخرة هلك فيهما .

الشكّ هو التحيّر والمماراة كثرة الخصومة والجدال الفارغ والهول هو الارتعاب من الشيء والتردد هو التكرار والاستسلام يقال فى مقابل الامتناع والنكوص هو الرجوع الى الوراء والريب يطلق على الباطل كما يطلق علـــى عدم اطمئنان النفس والسنابك هى الحوافر: واراد من قوله فمن جعـــل المراء دينا له لم يصبح ليله ان المراء والمجادلة الفارغة لا يثمران للمارى ايّة ثمرة الى الأبد والمنظور بعدم اصباح ليله ان سواد ليله لا ينكشـــف بصبح بل يبقى مظلما عليه لا الى حدّ فهو متحيّر دائما وفى ريب مستمـــر والشك هذا معناه وهو ابهام القضايا على الشاكّ ما دام شاكّا .

واراد من قوله ومن هاله ما بين يديه نكص على عقبيه ان الذى يخاف اختراق الطرق التى توفى به على مقصوده المعتلج فى نفسه لا يزال ناكصا على عقبيه من غير نتيجة راجعا الى الوراء من دون ثمرة واذا كان كذلـــك لم ترتفع حيرته ولا يستنير له نور الواقع الراهن .

وأراد من قوله ومن تردد فى الريب وطأته سنابك الشياطين ان الذى يبقى دائرا حول جهله لا يبارح خطّة تحيّره ولا يطلب لاضطراب نفسه ملجأ نجاة دفعته الشكوك فى احضان عوامل الشقاء والبؤس وهى التى عبّر عنها بسنابك الشياطين لأن الشيطان رمز كلّ انحطاط وانهيار .

من قوله ومن استسلم لهلكة الدنيا والآخرة هلك فيهمـــا : ان

الذى تحاصره الحيرة ويضايقه الجهل بالمصير ويربكه عدم الحيلة وفقدان الوسيلة لا بدّ له ان يخضع للشقاء كما عبّرنا والشقاء هو هلكة الدنيا و الاخرة لأن الآخرة انما تستمدّ موقعيتها من عمل المكلف فى دنياه والشاك لا يستطيع انجاز العمل المثمر لأنّ العمل نتيجة العلم ومن لا علم له لا عمل له ومن لا عمل له هالك قطعا ٠

ثم لا يخفى ان الشك متميّز عن جميع اختلاجات النفس ذلك لأحساس النفس الحيرة فيها وعدم الركون الى طرف ممّا يتخالجها وهكذا اليقين القاطع القائم على ما هو شبيه الحس متميز بنفسه غير قابل للاختلاط بغيره من الصور الحاصلة للانسان ويبقى فى البين ما هو قابل للتذبذب لعدم التحقق من هويته كاملا كقطع القطّاع وظنون سريعى الظنّ واوهام النفس وخيالاتها فان القطع والظن والوهم والخيال وان كان كلّ واحد منها له طرح مخصوص الاّ ان تمييزه فى النفس لمّا كان عزيزا او شبه عزيز اوجب ذلك اختلاطه بغيره الاّ بعد امعان نظر كاف وتشريح واف من المتدبر المتأمل ٠

ــ وامّا ما يخص الفصل الثانى ــ فقد اسلفنا ان الايمان الكامل هو ما كان وليد رياضة النفس على الفضائل بما تعود به من ارقى المثل العالية ومتى تبطّن الانسان هذه الروح كان منه ما وصفه عليه السلام بقوله :

(١) ان تؤثر الصدق حيث يضرّك على الكذب حيث ينفعك والصدق فى اى شئ يفرض هو مطابقته للواقع وعين حقيقة ذلك الشئ الواقعية والكذب هو تزوير ذلك الشئ على الواقع وخلاف حقيقته فالورع والتقوى و الايمان من الصدق والتزوير والدجل والتدليس من الكذب ولهذا نال الصدق اعلا المكانات السامية فى القلوب وتنزل الكذب الى أحقر الأودية

الهاوية لأن الأول رمز كل فضيلة والثانى ملاك كل رذيلة .

و ليس للصدق والكذب مراتب فى حدّ حقيقتها بعد أن توحّد معناهما فالصدق فى كلّ الاشياء واحد والكذب كذلك كما انّ الصادق و الكاذب باعتبار منشأ الاشتقاق لامراتب لهما نعم تتفاوت الدواعى فى ارتكاب الصدق و الكذب فتارة يصدق الانسان لألجاءه الى قول الصدق واخرى يصدق لأن منافعه وطرد المضارّ عنه متركزة عليه وثالثة لا ينحرف عن الواقع اذ لاصارف له عنه كما لا دافع له اليه الاّ الفطرة فان كل انسان بفطرته لا يحيد عن الواقع والكذب يحصل تارة بالالجاء اليه واخرى بوقوعه فيما يحسبه الانسان مقدمة لجلب المنفعة ودفع المضرّة لكنّه لا يكون بسوى هذين العاملين فان الانسان بفطرته لا يكذب نعم ان التربية الساقطة للشخص ربما تنحطّ به الى قول الكذب لا لداع بالمرّة وهذا المعنى شائع فى السفلة والطرقية من بنى آدم : وبالعكس تعلو التربية بالانسان فيلتزم الصدق لا لالجاء ولا لجلب منفعة او دفع مضرّة ولا للفطرة بما هى فطرة ساذجة بل لأنّه يرى انسانية الانسان وشرفه منوطين باحقاق الحقّ وبيان الواقع وان الصادق مرموق على كلّ حال وموضع تقدير وتقديس من كافة الناس حتى الساقطين منهم وتتعالى بالانسان رياضته لنفسه فيلازم الصدق حتى لو تضرّر به هو وان تحرج منه لو تضرر به الغير ذلك لأنّ كلّ ضرر شخصى قابل للجبران والتدارك وامّا تحرجه عن الصدق اذا تضرر به الغير فلأنه لا يجوز اضرار من لايستحق الضرر لا مباشرة ولا تسبيبا لا فى الشرع ولا فى الاخلاق وهذا الملاك هو محطّ قوله (ع) ان تؤثر الصدق حيث يضرّك على الكذب حيث ينفعك والأيثار قد يكون واجبا وقد يكون راجحا فحسب امّا الايثار الواجب فى الصدق حيث يضرّ على الكذب حيث ينفع فذاك الصدق الذى يحصل من طريقه ضرر مادّى على الانسان ومهما

عظم الضرر الاّ انه يسبّب نجاة امّة او قيام شريعة حقّة وما الى ذلك من مهمّات عالية الهدف غالية الثمن وان سكت لسان الشرع العام عن الفتوى بمثل هذا الوجوب الاّ في موارد خاصة فان لسان الخلق الراقي والمثاليّة العليا غير ساكت عنه بل هو قد يتعدّى هذا الحدّ الى وجوب الايثار حتى لو اقترن بالأضرار النفسيّة وحتّى لو اتى على النفس من أصلها وكل المثاليين الأحرار قاموا بهذا الواجب على ضوء شريعتي الأخلاق والدين كليهما .

فان قيل ان هذا المعنى يقلع اساس التقيّة من جذره في حال ان التقيّة اصل من الأصول المهمّة عند الخاصة ومن الوظائف العقلية التي لا تنكر فما هو التوفيق بين هذين الرأيين : قلنا التقية بمعناها الجملي هو ستر الواقع خوفا من المضارّ المترتبة على كشفه لكن هذا المجمل لابدّ من تفصيله حتّى يترتب على كل صورة حكمها اذ ليس للتقية بما هي حكم واحد قطعا لتفاوت حالاتها تفاوتا فاحشا لا تلتقي معه على طرف : فاذا كان كشف الواقع لا تترتب عليه فائدة اصلا ويحتمل قويا ترتب الضرر عليه كان ابداؤه غلطا قطعا نظير ابداء الشيعي تشيّعه في مجامع ابناء التسنن حيث لا فائدة له في ذلك مع احتمال ترتب الضرر عليه واخرى تترتب عليه فائدة شرعية غير معلومة المدى في قبال الضرر الذي ينوشه نظير الالتزام بالسجود على التربة الحسينية في المجامع المزبورة مع وجود ما يصح السجود عليه من ارض وغيرها ففي هذه الحال لا يكون مجوز لفعله مع الفرض المزبور واذا كان كشف الواقع تتساوى فيه منافعه ومضارّه كان مخيّرا بين فعله وتركه واذا ترجحت منافعه على مضارّه وجب فعله حتى يتعالى الوجوب في جملة من الصور الى لزوم الأصحار بالحقيقة ولو اتى ذلك على النفس : اذن فلا تدافع بين وجوب التقية في مواقعها الصحيحة وبين ايثار الصدق حيث

يتضرر به صاحبه بالنحو الذى اسلفناه ٠

وامّا الايثار الراجح من غير تحتّم فهو مالم يبلغ ذلك المبلغ لكن مع ترتّب فوائد عليه اقلّ من تيك الفوائد واحطّ افقا : وامّا الكذب النافع فان كان المنظور به انّه يتوسل به الى جلب منافع مادّيّة للشخص الكاذب او لغيره فهو ما لا يجوز قطعا نظير ان يكذب البائع فى بيان رأس المال و يزيد على واقعه ليستفيد بذلك مالا اكثر او يكذب رفيقه لمصلحته من باب انصر اخاك ظالما او مظلوما وان كان المراد به دفع ضرر غير مستحق فذاك ممّا يختلف فى جوازه وعدمه فان بعض الأضرار تافه لاقيمة له فلا يبرر للانسان ان يقول خلاف الحقّ : ثم ان دفع الضرر لا يسمّى نفعا الاّ بالعناية ٠

(٢) وأن لا يكون فى حد يثك فضل عن عملك : وهذا الفصل فيه نوع تفرّع على الفصل الآنف فان الصدق الذى هو مطابقة الواقع اذا عمل به الانسان كان من لازمه ان لا يفضل حد يثه عنه عن عمله ولا يزيد عليه فان الزيادة خلاف الواقع والفضل لا محقّق له فى الخارج ولا ريب ان المراد بالعمل المتحد ث عنه فى كلام الأمام هو العمل الذى يشرف به الانسان و يحصل له من طريقه مجد و عنوان وهو لا يكون الاّ من شعب الفضائل ومحاسن الشيم والأخلاق اذ الأعمال المرذولة لا يتحد ث عنها الاّ الساقط من الناس فضلا عن ان يزيد فيها عن الواقع ٠

هذا والأماجد الحقيقيّون من الناس يأنفون من ان يشيدوا بأنفسهم ويتبجّحوا من ذات السنتهم فانّهم وان عملوا العمل الشريف لتشييد شخصياتهم وتركيز اصواتهم الاّ انهم يستخدمون لذلك السنة الناس و اقلامهم بما أسدوا اليهم من جميل او تقديرا لفعل الخير من محبّى انتشار الخير ولو لم يصل اليهم شىء من معروف اهل المعروف: هذا

فيمن يحبّ فرض نفسه على الوجود من طريق فعل ما يوجب الشـــرف و العنوان له وهؤلاء قد لا يمتنعون من غلوّ الناس فى حقهم واطرائهم باكثر ممّا صدر عنهم ٠

وامّا المثاليون الأبرار فهم يلتزمون على انفسهم ان لا يفعلوا الخيـــر الاّ للخير ولا يسدوا المعروف الى انسان الاّ خدمة للانسانية ومثل هـــذه الروح فيهم تمنعهم عن التظاهر بفعل الخيرات وانما يعرفون بها مـــن كثرة ممارستهم لها ولو خفاء فانّ المعروف لا يضيع بين اللّه و الناس قطعا وهؤلاء لا يتحدثون عن عملهم وربّما لا يحبّون ان يتحدث متحدث عنهم فى حضورهم بل افعالهم المجيدة من نفسها هى التى تتحدث عنهم و هـذا الفريق ليس من اهداف هذه الكلمة التى قالها الامام ٠

نعم الأمام (ع) يستهدف من يحبّ ان يظهر حسناته بلسانه قبل ان يتحدث الناس عنه استعجالا بتحصيل الشهرة بين الناس فأوصاه انـــه لا مانع من تمجيدك لنفسك بعد فعل الخير لكن بشرط ان لا تكذب فـــى التعبير عمّا فعلت فتزيد حيث لا واقع للزيادة وتدّعى حصول اكثر ممّا حصل منك فان هذا الكذب يذهب بفضل المعروف الذى صنعته والخير الـذى فعلته واذا عرف عنك ذلك سقطت من اعين الناس وابتذلت ولم يعـــد لفعلك الخير قيمة ولا ثمن ٠

(٣) وان تتقى اللّه فى حديث غيرك وهذا الفصل كالسابق فيه نـوع تفرع على الفصل الأول فان أبرز هدف من اتقاء اللّه فى حديث الغير هو أن لا تذكر عنه ماليس فيه او اضافة على ما فيه وكلا ذلك من خلاف الواقع واصولا لا يجوز التحدّث عن الغير الاّ بالخير ان كان من اهله ويقترن كثيرا بفعله صيانة لعرضه عن الامتهان ولشخصه عن السقوط وهذا الملاك هـو الذى جعل غيبة المسلم المتستر حراما فى الشرع : نعم يجوز بل يجـب

احيانا ذكر الغير بما يسوءه لو بلغه لدواعى تتفاوت فى الأهمية وتترتب عليها آثار عقلية اجتماعية شرعية .

ـ منها ـ كشف دجله والتشهير بتدليسه انتصارا للحقّ حتى لايختلط به الباطل فيتعمّى الواقع على الناس ويقعوا من امر دينهم ودنياهم فى محاذير جمّة : ومن طريق الدجل و التدليس كم اختلط باطل بحق و كذب بصدق وصفّ فى مصافّ الحقائق واخذ به كالأخذ بالمسلّمات الراهنة .

ـ ومنها ـ استنقاصه والحطّ منه وتقبيحه فى المحافل والنوادى حتّى يرتدع عن فعل القبيح و يحاذر الغير ايضا عن فعله حتى لا تنوشه الألسن كما ناشت غيره فحطّمته وفضحته .

و منها ـ بيان كوامنه السيّئة فى مقام الاستنصاح حتّى لا يقع الأغرار فى حبالته اغترارا بتستره الذى لا واقعيّة له : نعم فى كافة هاته الموارد لا يجوز ان يذكره الذاكر بعيب ليس فيه او يزيد على ما فيه من العيوب كمّا و كيفا فانّ ذلك تعدّ غير مغتفر .

* (٢ ـ الصلاة) *

الصلاة التى اوعز اليها الامام هى الصلاة الشرعية المحتوية على صفّ الاقدام فى القيام و الركوع والسجود والتسبيح و التحميد والأذكار الوفيرة والتكبيرات الكثيرة مع الطهارة والوقار والطمأنينة وخلوص النيّة واستحضار القلب وكلّ فصل من فصولها خضوع وتواضع للمبدأ الأعلا وتذكر وتفكير لمقامى العبد والمعبود وفوارق الهداية والضلالة وانّه بمن تناط الاستعانة ولمن تليق الاستكانة وان عظمة كل كبير جوفاء فى قبال عظمة الخالق و ان كلّ كائن فاقد للحول والطول الاّ بالله ولا ريب ان الانتقال فى هذه الفصول من فصل الى فصل وفى هذه الهيئآت من قيام الى ركوع الى

سجود ممّا يقتل فى المتفكر المتدبر روح كلّ غطرسة ونخوة وتكبر وينهى النفس عن كل فحشاء ومنكر ويقبل بها على معالى الصفات و اكتساب الحسنات ٠

(٣ــ الزكاة)

يقال زكا الزرع اذا نمى و طاب فالزكوة المضروبة على الأموال تطيب لها لان فى اموال الواجدين حقّا للسائل والمحروم بحكم الأنسانيّة فاذا خلصت هذه الأموال من هذه الحقوق فقد طاب المال قطعا وامّا تنميتها فهى طبيعية ايضا ذلك لأنّ الاجتماع البشرى اذا قام على اساس المواساة وتفقد المعوزين والضعفاء وسدّ خلل اهل الفاقة فقد ماتت فيه روح الطمع اليابسة والاستئثار البغيض فان كلّ سرقة وتلصص واجحاف واحتكار و تدليس وتمويه وانتهاز ومغالبة قائمة بالطمع و مستمدة من روح الاستئثار وهذه الخلال الدنيئة من اسباب تجمّد المال والحرص عليه وكنزه والاختفاء به وتجميد المال لانموّ معه ومع الاستئثار اماتة للاجتماع وتقويض به حتى للمستأثر نفسه فان تارات الدنيا فى صعود وهبوط فكم سقط ملك عن عرشه واطيح بشامخ من مكانه وسلبت قوّة القوىّ حتى عاد يخاف من طنين الذبابة على وجهه وافتقر غنىّ ذو ثراء فصار من المفلسين الذين يرثى لحالهم وهلّم دواليك : امّا مع قيام المجتمع بوظيفة المواساة كلا ومايستطيع وممّا يجد فلا تعود التارات والتغيّرات تؤثر على اهلها تيك التأثيرات السيئة فلا يعود احد شامتا بأحد بل لا تراه الاّ متوجعا لهذا المحسن المواسى مادّا له يد المساعدة باحترام تجليلا لصنيعه الآنف واحسانه السالف فان المعروف لايذهب بين اللّه و الناس هدرا : وهذه النتائج من اهمّ الادّخارات التى يدخرها المرء لنفسه فى ايّام سعادته لأيام

بؤسه وكفى بهذه الادخارات تنمية لماله الذى انفقه فى حينه وحاصلا ممّا زرعه فى وقته فحصد ثمراته ابّان حصادها وهذا هو معنى كون الزكـــاة تسبيبا للرزق ٠

*(٤ــ الصيـــام) *

الصيام هو الامساك عن الأكل و الشرب و الشهوات الجنسية و هـــذه العناصر الثلاثة هى الشهوات الرئيسية فى الانسان وفيها يبذل كـــلّ مساعيه ويصرف عموم همّته ولا ريب ان الأرخاء للانسان وارساله الى هـــوى نفسه مما يصيّره غافلا عن وظائفه اللازمة له فى الواقع الجاهر فلا بدّ مـــن مساعدته على اطاعة الحقّ وعرفان الوظيفة ومن تلك المساعدات تكليفـــه بالصيام لمدة وطبعا

لا يعرف الشوق الآ من يكابده ولا الصبابة الآ من يعانيها

فان امسك الانسان عن الأكل و الشرب و الشهوة الجنسية هذه العوامل المحيطة بطبيعته فى كل آن و زمان عرف هنالك ان للحرمان منها كم من اثر سيء على الانسان فتكون هذه المشاهدات من الدواعى القويّـــة لتشخيص الفقر ومآتيه والعوز ومايستتبعه فاذا كان انسانا مرنا توجه مـــن وقته لوظيفته وقام بها عملا وبذلك يبتلى اخلاص الناس لربّهم وبنى نوعهم و تمرّدهم على العاطفة الانسانيّة ٠

*(٥ــ الحج) *

الحجّ معناه الزام المستطيع من المكلفين الى قصد بيت اللّه فى مكّـة والاحرام من الميقات والوقوف بالمشعر وعرفات ورمى الجمرات والطـــواف بالبيت سبعا والسعى بين الصفا و المروة سبعة اشواط وذاك اهمّ ما فيه

من مناسك وهذا السفر يستلزم صرف المال الواسع والمتاعب الوفيرة وعلى اساس ذاك المقصد وهذه المقدمات قامت قيامة القشريين فى الاعتراض على تلك الأعمال الفارغة فى نظرهم وصرف هذه الأموال الطائلة لا فى قبال شيء واعتبروا هذا التكليف من السخف واضاعة ذاك المال الطائل من السّفه ٠

و الجواب عن ذلك تارة يكون شرعيا واخرى يكون اجتماعيا امّا الجواب الشرعى فقد اشار اليه (ع) فى فصل آخر حيث قال : وفرض عليكم حجّ بيته الحرام الذى جعله قبلة للانام يردونه ورود الأنعام ويألهون اليه ولوه الحمام جعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته واذعانهم لعزّته واختار من خلقه سمّاعا اجابوا اليه دعوته وصدّقوا كلمته ووقفوا موقف انبيائه وتشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه يحرزون الأرباح فى متجر عبادته ويتبادرون عند موعد مغفرته جعله سبحانه وتعالى للاسلام علما وللعائذين حرما فرض حجّه واوجب حقّه وكتب عليكم وفادته فقال سبحانه وللّه على الناس حجّ البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان اللّه غنىّ عن العالمين ٠

وفى شرح ذلك نقول ان اصل الدعوة الى اشادة المساجد متركز على تخصيص امكنة خاصة لأداء وظيفة الصلاة التى آنفنا بعضا من الشرح عن سرّ توظيفها قصدا لمزيد التفرغ فيها وحصول التوجه فى العبادة التى تؤدى لديها وطلبا لأقبال العبد على ربّه فى المكان المتخصص بالنسبة اليه اذن فالمساجد رموز الى اللّه وشعارات له واعلام قائمة تشعر بالقدس والطهارة ومقاييس عليا للمثل المقدسة وان تعظيم المسجد الحرام من بينها مبتن على ان يكون الأمّ لهذه الرموز والمنبعث الأول لهذه الشعارات والعلم الأعلا لتلك المقاييس وهذا الاعتبار الذى افاده هذا المكان من اللّه هو الذى أهلّه لأن يكون قبلة وجوه المصلّين من المؤمنين

باللّه تعالى ومطافا تطوف حوله ابدانهم الحاملة لقلوبهم المؤمنة كما يطوف كل انسان حول الحقيقة ويحوم على الحقّ ليتصل به ويسعد من طريقه :

وقوله (ع) يردونه ورود الأنعام عبارة غاية فى الافصاح عن التزاحم حول المورد العذب فان الأنعام اذا عطشت وتهيأ لها الورود بعد ذلك اخذت تتراصّ وتتزاحم على المورد لتستفيد منه بغيتها قبل نفاذ ماءه و هكذا يجب ان يتراكم هواة الحقيقة حولها ليستفيدوا منها سهما قبل أن يعزّ عليهم منالها ،ويألهون اليه ولوه الحمام ،فانّ الحمام شديد العلاقة بوكره عظيم التعطش الى عشّه كثير النزوع الى وطنه ،جعله سبحانه ،فى الطواف حوله بلباس الأحرام ،علامة لتواضعهم لعظمته ،القهّارة التى من جملة آثارها خلقة هذه العوالم الزخّارة الخارجة عن حدود الوصف المعجزة للواصف،واذعانهم لعزّته ،القائمة بتصريفه لكل كون وكائن ومكان ، واختار من خلقه سمّاعا اجابوا اليه دعوته ،اشار (ع) بذلك الى قوله تعالى ـ سورة الحج الآية ٢٧ و٢٨ و٣٠ واذّن فى الناس بالحجّ يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فجّ عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم اللّه فى ايام معلومات ذلك ومن يعظّم حرمات اللّه فهو خير له عند ربّه والسمّاع جمع سامع ويستأنس من قوله (ع) واختار من خلقه سمّاعا ان الذين اجابوا دعوة الداعى قد شملتهم عناية اللّه باختياره ايّاهم لأجابة هذه الدعوة وفى ذلك نوع تبعيض بينهم وبين غيرهم من خلقه قلنا بذل هذه العناية من طراز قوله تعالى انهم فتية آمنوا بربهم و زدناهم هدى فان الذين يقطعون تلك الفجاج القفراء على ارجلهم او على كل ضامر قد أعياها وراكبها السرى المضنى لهم نوع تعلّق باللّه وبعبادته لا يوجد فى غيرهم اولئك الذين يتملّصون من اداء الوظيفة اذا وجدوا فى طريقها تعبا ونصبا ، وصدّقوا كلمته ،حيث حقّقوا فى الخارج قول اللّه لابراهيم (ع)

يأتوك رجالا وعلى كلّ ضامر يأتين من كلّ فجّ عميق ، ووقفوا مواقف انبيائه ، مترسمين لخطاهم في اداء المناسك ،وتشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه ، حيث طافوا ببيته العتيق ، يحرزون الأرباح في متجر عبادته،فكما ان في دنيا الماديّات تجارة قائمة على ساق بين اهلها لأجل كسب الأرباح المادية كذلك في عالم المعنويات تجارات لأهل المعنى يريدون من ورائها توجه اللّه اليهم واسباغ رضوانه عليهم .ويتبادرون عند موعد مغفرته فقد جاء في الأثر من حجّ ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امّه ،جعله ،الضمير لبيت اللّه الحرام ، سبحانه وتعالى للاسلام علما ، اى شاخصا يدلّ عليه وشعارا يعرف به ،فرض حجّه ،اى القصد اليه ،واوجب حقه ،من الاحترام والتجليل ،وكتب عليكم وفادته فقال سبحانه وللّه على الناس حجّ البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فانّ اللّه غنىّ عن العالمين .

وامّا الجواب من الوجهة الاجتماعية فان دنيا الاسلام في طول مشيه مع الزمان من حيث الافراد طويلة عريضة فان المسلم اليوم وامس يوجد في نوع القارات المسكونة ودنيا البشرية على طولها مع الزمان ذات الوان مختلفة لا تعدّ ولا تحصى وانجحار الانسان في عقر داره ممّا يقطعه عن معرفة الكون والكونيات وماجرى ويجرى في العالم فيبقى عاطلا من المعارف الواردة من طريق الانحشار والممارسة وكم استفاد السائحون معلومات ثمينة عن البلدان وبنى الانسان وطرز تفكر المفكرين في كل قطر وناحية و وقفوا من آيات اللّه الشاخصة على مالم يكن يخطر لهم في بال فاجتماع مئآت الألوف في كل سنة من كافة عناصر الانسان وبقاع الأرض على صعيد واحد لمدة شهر او اكثر على تمام الصفاء والمحبّة ومعارفة انسان لانسان بالمعاينة وجها لوجه والسؤال شفة لشفة والوقوف على عادات بعض من

بعض وطرائقهم ومعارفهم ورسومهم وما هم فيه وعليه لا تقدّر فوائده و لا تحصى عوائده ولايستطاع التحصيل على هاته المطالب من طريق الكتب والمجلات والنشرات فانّه ليس السماع مثل العيان وأسفار الحجّ هى التى خلقت من المسلمين جغرافيين وعارفى آثار هذا مضافا الى حركة المكاسب التى تكون من هذا الطريق وفى هذه الأسفار فيرتزق مكارى الدابة و صاحب السيارة او السفينة والباخرة والطائرة ومن اعدّ نفسه لمحصول الخدمة والباعة و الشراة ومن الى ذلك على طول الطرق وفى الحجاز نفسه : هذا وراء الضعاف والمساكين الذين يستفيدون فى هذه المواسم سواء فى البلد الذى يتحرك منه الحاج ام فى طريقه الذى يجتازه ام فى الحرمين اللذين يؤدى مناسكه فيهما فصرف المال اذن فى هذا السبيل وراء كونه طريق عبادة من احسن المصارف التى تصرف فيها الأموال للتجولات والسياحات وهذا هو معنى كون الحجّ تقوية للدين مادة ومعنى بالخلاصة التى اشرنا اليها .

* (٦ـ الجهاد) *

الجهاد وان كان يطلق على كلّ ما يعدّ مبارزة للباطل من قلم ولسان ودرهم وقدم واعمال رمح وسيف الاّ انّ الأهمّ من ذلك اسلوب الخطة التى تتخذ فى تحكيم الحقّ ودكّ عروش الباطل و المبطلين فان المبارزات الفردية بشتّى انواعها من دون أن تنضامّ فى اطار يجمعها ويصيّر منها قوة واحدة لاتغنى فى احقاق الحقّ و ابطال الباطل شيئا : واصولا يجب ان يعلم ان العقول اذا استعرضت موضوع الجهاد ومايتولد فى طريقه من اضرار مادية وجسمية وتخريب وتحطيم ومايورث من احزان واوجاع استنكرته اشدّ استنكار و رأته ضربا من الوحشية ونوعا من الضراوة البهيمية

وهذا هو الذى يراه ناشئة اليوم فى منشور حقوق البشر وما تلقته على عاتقها جامعة الملل وعدلية لاهاى وهواة الصلح و السلام العالمى من تحريمهم للسلاح وحمله : كما حكم به كل مثالى طلع الى الوجود وكلّ متأله شخص به العيان و تناصرت عليه العقول من بدء نشأتها والذى يثير الغرابة اكثر واكثر هو أن هذه العدد القوية التى حرّمت القتل و القتال والتنازع و التخاصم هى التى نراها اوجبته وحثّت عليه وقامت به عملا فاعتزّت بالجهاد والسيوف والرماح والصواريخ والمدمّرات اكثر ممّا تعتزّ بأى شىء سواها فهى ان ندبت الى الطب والصنعة والعلم والثقافة و حرّضت الأفراد على التثقف والتعلم وشادت الكليات والجوامع واكثرت من خزائن الكتب واجازت المؤلفين والناشرين وحملة الأقلام فقد جعلت ذلك على الهامش من عنايتها بالموادّ المحرقة المدمّرة والآلات الفتّاكة المحطّمة والمعسكرات العظيمة والعسكريين الوفيرين : فهل ترى ان كلّ من فى الكون من سياسيين كبار ومثاليين عظام ومتألهين مقدسين وعقلاء مهمّين دجّال مكّار ومداهن مصانع او هل ترى ان العقول اسطورة والافكار خرافة وان كل ما فى الوجود ممّا يقال له انسان حيوان خالص لا يمتاز عن الذئب الكاسر والأسد الضارى الاّ بفارق الصورة مضافا الى ما يأتى عنه من تخريب اكثر وتدمير اوفر وتشويش للوضع على طول الزمان بما لا يقوى عليه الحيوان الأعجم : او ان الحقيقة وراء هذا وذاك نعم الحقيقة وراء ذلك كله لأن الأطاحة بشرف الخلقة الى هذا المقدار هضم للواقع المكشوف فى جملة من افراد الخلق الذين برهنوا على اخلاصهم للحقّ ونزاهتهم فى ترويجه عملا فلم يتكبروا اذ تأمّروا ولم يحتكروا حين اقتدروا ولم يظلموا حين حكموا وخدموا بجهدهم وما تقوى عليهم بناهم البدنيّة طيل ما عاشوا وعمّروا وماتوا عن لا شىء من المادة التى يتنافس عليها

الأحياء منذ اوّل وجودهم نعم باستطاعة كل فرد من أفراد البشر ان يكون مثاليا ما اعتنق عقله وضميره كما باستطاعته ان يقسو اكثر من الحيوان الكاسر ما مشى مع ميوله واهوائه ورغباته الأندفاعية وليس ذلك الذى عبرنا عنه مجرد تصوير وامكان بل أطلع العيان من مضايق الطرفين محقّقات خارجية فان الكون ومهما اسأنا الظنّ به قد احتضن وجودات اخلصت للحقّ و الحقيقة وعملت بهما كما احتضن الكثير الوافر من مدمرين ومخرّبين وطواغيت واصحاب عاهات خلقية ونفسية ٠

وانّما قلّ الفريق الأول وجودا وكثر الفريق الثانى افرادا لأن انضاج العقل وتدريبه ودرك المفاهيم بصورة محققة ليسا من الامور العادية مضافا الى انّ دكّ ميول النفس الطافحة عليها القريبة منها عمل يحتاج الى تحمل مشاق ومعاناة صعوبات وأىّ انسان يتحمل هذا العبأ الثقيل : دع عنك طبقة العوام وهلم الى طبقة المثقفين فانك ترى البروفسور فى علم النفس وعلم الاجتماع اذا وقف امام تلاميذه فى الكلّيات الراقية ينثر عليهم درر ا من المعانى والآراء الناضجة لكنّه لا ينفتل من مقامه هذا الاّ و تراه الفاسد المفسد الأرعن الأهوج الساقط المتهتك المستهتر الخليع ذلك لا لأنه لا يؤمن بشىء ممّا قال ورأى ولكنه يقدم رغيبته النفسية على محصول عقله المهذب والبشر وان كان حيوانا فى اصل جنسه الاّ انه يفترق عن مشاركاته فى الجنس بمواهبه الفكرية افتراقا له قيمته الراقية وثمنه البليغ واكبر دليل على ذلك ثمراته التى حصّلها من استخدام هذه المواهب واعطى من نفسه معجزات فى عالم الطبيعة وما هاته المعجزات الاّ بعض محصول تيك القوى التى يتبطنها غايته انه فى الأعم الأغلب يستخدم هذه المواهب فى المادة والماديّات ولا يلوى بها على جانب المعنويات التى هى الركيزة الاولى من الحياة فان الحياة البشرية لا تكون حيث لا يكون

الصدق اميرا والرفق زعيما والحقّ سلطانا والعفة شعارا والحياء وقارا و العطف واللطف عاملين قويّين واحترام العلائق المشروعة ضريبة لازمة وما الى ذلك من شرائف الصفات ومعالى الأخلاق والآداب ولتخلف هاتيه الصفات اللوامع فى دنيا اليوم عنى اكتضاضها بالآليات الطبيعية و الوسائل الماديّة تجد الحياة عابسة الطلعة كثيرة الويلات طافحة بالجنايات ساقطة الحركات مائعة فى كل اشيائها ولم يعد يؤثر منشور حقوق البشر ولا جامعة الملل ولا عدلية لاهاى ولا الدعوة الى الصلح و السلام العامّين ولا الكليات الراقية ولا الاساتذة البارعون فى الوضع الدارج اقلّ شيء ذلك لا لأن هذه المطالب لا مفهوم لها ولكن لاعامل بها : وكما هاض جنون التوحش بالسابقين من المتآمرين على الاجتماع البشرى فاعمل كل آمر رغبته النفسية فى طول الاجتماع المحكوم له وعرضه بالقوى الحادّة من دون أن يعرضها على عقلاء مجتمعه بل كانت تندفع به عرامة نفسه فيستخدم القوّة فى تنفيذها قبل الفكرة فى تحليلها فقد هاضت انواع من الجنون فى المتأخرين فأخذ كل آمر منهم بطغيان مدهش يفرض رأيه وهواه على ملايين الناس بقهر السلاح وقوّة العدّة : و عن هذا الجنون اندفعت الشيوعية والاشتراكية ودعاة خلع حجاب المرأة وتوحيد لباس الناس وعدم الاعتناء بالحريّات اللازمة والاعتداد بمستدعيات الناس المشروعة فالانتخابات مزورة والمجالس قشرية والمحاكم رمزية والقضاة جناة والأستبداد زائد على استبداد العصور الوسطى ـ فيما يقولون ـ فان تلك الأوساط كانت تملك السلاح كما تملكه الدولة فاذا رأت اقلّ فرجة من الزمان اندفعت على حكّامها الجائرين فأزالتهم عن عروشهم امّا الأوساط الحالية فقد ارهقها الأعنات حتى سلبها كلّ قوة تحاول من طريقها النهوض على قاهرها واستبدت الحكومات بأعلا وأدنى القوى

التى لا تبقى ولا تذر فاذا اندلع لسان بانتقاد وارد صبّ عليه من انواع العذاب مالم يحلم به الحجّاج بن يوسف ولا زياد بن أبيه : فمن هنا اتضح لك ان البشر وان كان عاقلا فى تفكيره لنفسه الاّ انه جاهل فى مشيه غير متعبد بعقله ولذلك اصبح كل انسان فى طريق صيانة نفسه واحراز حقه والأفراج لحريته محتاجا الى الأعداد من القوة الحامية لوجوده و حقوقه وآرائه ولما كان ذلك بصورة الانفراد والانشعاث غير مفيد ولا ناجع رأى البشر من مديد الزمان لزوم الجهاد و وجوب المبارزة لأحقاق الحقّ وانه لا يستطيع البقاء مع الضغوط الواردة عليه فى آناء الليل و اطراف النهار من الانتهازيين و المتمردين على انّه جدّ عالم ان مياد ين المبارزة لا تمحق طرفه فحسب حتى يعيش مرتاحا بل تأخذ منه ومن طرفه كلّ عزيز لكنّه مع ذلك اذا كان من الأحرار يقدم الموت الشريف على الحياة المتسفلة المترهلة واذا اتيح له أن يتوفق فقد عاش سعيدا .

وسوف نبحث فى الفصل الذى نعقده للجهاد ونشرح فيه ماورد عن أمير المؤمنين فى هذا الباب بحوثا مهمّة نثبت فيها ان الجهاد هو القاعدة الأساسية للحياة وبدونه لا يستطيع ان يملك الانسان حيثيته و لا شرفه ولاكدّ يمينه ولا آراء فكره ولا ناموسه الذى فى بيته ولا عقيدته الدينيّة ولا حريّته التى هى كل حياته ونكتفى من البحث فى هذا المقام بما اسلفناه وهو معنى قوله و الجهاد عزّا للاسلام .

* (٧ ــ ٨ ــ الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر) *

وهما قد يكونان باراءة العيان مكشوفا للاحداق كما يكونان بالأدوات الاخرى للتعبير من قلم او لسان او نحوهما والقسم الأول هو ما اشار اليه القرآن بقوله : قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان

عاقبة المكذّبين (آل عمران الآية ١٣٧) وقوله : أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور (سورة الحجّ الآية ٤٦) وقوله : أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا اشدّ منهم قوّة وما كان اللّه ليعجزه من شىء فى السموات ولا فى الأرض(سورة فاطر آية ٤٤) وقوله : اولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشدّ منهم قوّة وآثارا فى الأرض فأخذهم اللّه بذنوبهم وما كان لهم من اللّه من واق (سورة المؤمن الآية ٢١) فان اراءة الآثار الشاخصة نتيجة لعمل الخير والشرّ من اهمّ الدواعى لفعل الخير و الانتهاء عن المنكر فان الخير والشر بحكم الطبيعة يعطيان آثارهما امّا بسرعة وامّا ببطوء لا محالة والذى يستعرض حياة الانسان على محدّب الكرة استعراضا مقرونا بتثبت وتأنّى يقف على النتائج المتحصلة من فعله للخير والشر بتفصيل ومن هنا كانت قراءة التاريخ من اعظم الدواعى لاعتبار العاقل بما ترتب على حياة السابقين فضلا عن المعاصرين ولا ريب ان التوجه الى مثل ذلك يكسر من شرّة النفس ويقمع من نخوتها ويقودها الى فعل المعروف ويحيد بها عن فعل كل مالا يستحسن .

وامّا استخدام القلم واللسان والقدم والدرهم والوجه والقلب بالاقبال والأعراض فهو الطرح الآخر للأمر بالمعروف و النهى عن المنكر فلو ان كل غيور على الحقّ ولو لمصلحة نفسه ــ فان الحقّ ينفع العموم والباطل يضرر الجميع لو تدبر الناس مغبّة الحقّ والباطل ــ اعمل قلمه او لسانه او قدمه او درهمه او اقباله بوجهه وقلبه او اعراضه بهما فى تحقيق الحقّ ونصرة المحقين وقمع الباطل و المبطلين لكانت سيماء الحياة بشكل آخر فى كلّ اشيائها ولكنه اللؤم الذى مال بكثيرين بل الأكثرين فجرّهم صوب الانتهاز

يحسبان ان مسايرة الحقّ تقتل من الوقت زمنا طويلا ولا تؤتى عوائدها المتوخاة الاّ ببطوء امّا انتهاز الفرصة بالانحياز الى كلّ منفعة معجّلة ولو كانت من طريق الشحذ و التلصص فهو مالا يحتاج الى صبر وتأمل وامّا مصير العاقبة فلا يلتفت اليه الانتهازى لأنه يراه بعيدا عنه بالفعل ولو فرض سنوحه له عاجلا فهو له من دجله وتدليسه وتلوّنه بلون الوقت واظهار التوبة مندوحة وهذا اللون من العقيدة فى الحياة هوالذى كثّرالدجّالين والمدلسين والانتهازيين فى الأحياء وأمات المعروف واحيى المنكر فيما بين اطباقهم وبلبل اوضاعهم بما شاهده كلّ انسان فى عصره ومصره وهذا الداء لا دواء له من طرق الطبيعة وقد اسلفنا فى باب الايمان ما ينجع كثيرا فى هذا الفصل فليراجع وما اسلفنا ملخصه هو معنى قوله (ع) والأمر بالمعروف مصلحة للعوام لان الحيّز المهم من الاجتماع يشغله هذا الفريق والنهى عن المنكر ردعا للسفهاء لان فاعل الباطل سفيه يحتاج الى قيّم يشرف عليه وذلك هو المتقىّ العارف.

(٩ــ صلة الرحـــــم)

فصيلة من عنصر المواساة و وسيلة لتحصيل الروابط البشرية العامّة وتحصين الحياة من الانهيار وانّما ذكرها الشرع بالخصوص بعد ما وصّى بالمواساة العامة لامور :(١) انه لا يخلو انسان من رحم قريب او بعيد فاذا قام كلّ انسان بما يستطيع ولو بحسن المعاشرة الذى ادناه الابتداء بالسلام وردّه مع رحمه فقد حصلت المواساة العامّة بين الناس (٢) من النادر فى اطباق البشرية من يستطيع ان يمدّ يد المعونة للكثيرين من المعوزين ومالا يدرك كله لا يترك كله والأقرب للانسان ادنى لعاطفته من غيره (٣) ان كل انسان فى الحياة يحتاج الى مصونية تحفظه من تجاوزات

الأغيار عليه فان الحياة بالعرض أصبحت مجال مغالبة وميدان تنازع و هذه المصونية لا تتيسر له الاّ باستخدام بعض العواطف ولا اقرب اليه فى العاطفة من قريبه ما احسن اليه وكما اشرنا اذا قام كلّ انسان بما يستطيع من صلة ارحامه فقد حصلت المواساة العامّة المنشودة للّه ولعباد ه العقلاء: وقد عبّر اللّه عن الواصلين لأرحامهم بأنّهم من اولى الألباب: حيث قال : (سورة الرعد الآية ٢١ وما بعد ها) انما يتذكر اولوا الألباب الذين يوفون بعهد اللّه ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما امر اللّه به ان يوصل و يخشون ربّهم ويخافون سوء الحساب ـ الى قوله تعالى ـ اولئك لهم عقبى الدار جنّات عدن يدخلونها والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ـ ثم يقول سبحانه فى حقّ قاطعى الرحم : و الذين ينقضون عهد اللّه من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر اللّه به ان يوصل ويفسدون فى الأرض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار : وقد علّل الامام (ع) وجه الحثّ على صلة الرحم بانها تنمى عدد هم وذلك لوجهين :

(١) ان استقامة المعاشرة من العلل الطبيعية لكثرة التناسل وبقاء النسل .

(٢) ان الرحم وان كان كثيرا فى عدد ه لنفسه الاّ ان ذلك لا ينجع فى حقّ الرحم المنشمر المنحاز فتكثير الانسان اعداد ارحامه له انّما يكون بجلبهم الى جانبه و وسيلة ذلك الاحسان فقط فان الانسان ابن الاحسان كما قال المحنّكون من العقلاء .

(١٠ ـ القصاص)

القصاص فى الشريعة هو القتل فى مقابل القتل و قطع العضو فى

مقابل مثله وايقاع الجروح الخاصّة فى مقابل نظيرها وقد انتقد المتجددون هذه الخطة بان عملية القصاص معناها مضاعفة الخسارة على الاجتماع البشرى وذلك لا يجوز والجائز فقط هو معاقبة الجانى بما لا يأتى على نفسه او على طرف من اطرافه : نراهم يقولون ذلك ويدونونه فى قوانينهم وتجرى عليه عملا دورعد لهم الاّ انّا نراهم فى سبيل جلب المنافع الشخصية لهم فضلا عن دفع المضارّ عنها لا يتأثمون من احراق البشرية كلّها واماتة الناس بلا قيد ولا حساب فان الحروب العالميّة الجارفة التى حصلت فى الكون والتى قلبته رأسا على عقب انّما حدثت فى ازمان هؤلاء الجدد ولم يعرف الأسبقون منها عينا ولا اثرا هذا فضلا عن الدماء التى يريقها الاستعمار فى آناء الليل و اطراف النهار فى كلّ حدب و صوب : وامّا حديثهم عن الخسارة المضاعفة فهو من تشويه منظرة الحديث بالدجل و التدّليس فان البشر المنحرف كلّه خسارة على نفسه والمحافظة على حياته كالمحافظة على الحيوانات الضارية روما لتكثير التخريب واشاعة التدمير والافساح للمخرّبين والمدمرين وامّا تعللهم فى رفع هذه البلايا بوجوب اشاعة العلاجات الروحية بين الناس فهو تعلل زائف فان ذلك ان يكن فهو من صلاحية المثاليين الذين لا يعرفون السوء ولا يعرف السوء منفذا الى وجوداتهم وليس هو من شأن هؤلاء الاساتذة فى الكلّيات والجوامع الذين يلوكون القول بأشداقهم ولا تمضغه حلوقهم .

امّا المثاليون فى ادوارهم التى تسنّت لهم فقد عالجوا الأوضاع بكل صبر وطاقة واثّرت رياضتهم على فريق فآمن بالحقّ وثاب الى الصواب واخذ العقوق يغذّ بالفريق الآخر فما داواه الاّ حدّ السيف المرهف وبذلك تمكنوا ان يقرّوا الحقّ فى نصابه وهذا هو معنى قوله (ع) والقصاص حقنا للدماء .

* (١١ ــ اقامة الحدود) *

قرّرت الشريعة الحدود والتعزيرات على ارتكاب كلّ ما يوجب التجاوز على حقّ الغير مباشرة او تسبيبا او يوجد ثلمة فى بنيان الاجتماع البشرى نظير قطع الطريق والسرقة وتناول المسكر والزنا واللواط والقيادة وما الى ذلك ممّا هو مدوّن فى كتاب الحدود من الفقه الاسلامى : امّا الجدد فقد يعاقبون على بعض من ذلك كقطع الطريق و السرقة وامّا الأهمّ فى التخريب فقد اصبح شارة لكل متجدد مثقف كما يقول هو فى حقّ نفسه فقد جاء تناول المسكرات بينهم اوفر واحلّ من تناول الماء القراح لا عملا فقط بل تدوينا فى قانون وهكذا اصبح الزنا سيرة عالمية واللواط سنة مأخوذة تعين على اعداد دورهما الدول فضلا عن الافراد بل اصبح اغراء الذكران بالاناث وبالذكور ايضا لهجة القوّام على ممالكهم وتربية اجيالهم ومن هنا صار القذف بالزنا واللواط لا موضوعية له حتى يعاقب عليه وامّا سائر ماكان يعد جرما فى السنة الماضين من الغنا والرقص والقمار وما الى ذلك فقد اصبح النقطة الرئيسية البارزة فى حياة المجتمع سواء فى ذلك أعاليه و ادانيه فلايعرف انسان بثقافة اذا لم يعرف الرقص والغناء وممارسة الفجور والخمور وترى للقوم مسابقات فى المقارنة بين اللواط والزنا و ان ايّهما اوفر لذة و وقوعا عند الشهوة الجنسية فدنيا اليوم دنيا اهمال و توحش وافلات من قيود العقل والشعور الانسانى وما صفوف الكلّيات و الجوامع و رفوف الكتب فى الخزائن الاّ صور وشكليات فاقدة للجوهر جوفاء من الكمالات والمعارف وما وزارات الارشاد والتعليم الاّ ادوات وآلات مجرية لهوى السياسة الدارجة وليس لها فى نفسها مفهوم ما طلعت به من عنوان فما كلمات الارشاد والتعليم والثقافة والمعرفة على طرر ابوابها و

صدور قراطيسها الآ حروف مهملة فى حدّ ذاتها ومستعملة فى نقيض ما وضعت له بالنسبة الى الانعكاسات الخارجية : ولو كانت صادقة فى عنوانها هذا لأثّرت على نفوس الطلاب فكانت حركاتهم وسكناتهم وفقا للعلم والثقافة لكنّك ترى التلميذ أبعد فى الانحراف من الكاسب المجرّد وما ذاك الآ لأن الكاسب فى معزل عمّا يوجب اغراءه سوى الظاهرة العامّة بين الناس امّا التلميذ فهو يستلهم السوء من كتابه الذى يتأبطه و استاذه الذى يصابحه ويماسيه والسياسة التى تعمل فيه فى الخفاء اكثر ممّا تعمل له فى الظاهر : وحقّا ان المعارف الدارجة اصبحت من اعظم المغريات لتلاميذها بالجهل والانحراف ذكرانا كانوا ام اناثا فياللّه ٠

امّا الحدود التى قرّرتها الشريعة وجاء ذكرها فى الكتاب العزيز فهى ما جاء فى قوله تعالى (سورة المائدة الآية ٣٦) انّما جزاؤ الذين يحاربون اللّه ورسوله ويسعون فى الارض فسادا ان يقتّلوا او يصلّبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ٠

وقوله تعالى (سورة النور الآية ٢) الزانية والزانى فاجلدوا كلّ واحد منهما مأة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين اللّه ان كنتم تؤمنون باللّه واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ٠

وقوله تعالى (سورة النور الآية ٤) والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون : وقد جاء مبسوط هذا المذكور وغيره فى الكتب الفقهية ومن جملته ان الزنا اذا ثبت على الوجه المحدّد فى الشروح الفقهية وجب الحدّ وهو اقسام ثمانية :

(١) القتل وهو للزانى بالمحرم كالام و الاخت ٠

(٢) الرجم ويجب على المحصن اذا زنا ببالغة عاقلة ٠

(٣) الجلد خاصة وهو حدّ البالغ المحصن اذا زنا بصبية اومجنونة ٠

(٤) الجلد والجزّ للرأس والتغريب على الزانى الذكر الحرّ غير المحصن ٠

(٥) خمسون جلدة وهو حدّ المملوك والمملوكة ٠

(٦) الحدّ المبعّض وهو حدّ من تحرّر بعضه فانه يحدّ من حد الأحرار بقدر ما فيه من الحريّة ومن حدّ العبيد بقدر العبودية ٠

(٧) الضغث المشتمل على العدد المعتبر فى الحدّ وضربه به دفعة واحدة وهو حدّ المريض مع عدم احتماله الضرب المتكرر واقتضاء المصلحة التعجيل ٠

(٨) الجلد المقدّر ومعه عقوبة زائدة وهو حدّ الزانى فى شهر رمضان او غيره من الأزمنة الشريفة او فى مكان شريف او زنى بميتة ويرجع فى الزيادة الى رأى الحاكم : وفى التقبيل المحرّم والمضاجعة فى ازار واحد التعزير بما دون الحد ويعدم اللائط بالسيف او الاحراق او الرجم او بألقاء جدار عليه او بألقائه من شاهق ويعزّر من قبّل غلاما بشهوة بما يراه الحاكم وكذا يعزّر الذكران المجتمعان تحت ازار واحد مجردين وليس بينهما رحم من ثلاثين سوطا الى تسعة وتسعين : وحدّ السحق مأة جلدة : والقيادة وهى الجمع بين فاعلى الفاحشة من الزنا واللواط و السحق حدّها خمس وسبعون جلدة : وحدّ القذف ثمانون جلدة ويشهّر بالقاذف وتجتنب شهادته : ويقتل الساحر : وحدّ شرب المسكر والفقاع ثمانون جلدة : ويقطع السارق : وحدّ المحاربة وهى تجريد السلاح برّا او بحرا ليلا او نهارا لاخافة الناس فى مصر وغيره من ذكر وانثى قوّى او ضعيف كما ورد فى الآية القتل او الصلب او قطع يده اليمنى ورجله اليسرى

او النفى : واتيان البهائم يوجب التعزير بنظر الحاكم الشرعى :والمستمنى يعزّر : الى غير ذلك ممّا هو مبسوط فى الكتب الفقهية وانّما ذكرنا ماسلف لأعطاء نموذج ممّا جاء فى الشريعة للانحرافات الاخلاقية : وهذا معنى قوله (ع) واقامة الحدود اعظاما للمحارم وفيما يأتى توسع لبعض ما اجملناه آنفا .

* (١٢ ــ منع المسكرات) *

جاء فى (سورة البقرة الآية ٢١٩) يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما : وجاء فى (سورة ــ المائدة الآية ٩٣و٩٤) يا ايّها الذين آمنوا انّما الخمر والميسروالأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلّكم تفلحون انما يريد الشطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر .

لا يختلف اثنان من الأطباء ان المسكرات محتوية على كمّية قويّة من السموم وان النشاط الذى يجده الشارب ما هو الاّ اثر فعاليّة خلايا البدن السالم فى مكافحة هذه السموم نظير النشاط الذى يجد الغضبان حين غضبه والشارد حين خوفه فاذا انتهت مبارزة الخلايا وهفت الغضب وزال الخوف حصل كسل فاضح للانسان من الأعياء والتعب.كما اعترفوا ان المسكر يؤثر فى مخاط المعدة والأمعاء اثرا قهّارا فيأخذ من مخاطها الشىء الكثير وهو مضرّ بالصحة قطعا وامّا المنفعة التى يشير اليها القرآن فهى المنفعة المتحصلة من صنعه وبيعه وشرائه كالمنافع المتحصلة من الغروس والموادّ التى يستحصل منها التبغ والأفيون وغيرهما من الموادّ المخدرة لكنّ اثم كل ذلك اكبر من نفعه بكثير فانه ما من مستعمل لهاته المواد الاّ وهو فى حاجة الى اعداد مال طائل لتهيأة هذه الوسائل

واتلاف اوقات لها قيمتها لو فرّغت لعمل مثبت فضلا عن الأضرار المزاجية التى لا ينكرها انسان فى مدمنى الخمر و الترياك و الحشيشة والمورفين والهيروئين واخواتها حتى يؤل الأمر ببعضهم الى ان يصير جنازة و هو حىّ سالم من المرض لولا تأثير هذه الكحول القويّة على جميع اعضائه و اجهزته وكم شوهد من تأخر موعد استعماله امّا لفقره او لعدم المادة فى موعدها المقرّر فصار مختبلا او مجنونا وسرعان ما يأخذه الورم من قرنه الى قدمه وكم انسان مات على اثر ذلك وكم فى هذا السبيل ذهبت ثروة واطيح بشرف شريف وفتك بنواميس لها وزنها بل وكم حصل انتحار ومطاعنة بالسكاكين ومضاربة بالعصىّ وازهقت ارواح ونفوس وكلّ ما اسلفناه مشهور لكلّ احد فى كلّ عصر ومصر على الأخص فى هذه العصور التى اصبحت نقمة على اهلها وعارا فاضحا على الانسانية والى جملة من ذلك اشار تعالى بقوله انّما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر .

و عرف الباحثون فى التاريخ ان الامم عرفت المسكرات قديما وكانت تستخرجها من النباتات المختلفة كالعنب و البلح والحبوب وكان العرب يغلون الخمر حتى يبقى نصفها او ثلثها وكانت عندهم اشربة قويّة تصرع شاربها فى الحال وكان الانجليز دون الألمان فى شرب الخمر وكانوا تعلموا حسوها من السكسونيين الدانيماركيين فكانوا يستخرجونها من الحبوب والاثمار والعسل وكانت خمرهم قويّة جدّا ويعزى ظفر النورماندیين بهم فى الحرب الى ايثارهم للسكر فقد سكروا ذات ليلة وهم يناجزون النورماندیين فكبسهم هؤلاء وأعملوا فيهم السيف وملكوا بلادهم : وكان العكوف على السكر سبب هلاك ابن هنرى الأول ملك الانجليز فانه ذهب الى فرنسا فاقترن بابنة امير انجو وأبحر ليعود الى بلاده مع قرينته و

خاصته وبينما هم فى البحر سكروا سكرا مفرطا فأعملوا المجاذيف و نشروا الشراع فاصطدمت السفينة بصخرة وغرقت وغرق كل من فيها وكان عددهم ٣٠٠ شخص ولم ينج منهم الاّ رجل فقير ٠

و شاعت المسكرات فى بلاد الانجليز حتى قال بعضهم ان الناس لا يشربون الماء الاّ اذا استطابوا ترك الخمر وكان الشرب فى الولايات المتحدة الامريكية كثير الشيوع بل من لوازم المعيشة ولكنّهم فطنوا لمضارّها فقرروا ابطالها فى سنة ١٩٢١ فدّلوا بذلك على بعد همّتهم ثم وهنوا فعادوا الى تناولها :واماّ المسلمون فانهم لمّا اخذوا تقليد الغرب فريضة على انفسهم اندفعوا الى المسكرات وكافة المغريات اندفاعا هائلا فغالبوهم فى القبائح حتّى فازوا عليهم وتنزلوا عنهم فى الكمال حتّى أصبحوا عالة فقراء اذلاّء خاضعين يعبث بهم الاستعمار عبث الطوفان المزعج بامواج البحار وعوالى الاشجار ٠

والخمور على اختلاف انواعها متحدة من النباتات فان عصارة النبات تحتوى على مواد سكرية او نشوية مختلطة بموادّ زلالية هى واسطة تخمرها فمتى تعرّضت عصارة العنب مثلا للهواء على درجة حرارة بين ١٥ و ٢٠ـ تخمرت بسرعة واستحالت الى سائل كحولى يختلف مقدار الكحول فيه بين ٦و١٧ فى المأة : والى عصارة ما اسلفناه اشار (ع) بقوله وترك شرب الخمر تحصينا للعقل ٠

* (١٣ـ تحريم التلصص) *

وهو الاغارة على مال الغير بدون مجوّز ومنشؤه سقوط النفس وايثار البطالة على العمل واذا اعتاد عليه الانسان صار مهنة لا يفتر عنها صاحبها كما لا يفتر أهل المهن عن مزاولة اعمالهم ولو أثروا ثراء طائلا

وهى من اخسّ العادات وأقبح المزاولات وارذل الاتخاذات لما فيها من التجاوز على حقوق الاغيار بدون مجوّز ولا ستلزامها فى الأعـم الأغلـب للأضرار الجسمية على المسروق او السارق او عليهما معا وكم ادّى ذلـك الى القتل واراقة الدم والهياج والمقاتلة وتشويش الوضع وليس منشؤها كما يقال الحاجة والأعواز وعدم وجدان الأعمال المثمرة التى تقـوم ببلغـة الانسان فتنصرف به عن مزاولة هذه الارتكابات المشنوءة بل سقوط النفس من ناحية والأخلاد الى البطالة من ناحية ثانية والأطاحة بهذه الـروح موقوفة على عوامل اساسية ـ الأول ـ التثقيف الصحيح ولو بالاجبـار ـ الثانى ـ توسيع ميدان العمل للعاملين ـ الثالث ـ شدة العقـاب و المؤاخذة على السرقة بجميع انواعها وعلى عموم حالاتها : وكل واحد من هذه العوامل عضو رئيسى فى طرد هذه العائلة عن المجامع البشرية وامّا العقاب وحده فانه وان كان مؤثرا اتمّ التأثير فى قطع شأفة اللصوص كمـا حصل ذلك عملا فى المملكة السعودية على عهد بعض ملوكها الأشدّاء الّا انه لا ينجع فى رفع مستوى الناس وتحسين وضعهم المعيشى والى خلاصة ما حرّرناه يشير قوله (ع) ومجانبة السرقة ايجابا للعفة .

(١٤ ـ المنع عن الزنـا)

الزنا هو افراغ الشهوة الجنسية من غير زواج مشروع والزنا على انواع فمنه قسرى وهو مغالبة المرأة ومكابرتها على ناموسها وهو من اشدّ انواعه ومنه ما يكون مع الأحصان فى الطرفين او فى طرف واحد والمحصن اشـدّ جريمة من غيره : وانّما صحّ الزواج المشروع وحرم غيره عند عقلاء الاجتمـاع فضلا عن الشرائع الدينية فلأن الذكران والاناث بطبيعة غرائزهما ميّالون او مضطرون لأفراغ شهواتهما وموضوع اللقاح امر ثانوى لا نتكلم عنه هنـا

بعنوان اصل حيوى لا بدّ من تحقيقه لاستحصال النتائج منه لكن هـذا الافراغ لابدّ من تحديده لعدّة علل رئيسية ·

(١) ان افلات الشهوة من القيود ممّا يوجب ضراوة صاحبها وذلك ممّا يوجب التزاحم والتصادم بين الرجال على النساء فكم اوقع رجل برجل على هذا الحساب وكم قتلت نساء او جرحت من طريق هذا التزاحم وكم تسفل رجال ونساء من اجل هذا الأفلات والضراوة فعادوا لا يعرفون شغلا ولا عملا والأخلاد الى هذه الأعمال يوجب البطالة الموجبة لخلو اليد من المادة وانهيار المعيشة وهذا من العوامل القوّية التى ولّدت الشحاذين والنصّابين والنشالين واللصوص والأشقياء الى درجة توجب تشويش الوضع وزوال الامن ·

(٢) ان اللقاح ضرورى الحصول فى ملاقحة الرجل للمرأة وكل ما ينتج من غير أب شرعى وامّ شرعية سبيله الى التلف لأن اختلاط المياه يشوش النسبة الى أب خاص ولو فرض معروفيته لاتراه يحدب على الفرخ ولا يقوم بأدنى واجب له وهكذا الأم لا تعود تحضنه ولا تكلّف نفسها بالقيام به قطعا اذ هى فى صارف عنه بشواغل اخرى فالمحصول من هذا اللقاح امّا ان يتلف بعد تولده اذن فما اكثر الجرائم المسببة عنه وامّا ان يبقى فما أطول شقاءه فى الحياة بلا مسعد ولا حاضن ولا مربّى ولا معاون وهذا هو السائبة الذى يضرب بأهماله المثل ولو فرض قيام الدول بهذا المحصول من حين انفصاله من بطن امّه فانّ ما يحولونه للاجتماع حيوان خالص لا يعرف فضيلة ولا يستنكف من رذيلة وكلّ ما عبّرنا عنه له مصاديق فى الخارج شهدها الناس وعرفوا وخامة عواقبها ·

(٣) ان الأفلات الموجب لذاك الانهيار الذى تحدثنا عنه ما حق للأسر والبيوت وعواطف الرحم وفائدة علاقات الأسرة والبيت والرحم كونها

من خير المصونيات لحياة الانسان فان الانسان المجرّد من هذه العلائق غريب فى الحياة على طولها مستوحش فى صحته وفى مرضه خائف من وحدته وانفراده اذ لا عاطف يعطف عليه ولا انسان من الناس يسأل عنه او يتفقده وهذا المعنى ايضا قد شهده الناس فى الغرباء والمسيّبين ومن لا قريب لهم وتميّزوا ذلّته وحقارته وضعفه فى صحته ومرضه وشيبته و شيخوخته وبالأخرة فى موته حيث يعيش وحده ويموت وحده اذن فانعقاد الأسر وتشكيل البيوت من الأرفاقات المهمة بحياة الجميع على كلّ حال من احوال الحياة : وما اسلفناه بعض من المحاذير المهمة القائمة بالأفلات المذكور .

ولولا التزام الكثيرين فى العصر الحاضر المائع بالحياة الزوجية المشروعة البانية للأسر والبيوت والمولدة للأرحام والآباء والامهات والأولاد المحميين اتمّ حماية بآبائهم وامّهاتهم وارحامهم لكان للدنيا حساب آخر غير الحساب الذى نشهده اليوم على مافيه من فجوات كبيرة وانحرافات مهولة وانهيارات لا تعدّ ولا تحصى اذن فبعض جرائم الزنا هو ما ذكرناه واشار اليه الامام (ع) بقوله وترك الزنا تحصينا للنسل .

(١٥ـ حرمة اللواط)

اللواط هو افراغ الشهوة الجنسية فى الذكور وهو من الانحرافات المرذولة للشذوذ عن مبانى الطبيعة فان خلقة الذكر بطبيعتها ليست محلاّ لما يراد بالمرأة ولكن الشذوذ الهائل القائم بالانسان الذى يدعوه الى مغالبة البهائم قد يتسفل به الى ان يرتكب مالا يستحضره الفكر الانسانى من الرذائل وليست مزاولته ممّا تضيع النسل فقط بل ممّا تشيع الشذوذ والانحراف عن طريق الطبيعة .

* (١٦ ــ اقامة الشهادات) *

اقامة الشهادة لتركيز حقّ المحقّ من المعاونة على البرّ والاحسان و تثبيت العدل الاجتماعى بين الناس ومع التخلف عن القيام بوظيفتها تبطل الحقوق وتكثر دعاوى الباطل و تفسد المعيشة وذلك ما اشار اليه بقوله و الشهادات استظهارا على المجاحدات ٠

* (١٧ ــ الكذب) *

الكذب والصدق معنيان متقابلان فيقال الصدق على اراءة الواقع و الكذب على تزويره ولا ريب ان التزوير وقول الخلاف اضلال وتجهيل للمقابل وكل اظلال وتجهيل جناية بعكس الصدق فانه هداية وارشاد وكل هداية وارشاد احسان ومعونة والى هذا الملاك اشار (ع) بقوله و ترك الكذب تشريفا للصدق ٠

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

* (١٨ ــ افشاء السلام) *

لا ريب ان السلام تحية حسنة يواجهها المخاطب من قبيله فتكون وسيلة لجلب العاطفة و وليجة الى الاتصال والمحبه كما لا ريب ان التزمت والنيبوسة توجبان الجفاء واظهار التكبر على الطرف وذلك ممّا يزرع فى قلبه العداوة والرقابة وتأخذان بالشدة مادامنا على حالهما فضلا عمّا لو حصل منهما زيادة : والى ذلك الاشارة بقوله (ع) والسلام امانا من المخاوف ٠

* (١٩ ــ الأمانة) *

الأمانة هى ضبط النفس فى قبال حقوق الأغيار وانّما كانت نظاما للامّة كما قال (ع) لأن كسر الحدود والحواجز بين حقّ وحقّ يوجب تشويش الوضع وانهيار النظام واحتراز كل احد من كلّ احد ومجانبة الانسان للانسان وفى ذلك من التفكك مالا يأتى على نتايجه الوخيمة حساب و لا كتاب .

* (٢٠ ــ الطاعة) *

الطاعة هى رضوخ الانسان لمن له حقّ الحاكمية عليه وبذلك تكون واجبة وهى مقصود الامام (ع) من قوله والطاعة تعظيما للامامة لا وجوب الرضوخ لمطلق الحاكمين : ويأتى فى ابواب لسياسات ما ينجع فى هذا المقام .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وقال (ع) فى المعاد وقيام القيامة ومنقلب
الانسان من دنياه الى اخراه وما هوالحافظ
له فى نشأتيه

(١) امّا قوله فى الحافظ فى نشأتيه فخطبته التى يقول فيها يعلم عجيج الوحوش فى الفلوات ومعاصى العباد فى الخلوات و اختلاف النينان فى البحار الغامرات وتلاطم الماء بالرياح العاصفات واشهد ان محمّدا نجيب اللّه وسفير وحيه ورسول رحمته :

امّا بعد فاوصيكم بتقوى اللّه الذى ابتدأ خلقكم واليه يكون معادكم وبه نجاح طلبتكم واليه منتهى رغبتكم ونحوه قصد سبيلكم واليه مرامى مفزعكم

فان تقوى اللّه دواء داء قلوبكم وبصر عمى أفئدتكم و شفاء مرض اجسادكم وصلاح فساد صدوركم وطهور دنس انفسكم وجلاء غشاء أبصاركم وأمن فزع جأشكم وضياء سواد ظلمتكم فاجعلوا طاعة اللّه شعارا دون دثاركم ودخيلا دون شعاركم ولطيفا بين اضلاعكم واميرا فوق اموركم ومنهلا لحين ورودكم وشفيعا لدرك طلبتكم وجنّة ليوم فزعكم ومصابيح لبطون قبوركم وسكنا لطول وحشتكم ونفسا لكرب مواطنكم فان طاعة اللّه حرز من متالف مكتنفة ومخاوف متوقعة واوار نيران موقدة فمن اخذ بالتقوى عزبت عنه الشدائد بعد دنوّها واحلولت له الأمور بعد مرارتها وانفرجت عنه الأمواج بعد تراكمها وأسهلت له الصعاب بعد انصابها وهطلت عليه الكرامة بعد قحوطها وتحدبت عليه الرحمة بعد نفورها وتفجرت عليه النعم بعد نضوبها ووبلت عليه البركة بعد ارذاذها فاتقوا اللّه الذى نفعكم بموعظته ووعظكم برسالته وامتن عليكم بنعمته فعبّدوا انفسكم لعبادته واخرجوا اليه من حقّ طاعته .

(نهج ابن ميثم ج٣ ص ٤٤٢)

يريد (ع) ان الواجب تعالى احاط علمه بكل شئ بالظاهر الجاهر كصياح الوحوش فى الفلوات عاجّة اليه طالبة منه الفضل وبالمستور الخفى كمعاصى الخلق فى الخلوات لأنها هى مظانّ الجنايات والجرائم وانّما يرتادها العاصى لانها مستورة عن الناس فلا يفتضح بارتكاب المعصية حين يرتكبها والنينان جمع نون وهى الحيتان والبحار الغامرة هى الضافية بعمقها وكثرة مائها والاختلاف هنا هو الذهاب و الاياب وتلاطم الماء ضرب امواجه بعضا لبعض والرياح العاصفة هى الشديدة فى هبوبها ونجيب اللّه منتجبه ومصطفاه والسفير هو الواسطة الممثل و المراد بتقوى اللّه اخذ الحذر منه والتوقع لسطوته وبطشه على مديد رحمته طويل حلمه ذلك لانه لم يرد بما شرّع الاّ سعادة الأفراد ورفاههم فاذا تجنّوا على

ما شرّع فقد أفلتوا انفسهم عن النظام المقرر لسعادتهم ومتى خرجوا عن النظام فقد اطاحوا بحيثية الاجتماع وشوّهوا منظرة الحياة واستشرت منهم الاساآت وكثرت من طريقهم الويلات هذا والحاكم قادر حكيم والمشتكى اليه عادل مسيطر فكيف لا يؤخذ المتجرم اخذ عزيز مقتدر ولا يؤدب المتمرد بما هو جزاؤه ونكاله ٠

ثم وصف هذا المقام الشامخ المنيع الذى اوصى العباد بتقواه بما يكشفه اتمّ كشف للسامع حتّى يزداد معرفة بموقفه منه فقال هو الذى ابتدأ خلقكم فأنتم صنعته واليه يكون معادكم فلا مفرّ لكم منه وبه نجاح طلبتكم اذ لا يقوى على تحصينكم غيره واليه منتهى رغبتكم اذ كل مسؤل ربّما استولى عليه العجز وحاق به القصور الاّ ربّ العزة الذى بيده ناصية الأمور ونحوه قصد سبيلكم اينما تولوا فثم وجه اللّه لأحاطته بالكون والكائنات واليه مرامى مفزعكم فان المحيط بكل شئ يكون هو المقصد والملجأ وبعد أن عرّف المقام الذى يجب ان يخشاه الانسان اتمّ خشية اوضح للسامعين فوائد التقوى وعوائدها فقال انّ تقوى اللّه دواء داء قلوبكم فان كل قلب اذا اهمل وكلّ نفس اذا افلتت عادا من طريق خبطهما فى الجهالات عالقين بأمضّ الأمراض واشدّها وتقوى اللّه القائمة بمجانبة الآثام والجرائم هى الدواء الوحيد لهذا الداء وبصر عمى افئدتكم اذ لا ريب ان ملازمة الفؤاد للغىّ و الجهالة عمى له وبصره انما يكون بتنويره بنورالحقّ وتبصيره بالمعارف الراهنة والعمل بها وذاك هو التقوى: وشفاء مرض اجسادكم لا ريب ان الانحرافات تمرض البدن وتقصر الأعمار لأنّ مزاولة المحرّمات من لازمها ذلك والتقوى بالاقتصار على الحلال المباح شفاء هذا المرض: و صلاح فساد صدوركم لأن الجانى المجرم فاسد الصدر مظلم الضمير و صلاحه منوط بتجافيه عن الارتكابات الباطلة والأعمال الجاهلة : وطهور

دنس انفسكم اذ لا شكّ ان الأعمال الصالحة التى هى ملاك التقوى طهور سابغ يزيل أدران النفس وادناس الجسم وجلاء غشاء ابصاركم لان العصاة بانشمارهم عن جادة الحقّ بمنزلة العمى الذين لا يبصرون الوهدة من النجدة فتراهم فى الأعم الأغلب هاوين فى القعور البعيدة : امّا السالك فى جادة الصواب المستضىء بنور المعرفة فذاك مخفور دائما بهداه محفوظ بتقواه : وأمن فزع جأشكم لان المنحرف خائف ومهما كان قاد را محاذر دائما من وقوعه فى احضان جرائمه و وخيم عواقبه ولا أمان فى الحياة الاّ للطاهر النزيه : وضياء سواد ظلمتكم لأن الاجرام دائما وليد الجهل او التجاهل بالحق امّا المستنير بنور علمه فهو مأمون الخطأما دام ملتفتا وبعد ان عرفهم بنتائج التقوى وثمراتها العظيمة الزمهم الزام العقلاء بنتيجة ما حكموا بصدقه واعترفوا بحقه فقال (ع) فاجعلوا طاعة اللّه شعارا دون دثاركم ومتى اعتقد الانسان ان ربّه منه اقرب اليه من حبل وريده واستحضر ذلك فى نفسه كانت طاعة اللّه اقرب الأشياء اليه والشعار اقرب الى صاحبه من دثاره بل ترقّى (ع) عن ذلك و وصّى بالقرب من طاعة اللّه اكثر فقال ودخيلا دون شعاركم اى ممازجا لكم اقرب من الشعار اليكم بل شبّه طاعة اللّه باللطائف التى تمازج البواطن فقال ولطيفا بين اضلاعكم لتكونوا متمحضين الى الطاعة بعيدين عن المعصية : واميرا فوق اموركم يحكم على الأعضاء وكافة الأشياء فيكم ومنهلا لحين ورودكم منه تأخذون وعليه تردون ،وشفيعا لدرك طلبتكم فان شفاعة الطاعة لا تردّ ولا تحتاج الى وسيط خارج،وجنّة ليوم فزعكم تقيكم كلّ ضرّ وخوف يوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات والأرض ومصابيح بطون قبوركم فانّ الانسان الخيّر المتقىّ مغمور بنور الصدق والعمل الصالح اينما يكون على الأخص فى عالم معناه ،وسكنا لطول وحشتكم حيث يفارق الانسان كل شىء سوى

ضميره فان كان نيّر الضمير سرّ و أنس وان كان مظلمه حزن واستوحش و نفسا لكرب مواطنكم فان عمل الخير والشعور بآثاره الطيبة ينفس عن الانسان كل كربة ويخفّف عنه كل مشقّة بالوجدان ،فان طاعة اللّه حرز من متالف مكتنفة بحياة الانسان غير المطيع وامّا الطائع فلا يجد متلفة بالمرة لأنّ ذلك من نتائج الانحراف ومخاوف متوقعة لان عمل الشرّ يحقّق اثره ولو بعد حين ،واو ار نيران موقدة اجّجها الشرّ لفاعله والجنايات لمرتكبها فمن اخذ بالتقوى عزبت عنه الشدائد بعد دنوّها لان الشدائد وليدة المصادمات والمزاحمات والانتهازات الباطلة والمتقى فى معزل عن كلّ ذلك فلا تقرب منه الشدائد واحلولت له الامور بعد مرارتها فان من يروض نفسه على الخيرات ويكتفى بما تيسر من الحياة لا يعود فى الم من اىّ شئ يفرض لتجافيه عن المادّة التى هى محور الآلام والشدائد والأذايا .

وانفرجت عنه الأمواج بعد تراكمها لأن تموّج الحياة وليد رغبات النفس التى تطغو على صاحبها فتطلب منه فى كل آن لونا من الوان الشهوات والمتقى ليس من هذا الرديف ،وأسهلت له الصعاب بعد انصابها واتعابها لان الحياة المادّية القائمة على الشهوة تتعب صاحبها وتنصبه وتكثر له الصعوبات فى طريق حياته وهطلت عليه الكرامة بعد قحوطها بما تيسر له من الانشمار عن رغبات نفسه الرعناء .وتحدبت عليه الرحمة بعد نفورها لأن الرحمة ليست من ملابسات المعاصى والانحرافات والانغماس فى المادة والشهوات فمتى تجرّد الانسان عن ذلك كانت قريبة له مصاحبة لخطواته واشواط حياته .وتفجرت عليه النعم بعد نضوبها وتلك هى النعم الواقعية التى لا يشوبها اذى ولا تقترن بعواقب وخيمة فلا ترى المتقى الاّ متنعما براحة قلبه من التذبذب الى الشهوات وجسمه من عناء مطاردة المادّيات ،و وبلت عليه البركة بعد ارذاذها فان الصابئ

الى شهوات الدنيا قد تتنسم عليه احيانا نسائم الراحة حيث يخلو من المزاحمات الاّ ان ذلك لا يطول به لاعتياد نفسه على مطاردة الحياة و ابنائها وميدان المطاردات الشهوية لا يخلو صاحبه من التعب المجهد وان سلمت اعضاؤه من الكسر احيانا، فاتقوا اللّه الذى نفعكم بموعظته ولم يهملكم لانفسكم ووعظكم برسالته حين قال وما كنّا معذّبين حتى نبعث رسولا وان جاز له ذلك ايكالا للانسان الى مشاعره المصاحبة له منذ حىّ الى ان يموت وامتنّ عليكم بنعمته حيث قرنكم بالعقول وعقّبها بأرسال الرسل وانزال الكتب فعبّدوا انفسكم لعباداته اى هيّؤها لذلك واخرجوا اليه من حقّ طاعته بامتثال الوظيفة .

(٢) وامّا قوله فى منقلب الانسان من دنياه الى اخراه فكلامه الذى قاله قبل موته ايّها الناس كلّ امرئ لاق ما يفرّ منه فى فراره والأجل مساق النفس والهرب منه موافاته كم اطردت الايام ابحثها عن مكنون هذا الأمر فأبى اللّه الاّ اخفاءه هيهات علم مخزون امّا وصيّتى فاللّه لا تشركوا به شيئا ومحمّد (ص) فلا تضيّعوا سنته أقيموا هذين العمودين واوقدوا هذين المصباحين وخلاكم ذمّ مالم تشردوا حمل كلّ امرئ منكم مجهوده وانا اليوم عبرة لكم وغدا مفارقكم غفر اللّه لى ولكم ان ثبتت الوطأة فى هذه المزلّة فذاك وان تدحض القدم فانّا كنّا فى افياء اغصان ومهبّ رياح وتحت ظلّ غمام اضمحلّ فى الجوّ متلفقها وعفا فى الارض مخطّها وانّما كنت جارا جاوركم بدنى اياما وستعقبون منّى جثة خلاء ساكنة بعد حراك وصامتة بعد نطوق ليعظكم هدوئى وخفوت اطراقى وسكون أطرافى فانّه اوعظ للمعتبرين من المنطق البليغ والقول المسموع وداعيكم وداع امرئ مرصد للتلاقى غدا ترون ايامى ويكشف لكم عن سرائرى وتعرفوننى بعد خلو مكانى وقيام غيرى مقامى . (نهج ابن ميثم ج٣ ص٢٠٧) .

ايّها الناس انتم بالنسبة الى الموت اسراؤه وان ارخى لكم وكل امرئ لاق ما يفرّ منه فى طريق فراره ذلك لأن فرار الانسان من الموت بمراجعة الأطباء وتناول الأدوية بالأخرة يورده الى الموت نفسه بانقضاء ايّامه المضروبة له ولا فرار منه يؤدى الى نجاة نهائية والأجل مساق النفس و طريق اتصالها بتحتمه ونهاية الهرب من الموت انّما تكون بموافاة الموت وانا بالنسبة الى مصرعى الأخير كم اطردت الأيّام واستعرضتها امامى لأقف من طريق بحثى عمّا سترعلىّ من خبر مصرعى : وبحثه عليه السلام عن ذلك امّا بالسؤال من الرسول الأكرم وامّا بمراعاة ما يقترن به من شتات الأحوال فأبى اللّه الاّ اخفاءه استئثارا بما خصّ نفسه به من علم ذلك ومن هنا قال هيهات علم مخزون : امّا وصيتى ايّاكم فاللّه لا تشركوا به شيئا فلا تعوّلوا على احد ومهما كان ولا تتكلوا على شىء ومهما كان له من شأن فان الذى بيده ناصية الامور كلها هو اللّه وحده وكلّ انسان وزن الخالق بهذا الميزان أطاعه فى شرائعه وقام بوظائفه الملقاة على عاتقه : ومحمّد (ص) فلا تضيعوا سنته المتلقاة عن اللّه فانه ما ينطق عن الهوى ان هو الاّ وحى يوحى اليه وعلم من المبدأ وضع بين يديه أقيموا هذين العمودين تعاليم اللّه القائمة بتوحيده وقيمومته على العالم كلّه وسنة نبيّه فانهما العمودان الحاملان للكون والكائنات والضامنان لسعادة الانسان فى الحياة :وأوقدوا هذين المصباحين اى حافظوا على نورهما بالمعاهدة لهما والاستضاءة بهما فانكم اذا فعلتم ذلك فقد بعد عنكم كل ذم وقربت منكم كل محمدة الاّ أن تشردوا عن هذا المبدان بضعف المقاومة وانه تعالى حمّل كل امرئ من الناس مجهوده الذى يستطيع بذله فى معرفة الحقّ والتزود من اليقين بالمعارف فالعالم المتفرغ غير الكاسب المكدود وعمّار الحواضر غير سكّان البوادى ومن اتيح له ابوان ناصحان مشفقان غير من اهمله اهله واغفله .

المسؤلون عن تربيته واذا كان الجهل من هذا الطراز فقد خفف المسؤلية عن الجهلة ربّ رحيم و د ين قويم اى قائم على الموازين المنطقية فلايجور ولا يكلّف فوق المقدور وامام عليم وهو الرسول الأكرم الذى يضع الهناء مواضع النقب: امّا انا فقد كنت بالأمس صاحبكم أصارع الحياة واناجز الأبطال واقوم بكل ما يقوم به الحىّ الصحيح السالم النشيط وانا اليوم حيث ترونني ملقى على فراشى طريح وسادى رخو الأعضاء قليل الغناء عبرة لكم ولكلّ من يقيس يومى هذا بأمسى ذاك وغدا مفارقكم اذ لابدّ من الموت فى قريب عاجل او امهال آجل غفر اللّه لى ولكم ما علمناه ومالم نعلمه وهذه الكلمة لابدّ ان يقولها كل انسان وان كان متقيا جهده حذرا من أن يسأل عن واقع وان كان قد عذر فيه لانستار الغيب عن علمه: فان بقى قدمى مستقرّا على احناء هذه الحياة وثبتت الوطأة فى مزلّتها هذه فذاك اى فنحن كسائر من يفجأ بصادم فيصرفه اللّه عنه ويتفضل عليه باستمرار الحياة و ان تدحض القدم وينفذ القدر امره فلا عجب فان حياة الحى ليست بأوسع من فىء الغصن وما اسرع تقلصه وهكذا مهبّ الريح لا يكاد يطول فما أقرب انقلابه الى السكون ومثله ظلّ الغمام فسرعان ما يزول بتفرق المتلفق منه فى الجوّ وعفاء ما تساقط من قطراته فى الأرض فتطلع السماء مشرقة بشمسها والأرض مطلسة بيبسها: وانا حين كنت بينكم كنت جارا لكم جاوركم بدنى أيّاما وستعقبون منّى جثة خلاء من الحياة ساكنة بعد حراك وصامتة بعد نطوق وافصاح ليعظكم هدوئى بعد الحركة وخفوت اطراقى ومهما طال به الزمان وسكون اطرافى بعد ما كانت عليه من شدة أسر وقوة بطش فان شهود الحالات المتبادلة برؤية العين التى ما فيها شكّ ولا ريب اوعظ للمعتبرين المتميّزين من المنطق البليغ والقول المسموع فانّه لا يقوم مقام تجسيم الواقع وتمثيل الحقائق شىء من المفصحات ومهما وفقّت فى التعبير

وانا اذ اودعكم بارتحالى عنكم فانّى راصد للالتقاء بكم يوم يجمع اللّه الخلق ليوم الحساب ثم عطف (ع) عليهم ليعرّفهم غنيمة وجوده بين ظهرانيهم وانّهم حين يفقدونه يفقدون كلّ شيء فى الحياة الواقعية فقال كلمته الأخيرة التى لفظها مع آخر انفاسه غدا ترون ايّامى ويكشف عن سرائرى وتعرفوننى بعد خلو مكانى وقيام غيرى مقامى وتحققت هذه النبوءة بلافاصلة من رحلته الى الملأ الأعلا حيث جاء كلّ جلف جاف ومستهتر خليع وجاهل مغرور ومأفون ساقط لا تلتقى الشفتان بالافصاح عمّا قامت به هويته المنحطّة وذاته الفاسدة اميرا على أصقاع او ملكا على كافة البقاع لا يعرف غير الجهل و الشهوة والصبوة والنزوة يتحكم بالحياة والأحياء تحكم المجانين ويسوقهم الى البؤس والشقاء مقهورين مرغمين فلا حرمة لكبير ولا عطف على صغير ولا ارفاق بعاجز ولا لطف بضعيف ولا تمييز بين الفاضل والجاهل والعالم والعامّى والمسيء و المحسن والانسان والحيوان والفضيلة والرذيلة ولا احقاق لحقّ ولا ابطال لباطل.

نعم هناك عرف معاصروا علىّ ومحكوموا امارته كيف تعبث بهم اوغاد الدهر وتتلاعب بكراماتهم سماسرة الخلاعة واذناب البشرية والذين قاتلوهم ليتأمروا عليهم لا ليقيموا بينهم ميزان الحقّ ولا ليسلكوا بهم منهج الصدق ذلك لانهم ليسوا من هذه المقولة بالمرّة ولا يمتّون الى الانسانيّة بأدنى نسب او سبب وكفى العيان برهانا على ذلك فى طول سلاسل اجيال المسلمين واهل الزعامات فيهم بعد علىّ من خليفة او ملك اووزير او أمير ممّن لا يزن جناح بعوضة من دين او وجدان وامان او ايمان وعطف ولطف وخشونة فى ذات الحقّ او ابطال للباطل ودحض للفسق و الفاسق نعم واجهت البشرية كل ارهاق واعنات من تسبيبها ذلك لنفسها حيث استبدلت الفضيلة بالرذيلة والدين بالألحاد والعلم بالجهل والمعروف

بالمنكر والاتقياء بالسفهاء فذاقت وبال امرها من صعاليك تكثر فى حقّهم كلمة الصعلوك لو اطلقت عليهم وان كال الدجّالون لهم انواع المدح بمكاييل لم يكيلوا مثلها للانبياء فضلا عن عباد اللّه الصلحاء : نعم هناك اخذت الأجيال تتمنّى ايّام علىّ وحكومته ذاك المغوار الربّانى الذى حاول ان يطيح بدنيا الأرجاس والأدناس ويخلق من الوجود جامعة تعجّ بالفضائل والأفاضل ولا غرابة فقد كان عالما جهبذا ومثاليا عارفا و انسانا اكثر ممّا تحتويه هذه الكلمة وبطلا تهابه المنايا وزاهدا الى اقصى حدّ ممكن فى الدنيا وشريفا فى نفسه واخلاقه وبيته وتربيته فوق حدود الشرف وليس فى مجموعة بنى ادم من جمع هذه الأوصاف الاّ القلائل الذين اختارهم اللّه لأداء رسالته والقيام باعباء امامته فلابدع اذا كانت حكومة علىّ حكومة عادلة ماخاس فيها حقّ ولا انهزم عن ميدانها محقّ ولا غيّر فيها حكم ولا ارتجل فيها شرع ولا ارخى فيها لغير مستحق .

و هناك انكشف لسكّان الأرض وعمّار السماء ان علىّا كان يتبطّن سرّ اللّه وسريرته وتضطم جوانحه على روح مقياس الانسانيّة الأعلا محمّد (ص) : نعم عرفك الدهر كلّه يا علىّ بعد خلو مكانك منك وقيام غيرك فيه فقد عمّت الظلمة مكان ذاك النور والجهل فضاء ذاك العلم وامتظت الرذائل عروش تيك الفضائل وقام الأراذل فى مقام مربّى الأفاضل وتحوّل كل شىء عن نصابه وانبعثت الى الوجود ارواح تتناكر ولا تتعارف و تتباعد ولا تتآلف فقد اغرقت فى اللؤم حتّى لم تبق منزعا واغذّت بجهلها فى كل مكان حتّى لم تترك موضعا فانّا للّه وانّا اليه راجعون مصاب جلل وبؤس لا ينقضى وامنيّة مالها فى الدهر من محقّق .

(٣) وامّا قوله فى المعاد وقيام القيامة فهذه القطعة من خطبته الواسعة اوصيكم عباد اللّه بتقوى اللّه فانها الزمام والقوام فتمسكوا بوثائقها

واعتصموا بحقائقها تؤل بكم الى اكنان الدعة واوطان السعة ومعاقل الحرز ومنازل العزّ فى يوم تشخص فيه الأبصار وتظلم الاقطار وتعطّل فيه صروم العشار وينفخ فى الصور فتزهق كلّ مهجة وتبكم كل لهجة وتذلّ الشمّ الشوامخ والصمّ الرواسخ فيصير صلدها سرابا رقرقا ومعهدها قاعا سملقا فلا شفيع يشفع ولا حميم يدفع ولا معذرة تنفع (نهج ابن ميثم ج٣ ص٤٣٢)

و هذه القطعة ايضا من خطبة اخرى: حتى اذا تصرمت الأمور و تقضت الدهور وازف النشور اخرجهم من ضرائح القبور واوكار الطيور وأوجرة السباع ومطارح المهالك سراعا الى امره مهطعين الى معاده رعيلا صموتا قياما صفوفا ينفذهم البصر ويسمعهم الداعى عليهم لبوس الاستكانة وضرع الاستسلام والذلّة قد ضلّت الحيل وانقطع الأمل وهوت الافئدة كاظمة وخشعت الأصوات مهيمنة وألجم العرق وعظم الشفق وأرعدت الاسماع لزبرة الداعى الى فصل الخطاب ومقايضة الجزاء ونكال العقاب ونوال الثواب . (نهج ابن ميثم ج٢ ص٢٣٨)

امّا مفردات القطعتين ،فقوله (ع) انها الزمام والقوام ،يريد به ،ان التقوى هى الزمام الوحيد لجرّ النفس من حضيض المادة الى اوج المعنى وانّها قوام الوجود الانسانى وبدونها لا يكون هذا الكائن انسانا الّا بشكله فقط والوثائق جمع وثيقة وهى المدارك التى تطمئن النفس معها و تثق بها وهى فى عالم الدين كل ما يقرّب العبد من المعبود والاعتصام هو التمسك والحقائق هى الامور المتركزة الراهنة وتقال فى قبال القشريّات والأمور التى لا تحقق لها وحقائق التقوى هى العقائد والأعمال الثابته من الدين على لوح الواقع : والأول هو الرجوع والعود : والأكنان جمع كن هى المواطن والدعة الراحة والاستقرار : واوطان السعة فى مقابل الأماكن الضيقة المحرجة التى تضيق فيها نفس الانسان : والمعاقل جمع معقل

هى الحصون والملاجىء والحرز هو المكان المؤتمن : شخوص البصر رفعه الى فوق بحالة الانتظار : واظلام الاقطار كناية عن انكدار الشموس و الأقمار والنجوم : والصروم جمع صرم وصرمة وهى القطعة من الأبل نحو الثلاثين والعشار جمع عشراء وهى الناقة التى مضى لحملها عشر اشهر او ثمانية او هى كالنفساء من النساء : والصور هو القرن ينفخ فيه او البوق: زهوق المهجة خروجها عن البدن : والبكم هو الخرس : الشمّ الشوامخ هى الجبال المرتفعات وذلّتها تهافتها : والصمّ هى الصخور المتصلدة التى لامنفذ فيها لصلابتها والرواسخ الثوابت: الحجر الصلد هوالياس الشديد : والرقرق المتموج للبصر: والمعهد هو المكان المأنوس بالسّكان: والقاع الأرض الخالية والسملق الصفصف الذى لاعوج فيه ولاأمت: والحميم شديد الصداقة : والتصرّم والتقضى بمعنى واحد وهو الانقطاع والانتهاء: ازف قرب والنشور خروج الموتى من قبورهم : والضرائح جمع ضريح المكان الذى يوضع فيه الميّت من القبر : والأوكار اكنان الطير واوجرة السباع جحورها والمطارح جمع مطرح المكان الذى يطرح فيه الشىء والمهالك جمع مهلكة : مهطعين اى مسرعين مقبلين خائفين : والرعيل الجماعة والصموت السكوت: ينفذهم يراهم رؤية حقيقية : ويسمعهم الداعى :اى انهم واجدون لكافّة جهازات الانسان الحىّ السالم : واللبوس اللباس والاستكانة تنزّل النفس والضرع الخضوع والضلال عدم الاهتداء : هوت الأفئدة اعطت نشاطها من يدها : كاظمة حابسة لحيرتها : والهيمنة الصوت الخفى : الجم العرق اى انّه اخذ جميع اطراف الانسان حتّى وصل منه الى موضع اللجام وهو الفم من الحيوان : والشفق الخوف والحذر: و الزبرة مصدر للمرّة هو الانتهار: فصل الخطاب هو الخطاب الفاصل و مقايضة الجزاء مبادلته .

والذى أفاده (ع) فى هاتين القطعتين خلاصة ما أفاض به اللّـــه سبحانه فى قرآنه المجيد ونحن نسرد جملة من الآيات القرآنية الواردة فى ذلك ارصادا للبحث الذى نقوم به حول هذا الموضوع ·

فقد جاء فى سورة القارعة : يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش ·

وجاء فى سورة العاديات: أفلا يعلم اذا بعثر مافى القبور وحصّـــل مافى الصدور ·

وجاء فى سورة الزلزال : اذا زلزلت الأرض زلزالها واخرجـــت الأرض اثقالها ·

وجاء فى سورة الفجر: كلاّ اذا دكّت الأرض دكّا دكّا ·

وجاء فى سورة الانشقاق : اذا السماء انشقّت واذنت لربّها وحقّـــت واذا الارض مدّت والقت مافيها وتخلّت ·

وجاء فى سورة الانفطار: اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثـــرت واذا البحار فجّرت واذا القبور بعثرت ·

وجاء فى سورة التكوير: اذا الشمس كوّرت واذا النجوم انكدرت و اذا الجبال سيّرت واذا العشار عطّلت واذا الوحوش حشرت واذا البحار سجّرت·

وجاء فى سورة النازعات: يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلـــوب يومئذ واجفة أبصارها خاشعة ·

وجاء فى سورة النبأ : ان يوم الفصل كان ميقاتا يوم ينفخ فى الصـــور فتأتون افواجا وفتّحت السماء فكانت ابوابا وسيّرت الجبال فكانت سرابا ·

وجاء فى سورة المرسلات: انّ ما توعدون لواقع فاذا النجوم طمســـت واذا السماء فرجت واذا الجبال نسفت ·

وجاء فى سورة القيامة : يسأل ايّان يوم القيامة فاذا برق البصـــر و

خسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الانسان يومئذ اين المفرّ ·

وجاء فى سورة المدثر : فاذا نقر فى الناقور فذلك يوم عسير ·

وجاء فى سورة المزمل : يوم ترجف الارض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا ·

وجاء فى سورة المعارج : فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتّى يلاقوا يومهم الذى يوعدون يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم الى نصب يوفضون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ·

وجاء فيها ايضا يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن ·

وجاء فى سورة الحاقّة : واذا نفخ فى الصور نفخة واحدة وحملت الأرض والجبال فدكّتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهى يومئذ واهية ·

وجاء فى سورة الواقعة : اذا رجّت الأرض رجّا وبسّت الجبال بسّا فكانت هباء منبثّا ·

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وجاء فى سورة الرحمن الآية ٣٧ : فاذا انشقّت السماء فكانت وردة كالدهان ·

وجاء فى سورة الطور الآية ٩و١٠ : يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا ·

وجاء فى سورة (ق) الآية ٤٤ : يوم تشقّق الأرض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير ·

وجاء فى سورة الزمر الآية ٦٨ : ونفخ فى الصور فصعق من فى السماوات ومن فى الأرض الاّ من شاء اللّه ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون ·

وجاء فى سورة (يس) الآية ٧٨ : وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من

يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى انشأها اوّل مرّة ـ الى ان يقول ـ أفليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلّاق العليم ٠

وجاء فى سورة الحجّ الآية ٦ و٧ : ذلك بأن اللّه هو الحقّ وانه يحيى الموتى وانّه على كل شئ قدير وان الساعة آتية لا ريب فيها وانّ اللّه يبعث من فى القبور ٠

وجاء فى سورة الأنبياء الآية ١٠٤ : يوم نطوى السماء كطىّ السجلّ للكتب كما بدأنا اوّل خلق نعيده وعدا علينا انّا كنّا فاعلين ٠

وجاء فى سورة طه الآية ١٠٢ ومابعدها : يوم ينفخ فى الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربّى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لاترى فيها عوجا ولاامتا يومئذ يتبعون الداعى لاعوج له و خشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع الاّ همسا ٠

وجاء فى سورة الكهف الآية ٤٨ ومابعدها : ويوم نسيّر الجبال و ترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا وعرضوا على ربّك صفّا لقد جئتمونا كما خلقناكم اوّل مرّة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين ممّا فيه ويقولون ياويلتنا مالهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولاكبيرة الاّ أحصاها و وجدوا ماعملوا حاضرا ولا يظلم ربّك احدا ٠

وجاء فى سورة ابراهيم الآية ٤٢ : ومابعدها : ولا تحسبنّ اللّه غافلا عمّا يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعى رؤسهم لا يرتدّ اليهم طرفهم وافئدتهم هواء فلاتحسبن اللّه مخلف وعده رسله ان اللّه عزيز ذو انتقام يوم تبدّل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا للّه الواحد القهّار ٠

ودونك تفسير مفردات ما سلف من الآيات على الترتيب :

(١) القرع هو الضرب الشديد وقوارع الدهر شدائده واشير بذلك الى يوم القيامة لما فيه من الفزع الهائل والفراش هى هذه الحشرات التى يشاهدها الناس متهافتة على النور والنار والمبثوث هو المتفرق فان الفراش اذا ثارت اتجهت الى جهات متعددة منشعثة والعهن المنفوش هو الصوف ذو الألوان المندوف فانه بوسيلة الندف ينبسط بعد التجمع ويلين بعد الخشونة ويتهافت بعد التماسك وهكذا تكون الجبال بعد ان يدكّها الله منهارة متجزءة متفرقة ذات الوان متعددة بتعدد الوان حجارتها التى كانت بانية لها ٠

(٢) بعثر ما فى القبور اخرج دفعة واحدة ولازم ذلك تشويش القبور عن هيئتها التى هى عليها واخراج مافيها من غير تقديم لأحد وتأخير لآخر بل بنحو فزع المجموع عن أماكنها الى ما يراد بها من مهمّة وتحصيل مافى الصدور جعله فى معرض المحاسبة ٠

(٣) اثقال الأرض موتاها الكثيرون الذين لا يحصيهم عدّا غير اللّه وزلزال الأرض اضطرابها العنيف بنفخ الصور ٠

(٤) دكّا دكّا اى دكّا بعد دكّ حتى صارت منخفضة الجبال لاطئة التلال او حتى صارت هباء منبّثا فى الفضاء ٠

(٥) انشقاق الشىء يكون بحصول فجوة بين ابعاضة فاذا قيل فلان شقّق ثوبه كان معناه انّه مزّقه وغيّر هيئته التى كان عليها فانشقاق السماء تغيير هيئتها التى هى عليها فعلا واذنت لربّها اى اصاخت مستمعة لأرادته مطيعة لأمره ومدّ الأرض بسطها بدكّ جبالها ومرتفعاتها والقت مافيها اى مافى جوفها من اموات وتخلّت كما تتخلّى الحامل من حملها ٠

(٦) انفطرت السماء صارت ذات فطور وشقوق وانتثرت الكواكب زالت عن نظامها ومجاريها الخاصة وتساقطت متفرقة وتفجّر البحار رفع الفواصل

بينها واتصال بعضها ببعض برفع الحواجز فتصير كلّها بحرا واحدا و تبعثر القبور اسلفنا معناه ٠

(٧) تكوير الشيء لفّه تقول كوّرت العمامة اذا لففتها وجمعتها فمعنى تكوير الشمس لفّ ضوئها وجمع نورها بالعوارض التى تحدث عليها فتغيرها عن حالها تماما وانكدار النجوم ظلمتها وتسيير الجبال تصييرها هباء منبثا فى الفضاء والعشار هى النوق الحوامل التى اتى على حملها عشرة اشهر ولا يزال هذا الاسم عليها حتى تضع تمام سنة وهى فى هذه الحال انفس مال عند العرب لما يترصدونه من انتاجها وتعطيلها اهمالها بفزع يوم القيامة حيث يعود الانسان فى شاغل نفسه غير ملتفت الى اعزّ الأشياء عليه وحشر الوحوش جمعها من كل ناحية واختلاط الدواب والطيور والوحوش وموج بعضها ببعض من الهول والفزع: واذا البحار سجّرت اى صارت حارّة حامية كأنما اشعل فيها نار بارادة اللّه ذلك بها ٠

(٨) الرجيف شدة الحركة وهى الحاصلة بالنفخة الأولى لأماتة الخلق والرادفة هى التابعة وهى النفخة الثانية التى تكون لأحيائهم بعد الفناء العام والقلوب الراجفة هى المضطربة اضطرابا شديدا والأبصار الخاشعة هى الذليلة المستكينة لضعفها امام هذه الحوادث المدهشة ٠

(٩) كان ميقاتا اى حدّا لانتهاء الدنيا : تأتون افواجا اى جماعات عظيمة من قبوركم الى المحشر : وفتحت السماء اى شققت فكانت ابوابا كثيرة لكثرة ما فيها من شقوق غيّرت هيئتها الأولى الى ما يراد بها من وضع جديد : وسيّرت الجبال اى فتّتت فى الهواء فكانت مثل السراب يحسبه الظمآن ماء وليس هو الاّ لمعانا خالصا ٠

(١٠) لواقع اى لامحالة حاصل وكائن وطموس النجوم محقها واذهاب نورها : والسماء فرجت اى صارت ذات فرج وفطور وشقوق ونسف الجبال

تفتيتها وتصييرها هباء ٠

(١١) برق البصر اذا تحيّر فزعا من الأهوال التى يراها وخسف القمر ذهاب ضوءه وجمع الشمس والقمر لمّ نظامهما كما يجمع الانسان زينة بيته المعلّقة فى الأماكن الخاصة ويكدّسها بعضا فوق بعض ٠

(١٢) النقر هو الضرب المصوّت والنفخ فى الصور الذى هو القرن لكثرة مايولّده من تمويج الهواء يحدث اصواتا شديدة كالضرب على الهواء المضغوط ٠

(١٣) رجيف الأرض والجبال تمخضهما لتلاشيهما والكثيب هو الرمل المجتمع والمهيل هو السائل الذى يأخذ بالتحدر بعضا عن بعض كالماء الجارى ٠

(١٤) يوم تكون السماء كالمهل اى كدردىّ الزيت أوالمعادن المذابة وتكون الجبال كالعهن اى كالصوف ذى الألوان المنفوش المتطاير لخفّته : من الأجداث اى من القبور مسرعين مخفّين اجابة لدعوة الداعى والنصب كل شىء منصوب علامة كالعلم والراية ويوفضون يسرعون اى هم فى اسراعهم بعد خروجهم من قبورهم كأنهم يركضون اجابة لتلويح من يلوّح لهم بيده او رايته ويدعوهم الى نصرته او حاجة اخرى له : ترهقهم ذلّة اى تعلوهم ذلّة وهوان لضعفهم من ناحية ومايعلمون من ذنوبهم من ناحية ثانية ٠

(١٥) نفخة واحدة هى النفخة الأولى نفخة الأماتة وحملت الارض و الجبال ازيلتا من اماكنهما ودكتا دكّة واحدة فى عرض واحد فعادتا كثيبا مهيلا وتشققت السماء فهى مسترخية واهنة القوة لأخذ تماسكها منها فتنهار كالمهل وكل مذاب سواه ٠

(١٦) الرجّ هو التحريك العنيف ورجّ الارض بهذه الصورة يوجب تلاشيها وتمزيق اوصالها والبسّ هو السوق يقال بسّ الغنم اذا ساقها

وسوق الجبال هو تسييرها حتّى تعود كثيبا مهيلا وهباء منتشرا ٠

(١٧) فاذا انشقت السماء فكانت وردة حمراء مذابة كالدهـــن : و الدهان اسم لما يدهن به على وزن حزام او ان الدهان جمع دهن ٠

(١٨) تمور السماء تضطرب اضطرابا شديدا وذلك مايدعو للانهيـار وتسير الجبال منبثّة فى الفضاء كالهباء ٠

(١٩) يوم تشقّق الأرض اى تتفطر وتتصدع فيخرج الموتى من بطونهـا سراعا كأنهم جراد منتشر وهذا الحشر والجمع سهل ويسير علينا ٠

(٢٠) وهى رميم اى متحطمة بالية ٠

(٢١) الطىّ هو اللفّ والسجلّ هو الصحيفة المكتوبة او التى تطـوى فيها الكتب اذن فمعنى يوم نطوى السماء يوم نلفّ نظامها الذى هى عليه الآن لخلقة ثانية ٠

(٢٢) زرقا اى متغيّرين فى الوانهم من الخوف وهول الحشر ووخامة العاقبة فان لون الانسان فى مثل هذه الأحوال يتراوح بين الزرقـــة و السواد فى تغيره ونسف الجبال ملاشاتها وقاعا صفصفا اى لاترى لها اثرا من حيث كونها جبالا ومرتفعات والعوج ما انخفض من الأرض والأمـــت ما ارتفع منها ٠

(٢٣) شخوص البصر ارتفاعه الى فوق وتحدّقه من الرعب و التحيّـــر وعجب المشاهدة : مقنعى رؤسهم اى رافعيها الى السماء حتّى لايـــرى الرجل مكان قدمه من شدة رفعه لرأسه وافئدتهم هواء اى زائلة عـــن مواضعها من شدة الخوف ٠

* (المعاد بين العقل والدين) *

امّا الدين فان كتابه الصادق الناطق بمديد لسانه و واضح بيانه فى آيات خارجة عن الحساب ومن جملتها ما اسلفناه صريح بما لامجال لأقلّ احتمال معه ولاقبول لأىّ تأويل فى ان اللّه سبحانه سوف يغيّر ويبدّل خلقة هذه العوالم الى خلقة جديدة ويبعث الأموات بعثا جسديا للحساب والثواب والعقاب اثابة بالجنّة المادية وعقابا بالجحيم المادى : فمن انكر المعاد رأسا او اعترف به روحانيا لاجسمانيا فهو ليس متدينا اصلا : وامّا موقف العقل من هذه العقيدة فانه ينحلّ الى ناحيتين :

(١) ناحية كون هذا المعاد ممكنا عنده او غير ممكن .

(٢) و ناحية تأييده له بالنظر الفنّى .

امّا كونه ممكنا بعد تسليم الاعتراف بالصانع المختار غير محدود القدرة فهو من أقرب المفاهيم وأوضحها لديه اذ كلّ ذلك مقدور مضافا الى ان العقل بالنظر الى اصل الخلقة نراه مضطرا للأعتراف بعلّة العلل المذكورة وانها ابدعت مادّة الكون كله ابداعا بعد العدم المحض فمع هذا لايعود اذعانه بقدرته على اعطاء الحياة للموادّ الهوامد بعد وجودها صعبا عليه فان المرحلة الأولى اكثر مؤنة بكثير واشدّ خطورة من المرحلة الثانية بل ولاقياس .

وامّا استحالة اعادة المعدوم عند الفلاسفة فهى عبارة مجملة لابدّ من تحليلها حتى يمكن محاسبتها على ضوء المنطق فانهم ان اراد وا بالمعدوم معنى العدم الحقيقى لم تصدق فى حقه كلمة الاعادة بل كان الواجب التعبير بالابداع وهو الايجاد بعد العدم المحض على ان الواقع خلاف ما عبّروا عنه فان الموجودات الحيّة بعد الحياة لاتنعدم وكلها موجودات سواء بقيت على تميّزها ام استحالت الى اشياء اخروان اراد وا اعادة الصور

الاولى الى هذه الاشياء واعطائها الحياة مرّة ثانية فذلك بسيط التعقل جدّا على المبدع الذى قامت قدرته بما هو اهمّ وان ارادوا عدم اطّراد ذلك فى المواد المستحيلة الى مواد اخرى وتفرقها فى اماكن لا تعد و لا تحصى مع اعطاء هويّتها من يدها واستحالتها الى غيرها وهوما يعبّرون عنه بشبهة الاكل والمأكول فجوابه انه لا مانع عقلا ولا شرعا ان يخلق اللّه جسدا ابتدائيا ويصوّره بصورة ذلك الانسان ويفيض عليه الحياة ويحاسبه فيثيبه او يعاقبه لان المنظور من الحساب والعقاب والثواب هو موضوع هذه الامور وموضوعها الروح : والجسد حتى فى هذه الحياة الدنيوية وسيلة ايصال اللّذة والألم اليها ولولا الروح لما تأثر جسد فى عامة ادواره وظروفه بمؤثر اللّذة والألم اصلا وهو من المسلمات التى لا تقبل نزاعا و لا تحتمل خصومة على ان نفس هذا البدن الحىّ فى هذه النشأة دائما هو فى حالة تذوّب وليس بدن الانسان فى اول خلقته هو بدنه الذى يموت فيه لتحلّله وتذوبه وتجدّده على طول الآوان .

وامّا الروح الانسانية فهى خالدة فى بقائها على نظر الفلاسفة وانها هى محور حديث الانسان فى نشأتيه والشرع ان نصّ على اعادة نفس الرميم للميّت فهو غير مزاحم على ما نصّ عليه مع وجود العظام الرميم : وامّا ما لا وجود له متميّزا بالمرّة فآيات البعث لا تزاحم ما اسلفناه فيه ولا تنفيه بل تؤيده بما سلف من قوله تعالى اوليس الذى خلق السماوات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلّاق العليم .

وان ارادوا باستحالة اعادة المعدوم اعادته بجميع احتفافاته حتى الزمان فهى ارادة زائفة اذ لا قيمة لهذا الشرط فى البعث ولا دخل له فيه بل ان اخذ هذه المقارنات فى الانسان ممّا يباينه مع نفسه فى كل آن آن فزيد بقيد الصبح غير زيد بقيد الظهر وهلمّ جرّا .

وامّا تأييد العقل للزوم البعث فان العقل بنظره البدوى يهوى ان تكون خلقة هذه العوالم من صغيرها الى كبيرها خلقة لا تقترن بغير السعادة والرفاه والراحة لكلّ ذى حسّ فيها بعد أن تميّز أن هذا الجمود ليس بمصلحة الخلق العاقل بل من لازمه أن يتبارى افراده فى ميدان سباق لأجل التوفر من الفضيلة والتنعم بنعمها الجليلة وان هذا هو معنى التكليف ومن لازمه الاعتياد بّ مواجهة الصعوبات والمشاق معه وان جبران هذه المواجهة لابد ان يكون عاجلا او آجلا : وبما انّ هذه النشأة خصصها منشؤها للتكليف فقط كان لزاما حكمه بوجود النشأة الثانية نشأة الحساب و الجزاء .

هذا هو خلاصة البحث عن المعاد كلّيا من وجهه الدين والعقل وامّا شتات بحوثه من الوجهة الدينيّة فان كتاب اللّه استعرضها استعراضا واسعا بصورة جميلة جدّا وجليلة فى مبانيها كثيرا : نعم كثرت الهنات فيما هو منسوب للسنة فى هذا الباب حتى لم يبق وضّاع ولا دجّال الاّ افرغ ما فى واهمته افراغا مزعجا تسخر منه حتى الباب الأطفال : ومع توسع الكتاب العزيز فى ذلك يكون اللجوء الى امثال هذه السنن كالتيمم مع وجود الماء وانتفاء الأعذار عن استعماله .

امّا آيات الكتاب المتعلقة بتبديل خلقة العوالم ارضيّها وسماويّا و تبعثر القبور وخروج من فيها سراعا مجيبين لدعوة الداعى منتشرين فى ارض المحشر كالجراد خاشعين لعظمة ما يشاهدون متغيرى الألوان من الفزع والجزع وخوف العواقب التى غفلوا عنها فى دنياهم وحساب اللّه لهم وان مضابط أعمالهم لم تغادر صغيرة ولا كبيرة منها الاّ أحصتها فقد سلف جملة منها فلا نعيد .

نعم نتعرض لشرح القطعتين اللتين آنفنا نقلهما عن نهج البلاغة

وبعد ذلك نعقّب ما ذكره سبحانه بالنسبة الى الجنّة وتنعّم المتقين بها والنار وتعذّب المنحرفين بعذابها وما الى ذلك بنحو ايجاز ٠

امّا شرح القطعتين فمعنى قوله (ع) اوصيكم عباد اللّه بتقوى اللّه فانّها الزمام والقوام: ان التقوى خير قائد للانسان الى مظانّ السعادة وانها هى قوام الحياة بالحقّ لو تدبر الانسان ذلك فيجب على العاقل ان يتمسك منها بما يوجب ثقته بحسن مصيره ويعتصم بحقائقها الراهنة التى لا يضلّ معها معتنقها ولا ريب ان المتقى تؤل به تقواه الى اكنان الراحة من اندفاعات نفسه الساقطة ومن مزاحمة الأغيار له فان المزاحمات الدنيوية تدور مدار المادة ولوازمها والمتقى الذى استراح الى القناعة من ناحية المادة والى الأخلاق الفاضلة من ناحية المعنى يعود فى سعة من كلّ شىء قد أحرز حيثيته وعزّته وشرفه وكرامته بين الناس فى دنياه وعند اللّه فى اخراه ذلك اليوم الذى تشخص فيه الأبصار محدقة لهول القيامة وتظلم فيه الأقطار لجمع اللّه الشمس والقمر ولفّ نظامهما وتعطل فيه جماعات العشار فلا راع يرعاها ولا واق يتولى حمايتها وينفخ فى الصور بارادة اللّه تغيير كافة العوالم فتزهق كلّ مهجة ويموت كلّ حىّ وتبكم كل لهجة ويجمد كلّ وعى وتلطىء الشمّ الشوامخ بسفوحها وتسيّر الصمّ الرواسخ عن قواعدها فيصير صلدها سرابا رقرقا وكثيبا مهيلا ومعهدها المألوف قاعا صفصفا لا ترى فيه عوجا ولا أمتا ذلك اليوم الحقّ الذى لا تنجع فيه الندامة ولا تؤثر فيه الشفاعة ولا تنفع فيه الصداقة ولا تتمشى فيه المعاذير يوم ينظر المرء ماقدمت يداه ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا ٠

و منظوره (ع) بقوله حتى اذا تصرمت الأمور وتقضّت الدهور تعلق ارادة اللّه بختم هذه الحياة وتكوير النشأة الاولى ومحاسبة المكلفين على ما عملوا فيها بعد اخراج رممهم من اماكنها قبورا كانت ام اوكارا طيورا ام

اوجرة سباع ام سائر مطارح المعاطب وافاضة الحياة عليها مرّة اخـــرى فهناك ترى اصحابها مسرعين فى اجابة أمره منقادين الى معاده جماعات جماعات صموتا لا يتكلمون وقياما لا يتزايلون تراهم العيون وتنفذهم الأنظار ويسمعهم الداعى على كثرتهم عليهم لباس الخضوع والخنوع امام هـــول ذلك اليوم مستسلمين مابهم ادنى مقاومة قد ضلّت عنهم حيلهم التى كانوا يستعملونها فى الدنيا وانقطعت آمالهم من كلّ شىء الاّ من اللّه وحده وتزايلت افئدتهم من شدة الخوف وتلاحق الرعب وتواضعت أصواتهـــم فلاتسمع الاّ همسا وأخذهم العرق من جميع جوانبهم لتراكم جماعاتهـــم و تكاثر خوفهم وشدّة جزعهم وضيق الموقف بهم وارعدت أسماعهم لهـــول مايدعون له من فصل الخطاب ودقيق الحساب ومؤلم العقاب ونيل الثواب و يقولون يا ويلتنا مالهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الاّ أحصاهـــا ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربّك احدا .

* (منطق القرآن فى النعيم والجحيم) *

عبّر القرآن بفصل مجمل جميل عن النعيم ومستحقه والجحيم وأهلـــه والعصابة الوسطى التى بينهما فقال (الأعراف الآية ٣٩ ومابعدها) ان الذين كذّبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتّح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنّة حتى يلج الجمل فى سمّ الخياط وكذلك نجزى المجرمين لهم مـــن جهنّم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزى الظالمين والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلّف نفسا الاّ وسعها اولئك اصحاب الجنّة هم فيها خالدون ونزعنا ما فى صدورهم من غلّ تجرى من تحتهم الأنهار وقالوا الحمد للّـــه الذى هدانا لهذا وما كنّا لنهتدى لولا أن هدانا اللّه لقد جاءت رسل ربّنا بالحقّ ونودوا أن تلكم الجنّة اورثتموها بما كنتم تعملون ونـــادى

اصحاب الجنة اصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربّكم حقا قالوا نعم فأذّن مؤذن بينهم أن لعنة اللّه على الظالمين الذين يصدّون عن سبيل اللّه ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاّ بسيماهم ونادوا اصحاب الجنّة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون واذا صرفت أبصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا ربّنا لاتجعلنا مع القوم الظالمين ونادى اصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم اللّه برحمته ادخلوا الجنّة لاخوف عليكم ولا انتم تحزنون ونادى اصحاب النار اصحاب الجنّة أن افيضوا علينا من الماء أو ممّا رزقكم اللّه قالوا ان اللّه حرّمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرّتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا و ما كانوا بآياتنا يجحدون: وفي شتات آيات القرآن وصف كثير لمواد نعيم الجنّة وكيفية عذاب النار لامجال لذكره هنا بعد أن كان الكتاب العزيز في متناول الأيدي .

* (خاتمة في تعزيز المطالب الدينيّة الآنفة بالبحوث العلمية الحديثة) *

قد اسلفنا مختصرا ان المادة التي يتغنّى بها الماديّون ليس لها تأصل في نفسها بل هي في تلمدها وكثافتها الظاهرة عليها مجموعة قوى تكدست فشكّلت وحدة ماديّة وانها قابلة للتشتيت والتفتيت بأحالتها الى قوى وتشعشعات والشموس والأقمار والأراضي والجبال كلّها من هذا القبيل: فمن المعروف عن المدام كوري الباحثة الشهيرة عن الراديوم انها وضعت في جيب ثوبها بالقرب من صدرها قطعة من الراديوم قد نسيتها وبعد مدّة شعرت بخدشة في صدرها وكانت قد ضبطت وزن تلك القطعة قبلا

فلمّا فتشت عن سبب الخدشة وجدت ان الراديوم باشعاعه هو الذى اثّر ذلك الأثر و وزنت القطعة من جديد فوجدت نقصا فيها وعلمت ان قسما من المادّة قد تحوّل الى طاقة مشعّة وهذا ونظيره غير القابل للأحصاء ممّا صيّر انيشتاين قائلا ان العالم مجموع قوى كهربائية مغناطيسيّة فما المواد الاّ مجموع طاقات متكدسة وما الحديد والراديوم سوى الطاقات المفروضة وانّها تكدست فصارت اجساما وتفصيل البحث عن ذلك مدوّن فى علم الذرة وقد قال انيشتاين ايضا ان فى الذرة طاقة كبيرة يمكن تسخيرها والاستفادة منها وان المادّة صورة من صور الطاقة وان الغرام الواحد من المادة يتحوّل الى ملايين الملايين من وحدات الطاقة : وقد حوّلت العناصر من هذا الطريق بعضها الى بعض فقد حوّل عنصر الهيدروجن الى عنصر الهليوم والصوديوم الى مغنسيوم الى غير ذلك : وقد اعلنت الجهات العلمية انه قد توصل الى اكتشاف المارد الذرّى وهو جزء ذرّى يسمّى با (لپروتون السالب) ويستطيع افناء المادة افناء تاما وقد علم ان هذا البروتون السالب منطلق فى الفضاء حول الكرة الأرضية ومن شأنه افناء جميع انواع المادة التى تصطدم به : وفى العلوم الحديثة ما يوضح لنا بقدر ما تمكن علماءها من الاطلاع على العالم المادّى بعض السرّ عمّا جاء فى آيات المعاد من تكوير الشمس وشق القمر وتفتيت الجبال وانهيار الأرض وذلك لأنّ الذرة على ما هو معروف مؤلفة من نواة فى الوسط و الكترونات فى الأطراف ولا يمكن ان ترى الذرّة وهذه النواة بأقوى المجاهر الحديثة لأنّه لو وضعت عشرة ملايين ذرّة بعضها الى جنب بعض على شكل التكوير لم يزد طول هذه الذرات على ميل متر واحد وقد تنبأ جوف النواة بقوّة هائلة تعرف بالطاقة النوويّة فاذا حرّرت هذه الطاقة بوسيلة ما هدمت ما حولها بصورة مدهشة .

مثلا ان ذرّة الأورانيوم تنشقّ فتتفرق اجزاؤها و تنتج فـــى هـــذا الانشقاق طاقات هائلة لوجمعت فوزنت لكانت اقلّ عمّا كان عليه الاورانيوم وزنا ان الناقص منه تحوّل الى طاقة ومعناه ان المادة تحوّلت الى قـــوّة وقد ثبت ان المادّة انما وجدت من تكدّس طاقات وقوى فحصل على اثـــر هذا التكدس عناصر الأشياء كلّها تحت نظام وقانون دبّره مدبّر حكيم وان هذه العناصر يختلف بعضها عن بعض من حيث عدد البروتونـــات و الألكترونات اى من حيث بنية النواة وما يدور حولها من الكتروناتها ولـــم يكن الهيدروجن والأوكسيجن والحديد والرادیوم والأورانيوم وغيرهـــا الّا من طريق ذاك الترتيب القانونى وقد عبأت القوى المدبرة الحكيمة فـــى ملعقة من زئبق طاقة تكفى لتسيير قطار كبير حول الكرة الأرضية سبع مرات.

وقد تقرّر عند علماء الفلك الجدد ان الشمس سيكون مصيرها الـــى التلاشى وذلك باندماج نواة ذراتها بعضها ببعض وهكذا يتنبأ هـــؤلاء عن القمر وانّه سيأتى عليه يوم يتجزأ فيه ويستحيل الى شظايا كثيرة فـــاذا قربت هذه الشظايا من الأرض استحالت الى الآف من الشهب فتبدأ فى الأرض سلسلة من الزلزال ويشتّد نشاط البراكين وتقذف مافيها الـــى الخارج وتعمل الهزّات فى القشرة الأرضيّة عملها فتنهار أعالى الجبـــال الى مستوى قاع البحر: ومن الأمور المعروفة عند علماء الطبيعة ان مـــادة الكون آخذة فى الانحلال والتلاشى اثناء تحوّلها الى اشعـــاع و ان وزن الشمس يقلّ كل يوم ٣٦٠ الف مليون طن بمعنى ان هذا المقدار مـــن مادّتها يستحيل الى اشعاع فى كل ما تشعه يوميّا وان الأرض تخسر من وزنها يوميا بالاشعاع تسعين رطلا فقد اثبتت الأبحاث العلميّة عن شكل الأرض ان قطرها الواصل بين القطبين يتناقص بكميّة ضئيلة الّا ان هـــذا التناقص مستمر منذ الأوّل حتى ان شكلها تطوّر بمرور الزمن من الشكـــل

الكروىّ الى الشكل البيضىّ وسيبقى هذا التطور توأما مع التناقص : وقد اثبت العلم الحديث ان ليس تحول المادة الى اشعاع متداركا بتحول الأشعاع الى مادّة كقضية تحول المياه الى ابخرة وتحول البخار الى ماء لما قرروه من ان المادة حين الاشعاع تتحول من قوّة ذات موجة قصيرة الى قوة اخرى ذات موجة اطول منها ويتعذر حسب موازينهم تحويل الموجة الطويلة من القوى الى قوّة ذات موجة قصيرة وان هذا التحول اصولا لا يمكن أن يأخذ طريقه الى الأبد على ذاك المنوال بل لابد ان يجيء وقت تتحوّل فيه آخر وحدة من القوّة الصالحة للعمل الى قوّة غير صالحة لة وحينذاك ينتهى الكون الاّ ان تمده قوّة خارجة عنه .

* (تذنيب فى الكلام على الروح) *

طبعا ليس منظورنا بالبحث عن الروح هنا مايمدّ الحياة الماديّة لأن هذه الحياة قائمة اوّلا بالأعداد الكامل العامل من مجموع الجهازات البدنيّة ولأنها ظاهرة لاقيمة لها اذا خلت عن الاحساسات العقلية ثانيا بل المنظور هو العالم الذى تتوجه اليه النفوس الانسانيّة المتنورة فى بحثها عن الحقائق والعلوم والأنظار الفكرية عندما تجد نفسها حينذاك فى معزل عن البدن والشهوات وكل ما يرتبط بالمادة تماما فهذا المقصد الذى تتوجه له تراه بوجدانها عالما ثانيا وراء موضوع البدن ولوازمه عالما لا يعرف غير البحوث العلمية والانظار الفكرية وتراها اذا قايست بينه وبين البدن بمفرده وجدته فى الذروة العليا ورأت البدن الحىّ الذى لا يفهم سوى الأكل و الشرب و الشهوة ساقطا مرذولا لاقيمة له ولذلك يرى العلماء النفسيون اوزاع العوام المنقطعين للعمل وحده من الوجودات التى يرثى لها : ولا ريب ان هذه الروح ليست طبيعية فى الانسان ولا انّها من آثار

الطبيعة نفسها اذ لو كانت اثرا لجهاز خاص من اجهزة البدن كالرؤية للعين والسمع للاذن والذوق للسان والهضم للمعدة لما تخلفت عن انسان تام الخلقة ولكانت من ذاتياته فى حال ان الأمر ليس كذلك بالوجدان .

نعم لا ريب أن البدن اعداد لها فى الجملة كما انّه آلة مسخرة لها فى الحركة والسكون فترى بدن الانسان العاقل كالآلة الهامدة بيد قوى العضلات يصرّفها انّى شاء وكيف اراد فيجيع البدن ويعريه ويحمله على الرياضات الشاقة والعادات الصعبة والمجاهدات الغريبة الشكل والبدن فى كلّ ذلك لا يلتوى ولا يستعصى وكلّما قويت هذه الروح فى الانسان ازداد نكرانها للمادة والماديات واخذت تعتبر دنيا البشر السائر المنكب على تحصيل الشهوات من اىّ نوع فرضت دنيا ساقطة لدرجة ومعاينة ما كان عليه العلماء المثاليون تكفى فى درك هذه الظاهرة ومن هنا يستنتج ان هذه الروح المعادية للمادة بالصورة المتحدّث عنها لا تكون ماديّة ولا من طراز المادة فى قليل ولا كثير اذ لا ينتج الشىء ضدّه قطعا فهى روحانية لامحالة واتصالها بالبدن اتصال تدبير وتصريف وان البدن آلة لا يجاد عملها ومظهر لتشهير آثارها ليس غير وهذا المعنى ضرورى تصديقه لأنّه من الوجدانيات السطحية فى كلّ من يملك الألتفات الى هذه الناحية .

نعم لا يفقه الانسان وهو فى اطار خلقته هذه ان هذه الروح خلقت قبل خلقة بدنه او انها تبقى بعد انهيار حياته المادية وانّها ما هى فى جوهرها كل هذا لا يستطيع فهمه وهو بحالته هذه نعم يفقه جيّدا انّها ليست من قماش المادة المطروحة بين يديه بكل اشياءها ولوازمها وانها تسبح فى بحار من المعانى الى مالا يحدّ بحدّ ولا يحصر بحاصر وليس من قماش الماديات لا فى لحمة ولا فى سدى : ولأجل ان تقف على آراء البشر

فى هذه الظاهرة نذكر لك نبذا عن القديم والجديد ونشعرك بنقـــاط الضعف فيما قاله الماديّون فى ذلك ٠

فنقول امّا فلاسفة اليونان فعدّ بعضهم الروح بخارا واعتبرها آخرون حرارة وتخيلها قوم منهم اثيرا واعتبرها طاليس اصل الحركة : وانت ترى مبلغ هذه الأقوال من التخرص والأرتجال : امّا فيثاغورس واشياعه فقـــد اعتبروها وحدة قائمة بذاتها واداة تتحرك بحركة ذاتية وانها الأدراك : وهم اصابوا الوجدان فى قولهم انّها وحدة قائمة بذاتها وان تجولها بما هى روح عاقلة فى معزل عن البدن لكنها ليست هى الادراك نفسه بـــل هى مصدره : امّا افلاطون فقد رأى ان هناك روحين احداهما الـــروح العاقلة وهى الخالدة ومكانها الدماغ والاخرى غير خالدة ولا عاقلة وهى قسمان غضبية ومستقرّها الصدر وشهوية ومكانها البطن : وقوله بخلود هـــا دعوى مجردة لم يثبتها برهان وامّا ان الدماغ مكان لها فان اراد انهـــا اثر خاص للدماغ وان الدماغ اثره التعقل كما ان العين اثرها البصـــر فقد اسلفنا بطلان ذاك وان اراد ان الدماغ اعداد للعقل فهو صحيح و امّا روحا الغضب والشهوة فهما خارجان عن محطّ الكلام بالمرّة لأنّهما من لوازم المزاج المادىّ : وامّا ارسطو فقد اعتبر الروح العاقلة منبثة فـــى مجموع الجسد : وهو غلط ان اراد انبثاثها فيه كانبثاث الدهن فى حبة السمسم فان ذلك ممّا يجعلها ماديّة بشراشرها وهى ليست كذلك : واعتبر ديكارت ان الروح جوهر اخص صفاته الفكر الذى هو اصل كلّ رأى واعتبر الجسم جوهرا اخص صفاته الأمتداد ومن احواله الصورة والحركة ورأى ان الروح لا يتصور فيه امكان التجزأ والانقسام وعدم التجانس فى اجزاءه بخلاف الجسم فانه يقبل الانقسام والتجزأ والتغير بطبيعته قال ولمّا كانت الروح شيئا والجسد شيئا آخر فلا يتصور أن تتبع الروح حال الجسم ولا مصيـــره

وعليه فيفنى الجسم والروح باقية : وكلام ديكارت معقول الا انّنا لانفهم منه معنى قوله ان اجزاءه متجانسة فان هذا التعبير يشعر بماديّة الروح فى حال ان اعتقاده بعدم امكان تجزء جوهرها وانقسامه يحكم بتجردها عن المادة ففى كلامه نوع تدافع: وقال الفيلسوف باسكال الفرنسى ان وجه اتحاد الجسم بالروح ليس من الامور الممكن ادراكها فان الانسان وهو اعجب المخلوقات لم يستطع ان يدرك ماهو الجسم كما لم يستطع ان يدرك ماهى الروح فكيف يستطيع ان يدرك وجه اتصال احدهما بالآخر : وهو قول حسن اشعرنا بوجهه آنفا .

وقال الفلاسفة الماديّون ان الروح عبارة عن مجموع ظواهر الشعور و العقل والارادة والفكر ليس هو فى حقيقته الاّ وظيفة عضوية مثلها كمثل جميع الوظائف البدنيّة الاخرى ويجب ان يعتبر المخّ عضوا من الأعضاء وظيفته الخاصة انتاج الأفكار كما ان وظيفة المعدة والأمعاء احداث الهضم و وظيفة الكبد افراز الصفراء وكيفية احداث المخّ للافكار هو ان التأثيرات تتوارد على المخّ فتدخله فى العمل كما تنزل الأغذية الى المعدة فتهيجها الى زيادة افراز العصارة المعدية والى احداث الحركات التى تسهل تحليلها ـ وقال بخنر ـ ان الفكر نتيجة جميع القوى المجتمعة فى المخّ وهذه النتيجة لا يمكن ان ترى بالعين وماهى كما تدلّ عليه الظواهر الاّ اثر الكهربائية العصبية : وهذا الكلام قشرى سطحى سفسطى لدرجة فان الذى يقوله الروحيون لم يتدبره الماديّون اساسا فان الروحيين يقولون ان الانسان مايزال يبحث فى المعانى البعيدة عن المادة والمظاهر الماديّة التى هى ليست من هذه الظواهر الطالعة فى الطبيعة فى قليل ولاكثير فتراه يطيل القول فى العلل و المعلولات واقسامها وشرائطها ويبحث فى الامكان والوجوب والامتناع وفى

القضايا الفرضية والمنطقية والفلسفية والكلامية بحوثا مسهبة ذات روعة فى الأخذ والرد واللف والبسط وهذه الظاهرة غريزته الوحيدة متى كان من المتشوقين الى المباحث العلمية وهو فى جولاته هذه لا يستمد شيئا من بحوثه عن حواسه الظاهرة ولا الموادّ المنتشرة فى ثنايا الطبيعة سماوية كانت ام ارضية بل قد لا يكون من اهل المعرفة بها فى خطير ولا حقير فهذا المحصول الذى يفيضه فى آناء ليله ونهاره على آذان السامعين ويملأ به بطون الدفاتر ويشعشع به صهوات المنابر فى المنطق والفلسفة والكلام والفقه والأصول وما الى ذلك من البحوث القائمة على النظر وصوغ الادلة والقياسات وايقاع التقارن بين الصور العلميّة المحضة لا ربط له بالمادّة و الماديات حتى ينعكس عنها فى الدماغ فيقوم الدماغ بتحليلها كما تقوم المعدة بعمل الهضم والكبد بعملية افراز الصفراء وانّما هو نتيجة مؤثر خارج عنهما ومحصول منشأ منعزل عن الطبيعة بأسرها فأين من هذا المنطق الوزين والوجدان الرصين كلمات الكهربائية العصبيّة وغيرها من الألفاظ المهملة فيما سيقت للتعبير عنه .

مضافا الى ان هناك ظاهرات اخرى تدل بالدلالة القطعيّة على وجود موصول بالانسان خارج عن المادة والظاهرات الطبيعيّة منها الأحلام التى لا تعدّ ولا تحصى بمضامين لم تسبق للانسان حتى بالفكر المجرد وتتحقق بعد الرؤيا فى الخارج نسخة طبق الأصل فمن اين جاءت هذه الصور لأنسان هامد الحواس اوّلا وغير مسبوق بها ثانيا وحقيقيّة فى التطبيق ثالثا : ومنها استحضار الأرواح بصورة مدهشة حسبما نطق به آلاف الفنّانين ومثّلوه للملايين عيانا وقد دوّنت مئآت الكتب على يد فلاسفة قد يرين فى ذلك فليرجع اليها فانها كثيرة منتشرة وفيها بلغه للمتحسرّى على انّ ما اسلفناه من التدليل الوجدانى على وجود عالم وراء المادة و

المادیات غیر قابل للأنکار ولیست فیه احالة علی ما هو خارج الوجـــدان حتی یکون مظنّة للأرتیاب هذا مضافا الی مانطق به الشرع واعتقد بـــه ملایین العلماء فی اجیال البشریة کلّها من وجود الأرواح خارج اطـــار المادة وبقائها بعد فناء الاجسام ٠

*(وقال (ع) فی صفـــــة

من یتصدّی للحکم بین الامّه ولیس لذلك بأهـــل)*

ان ابغض الخلائق الی اللّه رجلان رجل وکله اللّه الی نفسه فهـــو جائر عن قصد السبیل مشغوف بکلام بدعة ودعاء ضلالة فهو فتنة لمن افتتن به ضالّ عن هدی من کان قبله مضلّ لمن اقتدی به فی حیاته وبعد وفاتـه حمّال خطایا غیره رهن بخطیئته ورجل قمش جهلا موضع فی جهّال الامّة غاد فی اغباش الفتنة عم بما فی عقد الهدنة قد سمّاه اشباه الناس عالمـا ولیس به بکّر فاستکثر من جمع ماقلّ منه خیر ممّا کثر حتّی اذا ارتوی مـــن آجن واکتنز من غیر طائل جلس بین الناس قاضیا ضامنا لتخلیص ما التبس علی غیره فان نزلت به احدی المبهمات هیّأ لها حشوا رثّا من رأیه ثـــم قطع به فهو من لبس الشبهات فی مثل نسج العنکبوت لا یدری أصـاب ام أخطأ فان اصاب خاف ان یکون قد اخطأ وان اخطأ رجا ان یکون قـــد أصاب جاهل خبّاط جهالات عاش رکّاب عشوات لم یعضّ علی العلم بضرس قاطع یذری الروایات اذراء الریح الهشیم لاملیء واللّه بأصدار ماورد علیه ولا هو اهل لما فوّض الیه لا یحسب العلم فی شیء ممّا انکره ولا یـــری انّ من وراء ما بلغ مذهبا لغیره وان اظلم علیه امر اکتتم به لما یعلم من جهل نفسه تصرخ من جور قضاءه الدماء وتعجّ منه المواریث الی اللّه اشکو مـــن معشر یعیشون جهالا ویموتون ضلّالا لیس فیهم سلعة أبور من الکتاب اذا

تلى حقّ تلاوته ولا سلعة انفق بيعا ولا اغلا ثمنا من الكتاب اذا حرّف عن مواضعه ولا عند هم أنكر من المعروف ولا اعرف من المنكر .

(نهج ابن ميثم :ج ١ ص ٣١٠) .

مفردات الفصل : وكله اللّه الى نفسه صرفه اليها وتخلّى عنه : الجائر عن قصد السبيل العادل المائل عن شارعه : مشغوف اى محب اشد الحبّ للبدع والمستحدثات : الضلال التيه والحيرة والانحراف عن الحقّ : قمش جمع : اوضاع اسرع : غدا فهو غاد اذا بكّر صباحا : والغبش اختلاط ظلمة الليل بنور الصباح : عمى فهو عم اى فقد البصر : عقد الهدنة هو عقد الصلح : الآجن الماء المتغير : اكتنز ادّخر : غير الطائل غير المفيد : المبهم المظلم المشكل : الحشو هو الكلام الساقط والرثّ هو البالى المتروك لضعفه وفساده : اللبس هو الالتباس : خبّاط مبالغة فى الخبط والخلط : العاشى ضعيف البصر والعشوات الامور غير البينات : أذراه فى الهواء اذا طيّره ونشره : والهشيم المتهشم المتحطم المتكسر : الملىء اللائق : أظلم عليه امره انستر : والعجيج الأصوات العالية : السلعة المتاع : والبوار الكساد : نفقت السلعة راجت : التحريف التغيير والتبديل .

أبان (ع) فى هذا الفصل شطرا من صفات المشعوذين والدجّالين والمتظاهرين بما هم ليسوا من اهله والذين اتخذوا التدليس وسيلة لتسنمهم بعض العروش باستيجار فريق واستغواء فريق آخر : امّا ظاهرة التدليس فهى عريقة فى الزمان ولا تختص بصنف واحد من اصناف الناس بل هذه الظاهرة كما تخلّلت سلاسل الزمان تخلّلت عامّة الطبقات من سياسى وكاسب وفلاّح وعلّم دواليك لكنّها اكثر ما برزت به فى الدين و المنسوبين اليه بمثاليّة وعلم ودعوة ذلك لان الأغواء من هذا الطريق لا يحتاج الى ازعاج النفس ولا الى صرف اية مؤنة تفرض كما لا تحتاج الى

أيّة بضاعة سوى التظاهر الفارغ لأن طرف هذا الأغواء فى الأعمّ الأغلب جماعة العوام من كسبة وفلاّحين ومن الى ذلك من هذه الطبقة التى ليست من وادى المعنى فى خطير ولا حقير تلك الطبقة التى لمّا ابتعدت عن العلم قربت بالقهر من القشور والأوهام والتدليس من طريق القشور بسيط للغاية لا يحتاج الى بذل سوى التظاهر بالقشريّات الرائجة بين العوام على حساب انّها من اللّه والى اللّه وعليه فيكفى المحتال المدّرع للصلافة اذا اوتى من طريق الخلقة بسطة فى الحسم وبضاضة فى البشرة ان يطلع بمطالع يقدّسها العوام ثم بعد ذلك لو ادّعى النبوّة لكان ذا اتباع و أعوان ولولا هذه القطعان من هذه الأغنام وجماعات العوام لما رأت عين متنور فى اطباق البشريّة قشرا ولا قشريّين ولا بدعا ولا نزعات ومذاهب تعجز الانامل عن عدّها فصلا عن اغوائها واضلالها ولا مدلّسين مدّوا ايد بهم الى الحقيقة الناصعة فشوّهوها بدسّ الكذب والتزوير ولا نريد بالعوام هذا الغثاء الأحوى السارح فى الشوارع والمزارع الذى يجهل حتى مواقع بصره ومجال اقدامه بل كلّ من بعد عن مواجهة الحقيقة بنظره الصائب وذهنه الثاقب حتى لو كان متشاغلا بالتحصيل ولكنه فى الواقع ليس من اهله لعدم دربته وضيق ذهنه وقشرية فهمه فان الجميع من هذا الرديف وسابقه اعوان على الحقّ لا له مضلّون لا هادون قشريّون لا جوهريون وكم من طريقهم تجسّم خيال لا حقيقة له ونحت انسان لم يحتضه العيان وكم دوّنت كتب بغير اقلام اهلها فكانت امّ المغويات و سردها الخابطون من الخطباء على صهوات المنابر بعنوانها مدارك راقية ومعانى سامية و وصف بالعلامة من ليس من المحصلين ولا من اهل الدين وكم وسم الكذّابة بانه نسّابة وصفّ الدجّال فى صفوف اهل المعنويات و الكمال وكم طفحت دواوين التراجم بأسماء رجال لم يحتضن منهم العيان

الآ بأبد ان خاوية وصدور من العلم خالية وسرد ت لهم مئآت المؤلفـــات وليس من تلك التآليف فى الواقع عين ولا أثر ذلك لان المترجم قشرى مثل من ترجم عنه او مد فوع بأجرة رضخت له : ومن هذا او ذاك وذيّاك كـــم اشتهر من ليس له حقّ التشهير باسمه وخمل فى زوايا الخبايا من هـــو اهل للاشارة والتقد يس والتقد ير ولا يعلم الآ اللّه وحد ه ماخنق من حـقّ واشيع من باطل تحت هذه الخيمة الزرقاء على مد يد الأد وار .

وما صوّره أمير المؤمنين (ع) فى هذا الفصل صورة مصغّرة عن هـــذا العالم الوسيع من الانحرافات الهائلة الد ارجة بين طبقات الناس قد يمـا وحد يثا فقال (ع) : ان ابغض الخلائق الى اللّه رجلان رجل وكله اللّـه الى نفسه : وقطع عنه لطفه وامد اد ه بعنا ياته لأصراره على اللجوء الـــى نفسه والأبتعاد عن ربّه وكل انسان يوكل الى نفسه من دون تد بير مد بـر وعطف عاطف : فهو جائر عن قصد السبيل لان ميول النفس تجرفه الى كل مهواة وتلقيه فى معامع الشهوات فيعود لا يعرف فضيلة ولا يتحاشى عـن رذ يلة ، مشغوف بكلام بدعة ، وامور حاد ثة مستجد ة لم يد ع مبدعها الـــى الأحداث الآ حبّ الشهرة وقول القائلين من ذا قالها ، ودعاء ضلالـــة ، وايجاد انحراف ذلك لأنه مسبوق بالفضائل والأفاضل فلو انسلك فـــى سلكهما لم يعد يؤثر عنه شيء لقصر باعه بالنسبة الى غيره ولتقدم السلـف عليه بما يخمله ويخفيه على انه ذاتا ليس من هذه المقولة لأنها فى حاجة الى تهذ يب وتد ريب ممتد ين وهو خلو من كلّ ذلك لكن المفاسد والانحرافات لسهولة تناولها وقربها من ميول النفس السافلة كثيرة الاتباع اولا وعد يد ة الانواع والابتداع ثانيا فاذا اغذّ انسان من الساقطين بفعل رذ يلـــة و نشط لها وابد ع فى تنوعها حاز على معروفية واسعة من طريقها وصـــار رئيس جماعة ومرجع طائفة واخذ الناس يذكرونه فى محافلهم ونواد يهم ولم

يعرف زياد ويزيد والحجاج وجنكيز ومن كان على شاكلتهم الاّ من هذه الطرق الانحرافية كما لم يشخص الاحسائي وعلى محمّد الباب والبهاء وآقا خان المحلاتي الاّ من طريق بدعهم وضلالاتهم وانفرازهم عن جامعة الناس ودعوتهم الى أحياز خاصّة ولو كان هؤلاء جميعا مترسمين لخطط الأعتداليين لكانوا كما كان غيرهم من البشر السائر حيث لا ميز يذكر به : و امّا ميزة الفضائل وتحصيل ملاكات الأفاضل فليس من السهل تناولهما ولا الأنطواء عليهما لان الفضيلة عمل ايجابي يحتاج التوفر منه الى تحمّل مشاق وركوب صعوبات خلافا للرذيلة فانها مستطاعة بسهولة حتى للجهّال والطرقية من الناس وهكذا ابتداعها لا يحتاج الى مؤنة سوى الصلافة و مرابطة الموقف منها .

وحبّ الشهرة بلّية من بلايا النفس ورغبة الامتياز عن السائرين مرض عريق في الأرواح البهيمية وكلّ ما حصل في الأجيال والعناصر البشرية والدول التي سادت في الأصقاع والأقطار العالمية من تموج وتمخض و سفك دماء وتبلبل احوال وتبديل حالات وتغيير عادات فانّما هو نتيجة تفرعن الميول النفسيّة والرغبات الجنونيّة حتى في حالنا الحاضر فما هذه الانقلابات البركانية المشتعلة شرقا وغربا الاّ محصول آراء فردية أهانت بأهلها ان يعيشوا في البلاد والعباد تدميرا وتخريبا حتى تطنّ اسماؤها في الآذان فيقال لنين وستالين وموسوليني وهتلر وتيتو واتاتورك ومن ترسم خطواتهم في الانتهاز والاغارة على البشرية سواء في معتقداتها ام في عاداتها وماديّاتها وطرز حكوماتها .

وامّا العقل والمنطق فانّهما يخالفان هذه الروية بشراشرها اذ ليس للرأي الفردي اثر في حكومة الناس واذا اراد كل رأي ان يفرض نفسه على مجتمع العقلاء بالقهر فليس ذلك الرأيّ برأي وانما هو تهجم وارهاق و

ليس التهجم والأرهاق من السنن التى تستحق الحكومة على جماعات البشر باعتراف كافة عقلاء العالم ولا يدرى الاّ اللّه كم اطاحت الرغبات الفاسدة بشخصيات لها وزنها فى الفضيلة والخدمات الجليلة بحجة انها خالفت منويّات هذا الراغب وكم عاثت الميول النفسية المنحرفة بحيثيات و كرامات باعتبار انها قاومت تيك الميول لتردّها عن طغيانها الجارف وعلى هذا المنوال يرى الرائى المتثبت دنيا البشرية ميادين نضال وسوح قتال على حساب فرض الميل النفسى والهوى الشخصىّ على الناس بحدود الأسنّة على ماطفحت به هاته الدنيا من كلّيات وجوامع واساتذة وكتب و كتّاب وعقول وعقلاء وهيئآت ولجان ومؤتمرات وقوانين و مقننين وبرلمانات وما اليها لكن الذى يهوّن الاستغراب ان هذه كلها آلات جماديّة مسخرة للسياسة المسيطرة وأيّة كانت هذه السياسة وأيّا كان بانيها : وستوافيك بحوث عامرة عن السياسة الصائبة فى الفصل الذى نعقده لها من نظر نهج البلاغة .

فهو : اى الرجل الذى تحدّثنا عنه بالحديث الآنف، فتنة لمن افتتن به ، لان الانحراف لا يقتصر على فاعله ولاعلى من أجبر على محاكاته ومماشاته بل هناك من ينجذب له بطغيان الحمل عليه وتمايل النفس اليه فيقلده مختارا ويأخذ بطريقته راغبا وقد يزيد عليه حرارة ويفوقه فى الجسارة و نظرة قصيرة فيما فعله اتاتورك فى تركية المسلمة وتقليد بعض مجاوريه من ملوك الاسلام له بما أحال من هذه الممالك المؤمنة كانونا مشتعلا بالميوعة والاستهتار والتخنث من ناحية وبالألحاد والتفسخ الاخلاقى ومجانبة الفضائل من ناحية ثانية كفاية للتدليل على ما عبّر به الامام (ع) .

ضال عن هدى من كان قبله ، من السلف الصالح ، مضل لمن اقتدى به فى حياته وبعد وفاته ، فان ما اشعرنا به من حال تركية وبعض مجاوراتها

من بلاد الاسلام لم يقتصر سخفه على هذا المجال فقط بل اخذت الدول المسلمة تنهار الواحدة منها تلو الاخرى مخلدة الى التفسخ والانحطاط بعوامل اوّلها حسّ التقليد الجاهل وثانيها اجبار حكوماتها الماحق وثالثها مساعدة الأجانب على هتك هذه الامّة بجلب انواع المغريات الى بلادهم ونشرها بين افرادهم بكل جهد مستطاع وهذا هو معنى اضلال المنحرف بمن يقتدى به فى حياته وبعد مماته ،حمّال خطايا غيره رهن بخطيئته ،وهذا التعبير نسخة اخرى لقول النبىّ الأكرم (ص) من سنّ سنة سيئة فعليه وزرها و وزر من عمل بها الى يوم القيامة وهو معنى حقّ فى نفسه موزون فى منطقه فالانسان المضلّ رهن بخطيئة نفسه من ناحية ارتكابها لشخصه وحمّال لخطايا غيره بالاستغواء والتسبيب: هذا حال الرجل الأول الذى أفيد اجماله من قوله (ع) انّ ابغض الخلائق الى الله رجلان ·

واما الرجل الثانى فقال فيه (ع) ورجل قمش جهلا اى أضاف جهلا مستجدا الى جهله الفطرى ،موضع فى جهّال الأمّة ،اى مسرع الى معاشرتهم ومباشرتهم لأنّ مثل هذا الانسان لا يستريح الى اهل العلم لعدم مسانخته لهم ولجهله بمعلوماتهم ولكم رأينا فى المتلبسين بلباس أهل العلم من يهرب من مجالسهم وينشمر عن مجالستهم خوف الافتضاح بين العوام ،غاد فى اغباش الفتنة ، اى انه يتخذ الرموز وماله وجوه من الامور وليجة الى احراز مقاصده مع حفظه الظاهر وتستره بالحيل و الشعوذات فان المنظور بأغباش الفتنة هى المطالب الملتبسة التى تكون مكمنا للباطل مع التظاهر بارادة الحقّ لاحتمالها وجوها من التأويل فهو يركض منها الى الباطل متسترا عن العوام بارادة الحقّ الذى يمكن احتماله والاعتذار به ،عم عمّا فى عقد الهدنة ،والمصالحة بين الناس من

المصالح الدينيّة والاجتماعية لكن الانتهازى يأنس بالانهيار والتشويش وخلق النفاق لانّه متى اخلد الناس الى الصلح والصفاء انسدّت الأبواب فى وجهه عن النفوذ فى الأفراد والتصرف بهم طبق ما توحيه ميوله ورغباته قد سمّاه اشباه الناس ،وهم الجهّال والعوام والقشريون ،عالما،لأنّه طلع بسيماء العلماء وتردّى بأردية بهم وجلس فى مجالسهم ،وليس به .عند الناس الواقعيين الذين يميزون بين الغث و السمين والطيب والخبيث والعالم والجاهل ،تكبّر فاستكثر من جمع ما قلّ منه خير ممّا كثر ،اى انه استكثر ممّا لا ينتج الخير الاّ قليلا وقد كان باستطاعته لو مشى على الجادة الفضلى ان يجمع الخير ممّا يكثر فيه وهو من مظانّه ومعادنه وهكذا اشباه اهل العلم المتزيون بأزيائهم يملأون عيابهم من القشور والأوهام واحاديث البدع والخرافات حتى يلجأوا اليها فى المجالس بالتحديث لأشغال الناس او استغوائهم حيث يستخدمهم السياسيّون أداة فى انجاز أهدافهم وتمشية مقاصدهم الملعونة على البسطاء ،حتى اذا ارتوى من آجن ،اى من منابع ليست اهلا للورود لتكدرها وتعكّرها وعدم خلوصها فى الحقّ ،واكتنز من غير طائل ،اى انه ملأعيابه بالأساطير والترّهات ، جلس بين الناس قاضيا ، بأجلاس غيره له فى هذا المجلس ليسخر لسياسته و ميوله النفسية كلّ ما يروم تحقيقه لأن نصب القاضى الجامع لشرائط القضاء يكون حجر عثرة فى طريق منويّاته وارسال رغباته ،ضامنا لمن استأجره ونصبه قاضيا فى الحقوق والمخاصمات والمرافعات ،لتخليص ما التبس على غيره ،حلّه وفصله لأنّ الغير اذا تورع فى الشبهات وقف ربّما تتجلّى له الشبهة ويقف من الواقعة على قرار مكين ومنهل معين امّا هذا الذى افلت من قيد التقوى وانشمر عن الورع ولم يحجزه حاجز عن ارتكاب ما لا يسوغ فى شريعة الوجدان والايمان فلا يهمّه فى بتّ القضايا حقها من

باطلها ومنصفها من مجحفها ، فان نزلت به احدى المبهمات هيأ لها حشوا رثّا من رأيه ثم قطع به ،اى انه مرموز فى ضميره تافه فى استدلاله فاسد القول فى ميزان المنطق واهى الحجة فى تحليل البرهان الاّ انه لتمرد شيطانه يطلى اقواله بما ينسترعن العوام شفوفها فاذا حاك من هراءه صورة دليل ومن حشوه الضعيف قياس حجة بت فى قضائه و حكم فأبطل حقا واحقّ باطلا ، فهو من لبس الشبهات فى مثل نسج العنكبوت اى ان مايسوقه من صورة دليل فى الشبهة المطروحة بين يديه لا يزيد فى قوة تماسكه على نسج العنكبوت اذ لا يملك منطقه من البرهان الاّ ظاهرا خفيفا وباطنا طفيفا ولأنّه ليس من أهل الفن ولا من اصحاب العلم ولا من الذين يملكون المقاييس فى تحليل المبهمات ،لا يدرى ،حين يقضى فى الشبهة انّه ،أصاب ،فى قضاءه ،ام اخطأ ،لأنّه فى كلّ حلوله راجم غيب و متخرص لاعن منشأ ،فان اصاب ،فى قضائه تصادفا ،خاف ان يكون قد أخطأ لأنّه ليس من قضاءه على ميزان ،وان اخطأ ،واقعا ،رجا أن يكون قد أصاب ، كذلك كلّ هذا لانه ،جاهل خبّاط جهالات عاش ،لا يبصر الحجة لأنه يفقد الطريق اليها لجهله ،ركّاب عشوات ،ومتاهات وشبهات ،لم يعض على العلم بضرس قاطع ،حتى يعرف الوهم من الحقيقة والتلبيس من اليقين ،يذرى الروايات التى بلغته واستقرت فى حافظته ويهذّها على مستمعيه ،اذراء الريح ،العاصفة ،الهشيم ،المتحطم من دون أن يتميز معانيها او يميّز بين مضامينها وما بمقدور تراكيبها اللفظية ان تعطيه من مقاصدها الواقعية شأن كافة القشريين الذين يكثرون من حفظ مالايفهمون لاملىء ،اى انه فاقد للياقة ان يردّ على ما قدّم له من مسألة او خصومة مفتوقة الأهاب واضحة الجواب مصيبة للحقّ الذى تصدّى لأقامته و هو معنى قوله (ع) ، بأصدار ما ورد عليه ،ولا هو اهل لما فوّض اليه ،لفقده

كافة الشرائط المنوط بها القضاء . هذا وكلّ انسان اذا تركب جهله واعتد بنفسه عن لاضمان لا يحسب العلم فى شيء ممّا انكره ،وجهله وهذه طبيعة فى الجهّال فانّهم ينفون الخير عمّا لا يقدرون على فعله اولا يريد ونفسه و لا يزنون ماجهلوه الاّ بميزان المنبوذ المتروك الذى يفقد كلّ اهليـــة و صلاحية ،ولا يرى انّ من وراء ما بلغ اليه فهمه وطفيف علمه ،مذهبا لغيره ، من أهل العلم بل يعدّ كل رأى سوى رأيه زائفا قبل أن يتعرف عليـــه و يعرف مبلغه من الصحة والسداد او السقم والفساد،وان اظلم عليه امر، و انستر عليه وجه قضية ،اكتتم به ،ولاذ بشخصه ،لما يعلم من جهل نفســه ، ووقفت به انانياته عن التقدم الى السؤال ممّن يعلم حاسبا ان ذلك عـار عليه وهادم لكيانه بين الناس ،تصرخ من جور قضاءه الدماء،لكثرة ما أراق منها بغير حقّ ولاحلّ ،وتضجّ منه المواريث ،لتوزيعها فى غير اهلهـــا و وضعها فى غير محلّها،الى اللّه اشكو من معشر ،حاكما ومحكوما، يعيشـون جهّالا، بالحقّ ،ويموتون ضلاّلا عن الحقيقة وذلك هو الخسران المبيـــن . ليس فيهم سلعة أبور من الكتاب اذا تلى حق تلاوته ،فأبين ناسخـــه و منسوخه مطلقه ومقيده مجمله ومبيّنه عامّه وخاصّه وقورن بعضـــه ببعـــض لاقتناص الحقّ منه واستظهار الحكم من مضامينه ،ولا سلعة انفق بيعـــا و لا أغلا ثمنا من الكتاب اذا حرّف عن مواضعه ،فطبّق على مذهب كلّ منحاز وطريقة كل ذى مرام ورأى كل ذى رأى ،ولاعند هم انكر من المعروف ،الذى فرض على الناس جميعا تقويمه وتقديمه ،ولا اعرف من المنكر ،الذى امـــروا بانكاره والتجافى عنه : هذا والذى يظهر من سياق فقرات الفصـــل ان المنظور بالرجل الأول هو الذى تصدّى للحكم بين الامّة من طريق الرياسة والسياسة والزعامة والامامة وبالرجل الثانى هوالذى تصدى لفصل الخصومة وبتّ الحكومة فى الحقوق والمرافعات او اصدار الفتاوى الضالّة .

* (ومن كلام له (ع) في ذم اختلاف العلماء في الفتيا) *

(نهج ابن ميثم ج ١ ص ٣٢)

ترد على احدهم القضية في حكم من الأحكام فيحكم فيها برأيه ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلافه ثم يجتمع القضاة بذلك عند الامام الذي استقضاهم فيصوّب آرائهم جميعا والاهم واحد ونبيّهم واحد وكتابهم واحد أفأمرهم اللّه تعالى بالاختلاف فأطاعوه ام نهاهم عنه فعصوه ام انزل اللّه دينا ناقصا فاستعان بهم على اتمامه ام كانوا شركائه فلهم ان يقولوا وعليه ان يرضى ام انزل اللّه سبحانه دينا تامّا فقصّر الرسول (ص) عن تبليغه واداءه واللّه سبحانه يقول (مافرّطنا في الكتاب من شيء) وقال (فيه تبيان لكل شيء) وذكر ان الكتاب يصدّق بعضه بعضا وانه لا اختلاف فيه فقال سبحانه (ولو كان من عند اللّه لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) وان القرآن ظاهره أنيق وباطنه عميق لا تفنى عجائبه ولا تكشف الظلمات الاّ به . وهنا بحوث

(١) فيمن يملك حقّ الافتاء .

(٢) في مصدر الفتوى .

(٣) في ان المجتهد مصيب على كل حال او انّه يخطأ ويصيب .

(٤) في ان اختلاف العلماء في الفتيا حقّ طبيعيّ لهم اولا .

(٥) واذا كان الاختلاف المزبور حقّا طبيعيّا فما جهة ذمّ الامام لاختلافهم فيها .

* (١ ــ فيمن يملك حقّ الافتـــاء) *

الذي يملك حقّ الافتاء بعد مصادر التشريع هـو المجتهـد و هذا العنوان يقال على المحصّل الذي بمتدور طاقته العلميّة ان يستنبط الحكم الشرعي الفرعي من الأدلّة التي تتكفله بالتفصيل او الاجمال ولا يمكـن ان تحصل له هذه الطاقة وهو لا فهم ظواهر الكتاب والسنة ولا يستطيـع ان يقارن بين مفاهيمهما ليستخلص المراد منها امّا فهم الطواهر فهو موقوف على معرفة لغتهما مادة وتركيبا وليس فهم مادّة اللغة بسهل فضلا عـن التراكيب وما تستلزم من تدبّر قواعد ونكات مهمّة وامّا القدرة على المقارنـة بين المفاهيم فمن الأهمية بمكان كما ان حصول هذه الطاقة موقوف ايضـا على معرفة موارد الاجماع متى ثبت حجيته وعلى امتلاك العقل السالم ايضا وتشخيص المعزى للسنة انّه منها ليصحّ ان يكون مدركا فمتى تشكّلـت الطاقة من هذا المحصول كان صاحبها مجتهدا يملك صلاحية الاستنباط وحقّ الافتاء : وعنوان المجتهد لا يطلق على مصدر التشريع لأنه يعطى الحكم الشرعي بأخذه مفصلا عن ذات المشرّع والمبدأ الأول في التعبـد وهو الله تعالى فهو رسول ونبيّ كما لا يطلق عنوان المقلّد على المكلّف الذي يأخذ احكامه مباشرة من مصادر الشرع فالمجتهد اذن هو المستنبط والمقلّد هو الذي يأخذ باستنباطه تسلما اذ لا وسيلة له : واطلاق كلمـة المجتهد على من لا يملك تلك الطاقة التي عبّرنا عنها غلط محض سواء كان طرف النسبة صحابيا ام غير صحابي من اهل الصدر الاوّل ام ليس منهم كما ان تحديد الاجتهاد بعدد مشخص من اهل التحصيل وسدّ بابـه عن غيرهم اشدّ غلطا واكثر انحرافا : ثم الاجتهاد في الشريعة كما يصـحّ ان يكون في زمن انقطاع مصدر التشريع عن الاجتماع يصحّ ان يكون فـي

زمنه ايضا حيث يتعذر او يشق استقصال ما جاء فى الكتاب والسنّة غير مفصّل ولا مبيّن بما يزيح علة المكلف ٠

* (٢ــ فى مصدر الفتوى) *

مصادر فتوى المجتهد الكتاب والسنه والاجماع ان ثبتت مدركيته والعقل ولا ريب ان فى ذلك خلافا بين طوائف المسلمين فبعضهم وهم الاخباريون يسقطون الكتاب عن المدركية ولا يعتدّون بالعقل والاجماع اصولا فى مدركيته كلام والمدرك الوحيد عندهم السنّة الشارحة حتى لظواهر الكتاب فحيث لا شارح من السنّة لا دليلية للكتاب من ظاهره عندهم كما انهم يتساهلون فى سند السنة كثيرا : والحقّ ان ظواهر الكتاب المفصلة فوق ان تنال بقشريات هؤلاء السطحيين والسنّة الثابتة الاتصال حجّة لامثل الفقه الرضوى وما اكثر ردّيته والاجماع المحصّل الكاشف بالبقين عن قول الحجّة مدرك لاكلّ اجماع وحجية العقل فى الشريعة مفصورة على محاكماته فيما له الدخل فيه نظير منعه ان يكون اللّه قد فرض فى مال ثلثين وستمائة وسبعين وربعا كمنتين واربعين وزرع الاّ ان يكون هناك مخصّص صحيح وهو ازاحة احد هذه الفروض عن حدّه الى ما ترتفع به الحزازة فهذا واشباهه من مجالات العقل كما له الدخل التام فيه بل يكون هو المرجع الوحيد فى الموارد التى تفقد الكتاب والسنّة والاجماع فى ظاهر التكليف ٠

* (٣ــ فى ان المجتهد مصيب على كل حال او انّه يخطأ ويصيب) *

لا ريب ان انكار موضوعية الاجتهاد والاستنباط فى الشريعة من الجهل الفاضح فان منكر ذلك ان اراد نفى ارتجال الآراء فى موارد الاحكام

المقررة الواردة عن ذلك مالا يختلف فيه اثنان وان اراد منع اعمال النظر وبذل الجهد في استفادة الحكم الشرعي من مدركه فقد أحال هذا الانسان على الناس وهو من جملتهم فهم كل كلام الاّ انّ يكون واضحا في كلّ اشيائه وليست موارد التخاطب كلها من الواضحات المكشوفة و لا المنقولات بأسرها من البيّنات المعلومة ولا المدارك السمعية بعمومها مفتوقة الأهاب مفصّلة الجواب هذا فضلا عمّا فيها من متعارضات ومتنافيات ومعلوم بالتفصيل او الأجمال عدم صدوره لبيان الواقع لتقية اوصارف سواها فاستفادة الحكم الشرعي من بين هذه الأطباق موقوفة على بذل الجهد العلمي بلا ريب وهذا هو الاجتهاد لا أمر وراءه : ولا ريب ان احكام الموضوعات عند الله وفي الواقع متفردة لا متعددة بمعنى انه لا يحمل الموضوع الواحد بعنوانه الواحد في ظرفه الواحد احكاما متعددة من سنخ واحد في عرض واحد فاستنباط الحكم الشرعي بعد بذل الجهد العلمي تارة يصيب الواقع و تارة يخطأه غايته ان المجتهد في صورة الخطأ يجب ان يكون معذورا اذ لا مجال للتكليف فوق الطاقة فلو تعددت استنباطات الحكم الشرعي في الواقعة الواحدة كان المصيب للواقع واحدا منها فقط والاستنباطات الباقية مخطأة : امّا المصوّبة فمن الضلال الواضح قولهم ـ ان قالوا : انّ للواقعة الواحدة عند الله احكاما متعددة بعضها في عرض بعض بعدد آراء المستنبطين ثابتة للموضوع بما هو قبل هاته الاستنباطات فان في ذلك من المحاذير مالا يحصى : كما ان من الضلال قولهم ـ ان قالوا ـ بفقدان الموضوع للحكم رأسا قبل استنباط حكمه و ان الاستنباط هو الذي يخلق له حكما شرعيا واحدا او اكثر من واحد حسب تعدد الاستنباط ووحده فان في هذا التصوير ايضا من المحاذير الشئ الكثير : امّا لو تجوزوا بلفظ التصويب بما يأتلف مع ما اسلفناه جوهرا فربّما ولعلّ

(٤ــ فى ان اختلاف العلماء فى الفتيا حقّ طبيعى لهم اولا)

ان اختلاف الأفهام والأذواق مالا ريب فيه وانفتاح بعض الطرق الدليلية لمستدل وانستار ذلك على بعض آخر ممّا لا يخفى ايضا ولهذا قد يؤدى استنباط بعض المجتهدين الى نتيجة هى خلاف مايؤدى اليها استنباط المجتهد الآخر فالاختلاف فى الفتيا اذن ان حصل لامانع منه وهو حقّ طبيعىّ لكلّ مجتهد بشرط ان يكون اجتهاده فى دائرة المدارك الفقهية كما اسلفناه .

(٥ــ واذا كان الاختلاف المزبور حقّا طبيعيا فما جهة ذمّ الامام (ع) لاختلافهم فيها)

والجواب ان ذمّ الامام (ع) لهم قائم على عدّة نواحى :

(١) عدم صلاحية الجميع او البعض لتسنّم هذا العرش العظيم فانّه لاقيمة للرأى اذا لم يكن نتيجة لتلك الطاقة العلمية التى تحدثنا عنها اجمالا وهكذا قد يكون الامام الذى استقضاهم ونصبهم ليس اهلا للامامة فان لها شرائط خاصة مهمّة تأتى فى الفصل الذى نعقده للنقود والردود.

(٢) عدم امانة المفتى فيما افتى به وان كان واجدا للصلاحية فقد تهيب بضعيف الايمان دواعى رمزية ينجرف معها عن دينه فيفتى بما يدرك بطلانه من نفسه اجابة للميول النفسية .

(٣) انه لامجال للاجتهاد مع تيسر المصدر التشريعى وقربه من المحتاج الى استكشاف الحال عن جزم وبتّ: ولولا ذلك لماكان لاستهجانه سلام اللّه عليه محل فى اختلاف العلماء فى فتاواهم فان كون الأله واحدا والنبىّ (ص) واحدا والكتاب واحدا لا يثمر المنع فى اختلاف الفتاوى

الذى هو حقّ طبيعى للمستنبط الباذل مجهوده العلمى فى استفادة الحكم الشرعى من مدركه كما لا يترتب على هذا الاختلاف امر اللّه لهم به واطاعتهم له فيه او نهيه تعالى عنه وعصيانهم اياه او انه تعالى انزل دينا ناقصا فاستعان بآرائهم على اتمامه او انهم كانوا شركاء له فى التشريع فلهم ان يقولوا ما يريدون وعليه ان يرضى برغبتهم او ان دين اللّه تام فى نفسه ولكنّ الرسول مقصّر فى تبليغه : كما ان القرآن فى ظاهره المكشوف لم يقم الاّ بالقليل من الحكم الشرعى فضلا عن الكثير منه وليس لآحاد المكلفين ومهما بلغوا فى العلوم المتداولة من الرفعة والمقام ان يتقوّلوا عن باطنه العميق من اكياسهم فهذا كلّه اشارة الى انّه لامجال لاجتهاد المجتهد مع وجود المنابع الشرعية التى اختارها اللّه لتكون خزائن لعلمه وهم الأنبياء والأوصياء وهو (ع) احدهم ففى عصره هو او عصر امام آخر مع تيسر الأخذ منه لا تكون للاجتهاد فى قباله موضوعيّة ونحن لا نستريب انّه تعالى ما فرّط فى الكتاب من شىء وان الكتاب العزيز فيه تبيان لكل شىء امّا لا فى ظواهره المكشوفة فقط بل بضميمة بطونه السبعة او السبعين التى اختصّ بعلمها امناؤه على علمه : وهذا كلّه مع حضور الامام وتيسر السؤال منه حقّ لا يمترى فيه اثنان لكنه لا يتمشى فى صورة غيبته او عدم تيسر الأخذ منه ويكون الاجتهاد بالمعنى الذى اسلفناه واجبا على من يملك الاستعداد له لئلا يقع المكلفون فى مشكلة اعواز الحكم الشرعى بالمرّة لأنّ العوام لا يستطيعون ان يحصّلوا احكامهم الشرعية بمفردهم لقصورهم عن كل مراحل هذا التحصيل ومشكلة هذا الاعواز تؤدّى الى بطلان الدين بين الناس اساسا فاعرف حقيقة المطلب حقّ المعرفة .

* (ومن كلام له (ع) ضمن خطبـــة
توحيديّة شاد فيها بذكر نبيّ الاسلام وكتابه العزيز : فقال) *

ثم اختار سبحانه لمحمد (ص) لقاءه ورضى له ما عنده وأكرمه عـن دار الدنيا ورغب به عن مقارنة البلوى فقبضه اليه كريما وخلّف فيكم ما خلّفت الأنبياء في اممها اذ لم يتركوهم هملا بغير طريق واضح ولا علم قائم كتاب ربكم فيكم مبيّنا حلاله وحرامه وفرائضه وفضائله وناسخه ومنسوخه ورخصه و عزائمه وخاصّه و عامّه وعبره و امثاله ومرسله ومحدوده ومحكمه ومتشابهه مفسّرا مجمله ومبيّنا غوامضه بين مأخوذ ميثاق علمه وموّسع على العباد في جهله وبين مثبت في الكتاب فرضه ومعلوم في السنة نسخه و واجب في السنة اخذه ومرخّص في الكتاب تركه وبين واجب بوقته وزائل في مستقبله ومباين بين محارمه من كبير اوعد عليه نيرانه او صغير أرصد له غفرانه وبين مقبول في ادناه موسّع في اقصاه . (النهج الحديدي ج١ ص٣٨)

اسلفنا في الفصل الثاني من هذا الكتاب فصولا عديدة في تعريف نهج البلاغة للاسلام ونبيّه وكتابه بما فيه بلغة وامتاع وانّما اوردنا هذا الفصل لنتكلم على ما فيه من اصطلاحات علمية فنقول طبعا ان مبارحة هذه الدار التي لوّثها اهلها بجهلهم من اسباب كرامة الماجد الراحل عنها والمراد بلقاء الله لقاء ما أعدّه للمثاليّين النزيهين من عباده من سرور و حبور وخير مستمر وسعادة ابديّة والمنظور بقوله (ع) فقبضه اليه كريما انّه مات وهو نزيه من كل شوب نظيف من كل دنس طاهر من كافة الملوثات قد نهض بأعباء وظيفته الثقيلة وادّى واجبه فوق ما يرام منه ولمّا كان (ص) صاحب رسالة شاملة وداعيا الى سعادة عامّة اردف وجوده بين ظهراني الناس بما يسدّ مسدّه ويقوم مقامه وذلك ما افاده بقوله انّي تارك فيكم

الثقلين كتاب اللّه وعترتى اهل بيتى كما خلّف غيره من الأنبياء اصحاب الرسالات العامّة كتبهم المنزلة عليهم وقوامّهم على دعوتهم من اوصيائهم فان كلّ شريعة وكتاب لا يقومان فى الاجتماع من دون قائم عليهما مشيد بكيانهما حافظ لمكانهما مربّ لهما مدبر لشؤنهما ودائما يقوى الدين و يهن بقوة الذائد عنه و وهنه واولئك هم القوّام عليه لا سائر المعتنقين له بل استمرار هذا الوجود السائر من سائر المعتنقين رهن بوجود القائم الذائد والقائد المرابط ومع فقده او قصور يده لا يعود يحمى الكتاب غيره او يحفظ نفسه هذا مضافا الى انّ الدين مثل الرواية والقائم عليه كالممثّل لها ولا تأخذ الرواية حظّها من قلوب المتشوّفين اليها من دون قيام الممثّل وبيانه لرموزها ونكاتها وتوضيحه لخصوصياتها والامام (ع) هنا تعرض للكتاب و لموقف النبيّ منه وله فصول ذات روعة فى تحدثه عن الامام القائم والقائد الذائد نأتى عليها فى الفصل الذى اعددناه للامامة و النقود والردود (فقال (ع) :

وخلّف فيكم كتاب ربّكم مبيّنا : هو حال من ضمير خلّف الراجع الى النبيّ (ص) : حلاله وحرامه : وهنا يجب ان يعلم ان الألفاظ الموضوعة والتراكيب الصحيحة تعطى معانيها من نفسها بدون مؤنة وهذا هوالذى دعى طوائف البشر لوضع الألفاظ واستعمال التراكيب فى اظهار مقاصدهم لتسهل عليهم صعوبات الحياة والألفاظ التى تفيد حلية الشىء وحرمته وفرضه ورجحانه موجودة فى ثنايا اللغة ببساطة او بتركيب فيقال حلال لك هذا الشىء او حرام او هو فرض او راجح ومثل هذه الألفاظ لا تحتاج الى بيان ولا توضيح و هناك الفاظ وصيغ لو خليت وطبعها من اللغة لساقت الى العارفين بالأوضاع معانى تطمئنّ لها النفس الاّ انها لا تمتنع عن اقترانها بما يصرفها عن معناها الى ما هو قريب منه ومن نمطه نظير

صيغتي افعل ولا تفعل فانهما تفيدان الوجوب والحرمة لو خلّيتا على ما هما عليه لكنهما تقبلان الانصراف الى ما هو من بابهما بقرائن ظاهرة لكل احد او خفية على البسطاء بما لا يخدش بالحكمة الداعية الى اصدار الكلام في مقام التخاطب والافهام مثلا اذا قال انسان لمخاطبه استك فان السواك يذهب بنبخر الفم فهم طرفه ان المراد بصيغة افعل هنا هو الندب و الاستحسان ورجحان الفعل من دون ان يستعقب معصية لان تعقيب صيغة الأمر بالعلّة يرشده الى جهة الأمر هذا اذا لم يكن عاميا بحتا واذا كان بهذه الصرافة احتاج الى مبيّن يبيّن له المطلب الذي سيق له لكن يأتي الكلام هنا في انّه هل يجب على المتكلم ان يراعي انزل الافراد معرفة ودركا في مساق كلامه او يكفيه ان يراعي الوسط الدارج ويكل الأفراد النازلة افهامهم ومعارفهم الى استفسارهم من الباقين او تفسير الباقين لهم بداعي الخدمة النوعية حيث يرون حاجة هؤلاء السذّج الى البيان ومن هنا يجب أن يعلم ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر انّما وجبا على المكلفين العارفين لجهل الكثيرين بمعنى المعروف و المنكر حتّى في اشخص نقاطها وموارد هما لا انهم يتركون المعروف و يرتكبون المنكر تمرّدا و عنادا مع تمام معرفتهم بما تركوا وما ارتكبوا : فالحقّ ان الذي يجب على المتكلم هو ان يراعي المستوى النوعي لا الطبقة الراقية لأنّ في ذلك اغفالا لأفهام الأكثرين ولا الطبقة النازلة جدّا لأنّ فيه سقوطا عن درجة الاعتبار في نظر اهمّ الطبقات ومراعاة الوسط هي التي تجمع بين الجميع والفرد النازل ان لم يدرك تمام مراد القائل فلا اقلّ ان تثير فيه هذه الظاهرة روح الاستفسار من الأغيار و هذا الذي بيّناه موجود بالعيان في كافة مجالي العقلاء و محافل الناس واجتماعاتهم وحفلاتهم ومجالسهم العامرة بنطق الناطقين وارشاد الواعظين وخطب الخطباء وقصائد الشعراء وهذا

المعنى هو الذى اوجب تعزيز الكتب السماوية بالرسل ليقوموا بواجب اختلاف الناس فى افهامهم ودركهم للمطالب وهذا التعزيز مع كونه واجبا من هذه الناحية ليس مخلاّ بالواجب الذى يلزم الكاتب و الناطق بمراعاة ما يحفظ وزن الكتابة والنطق من اللغة المنطوق بها والمكتوب فيها فانّا نجد المستمع الى ناطق يفهم من نطقه مع المواجهة له اكثر ممّا يفهم منه مع اقتصاره على سماع نطقه ذلك لأنّه يستجلى من حركاته وسكناته معانى تقوم بنفس الحركات والسكنات على انّ كلامه غير مخلّ بما يريد افهامه ولكن ايماآته واشاراته توضحان الكثير من بطون كلماته وعباراته ٠

وبعد التعرف على النكات الآنفة يتبيّن معنى كون النبيّ (ص) مبيّنا لحلال الكتاب و حرامه وفرائضه وفضائله باشعاره ان حقيقة الأمر فى مثل قوله تعالى كلوا من طيّبات ما رزقناكم للأباحة وفى مثل قوله سبحانه واقيموا الوزن بالقسط للفريضة وفى مثل قوله عزّ من قائل فافسحوا يفسح الله لكم للفضيلة والاستحباب وان صيغة النهى فى نظير قوله ولا تحسروا الميزان للحرمة : والعزيمة عبارة عن التكليف الالزامى وجوبا كان ام حرمة والرخصة مالا الزام فيه كالمباح والمكروه والمستحب ٠

والنسخ معناه قطع الحكم عن الاستمرار لان تشريعه كان لمصلحة مؤقته وهو واقع فى الكتاب فى مثل قوله سبحانه الزانى لا ينكح الاّ زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الاّ زان او مشرك و حرّم ذلك على المؤمنين فانه يجوز للزانى ان ينكح غير الزانية وهكذا الزانية يجوز ان ينكحها غير الزانى ويحرم على المسلم زانيا كان ام غيره ان ينكح فى المشركين ٠

و العام هو اللفظ الذى يفيد بوضعه استغراق العموم نظير كلمة كل و الخاص ما يفيد دون ذلك نظير كلمة بعض فالعموم الكتابى نظير قوله لله على الناس حجّ البيت والخصوص قوله من استطاع اليه سبيلا : و

المرسل هو المطلق و هو اللفظ الذى لا يمتنع عن اطراده فى الافراد كلها ولكن على البدل و المحدود هو المقيّد فالمطلق الكتابى مثل قوله فعتق رقبة والمقيد نظير قوله فتحرير رقبة مؤمنة : والمحكم هو المتقن المكشوف مثل قوله قل هو اللّه احد والمتشابه هو الخفى الملتبس مثل قوله كهيعص: والمجمل هو الذى يفيد معنى ملفوفا مكوّرا نظير قوله تعالى اقيموا الصلاة والمبيّن هو الواضح المكشوف نظير قوله فاغسلوا وجوهكم و ايديكم الى المرافق و امسحوا برؤسكم و أرجلكم .

والعبر جمع عبرة وهى ما يدعو الى الاحجام عن شيء او الاقدام فيه نظير الآيات الآمرة بالسير فى الأرض والتأمل فى الآفاق والأنفس وما الى ذلك : والأمثال جمع مثل وهو تصوير مطلب بمطلب آخر يجلوه ويكشفه و يسرع فى ايصاله الى النفس وطبعه فيها نظير قوله فى المنافقين مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلمّا اضاءت ما حوله ذهب اللّه بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون .

واللازم التعلم على المكلّف من القرآن هو كلّ ما ارتبط بعقيدته ومحل ابتلاءه فى دينه و الموسع على العباد جهله ماسوى ذلك من قصصه و أمثاله : ومنسوخ الكتاب بالسنة ما اسلفنا مثاله من الزانى و الزانية ومنسوخ السنة بالكتاب وهو المشار اليه بقوله و واجب فى السنة اخذه ومرخص فى الكتاب تركه ماثبت فى السنّة فى صدر الاسلام من تحريم الرفث ليلة الصيام ونهاره جميعا فنسخه الكتاب عن الليل بقوله احلّ لكم ليلة الصيام الرفث : الآية : .

والواجب بوقته مثل صلاة الجمعة فانّها اذا تصرم وقتها سقط وجوبها بصلاة الظهر مكانها : وتباين المحارم انما هو من حيث انقسامها الى الصغيرة والكبيرة فالكبيرة هى الأجرام التى توعّد اللّه عليها بالنار كقتل

المؤمن تعمدا لقوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمّدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها : و الصغيرة هى التى وعد بغفرانها وقد وردت بذلك آيات كثيرة من جملتها قوله ــ يغفر لكم من ذنوبكم ــ و المقبول فى ادناه نظير قوله فاقرأوا ما تيسر من القرآن و الموسع فى اقصاه يقابل المقبول فى ادناه وقد عرفته .

* (ومن خطبة له(ع) فى عدّة من الفنون ومهمّات من العلوم) *

انتفعوا ببيان اللّه ،واتعظوا بمواعظ اللّه واقبلوا نصيحة اللّه فان اللّه قد اعذر اليكم بالحلّية واخذ عليكم الحجة وبيّن لكم محابّه من الأعمال و مكارهه منها لتتبعوا هذه وتجتنبوا هذه فان رسول اللّه (ص) كان يقول حفّت الجنّة بالمكاره وحفّت النار بالشهوات واعلموا انه ما من طاعة اللّه شىء الاّ يأتى فى كره ومامن معصية اللّه شىء الاّ يأتى فى شهوة فرحم اللّه رجلا نزع عن شهوته وقمع هوى نفسه فان هذه النفس ابعد شىء منزعا وانّها لاتزال تنزع الى معصية فى هوى و اعلموا عباد اللّه أن المؤمن لا يمسى ولا يصبح الاّ و نفسه ظنون عنده فلا يزال زاريا عليها ومستزيد الها فكونوا كالسابقين قبلكم والماضين امامكم قوّضوا من الدنيا تقويض الراحل وطووها طىّ المنازل و اعلموا ان هذا القرآن هو الناصح الذى لا يغشّ والهادى الذى لا يضلّ و المحدّث الذى لا يكذب وما جالس هذا القرآن احد الاّ قام عنه بزيادة او نقصان زيادة فى هدى ونقصان من عمى و اعلموا انّه ليس على احد بعد القرآن من فاقة ولا لأحد قبل القرآن من غنى فاستشفوه من أدوائكم واستعينوا به على لأوائكم فانّ فيه شفاء من اكبر الداء وهو الكفر والنفاق و الغىّ و الضلال فاسئلوا اللّه به و توجهوا اليه بحبّه ولا تسألوا به خلقه انّه ما توّجه العباد الى اللّه بمثله واعلموا أنه

شافع ومشفّع وقائل و مصدّق وانّه من شفع له القرآن يوم القيامة شفّع فيه ومن محل به القرآن يوم القيامة صدّق عليه فانه ينادى مناد يوم القيامة الا ان كلّ حارث مبتلى فى حرثه و عاقبة عمله غير حرثة القرآن فكونوا من حرثته واتباعه واستدلوه على ربّكم واستنصحوه على انفسكم واتّهموا عليه آرائكم واستغشّوا فيه اهوائكم العدل العمل ثم النهاية النهاية والاستقامة الاستقامة ثم الصبر الصبر والورع الورع انّ لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم وانّ لكم علما فاهتدوا بعلمكم وان للاسلام غاية فانتهوا الى غايته واخرجوا الى اللّه بما افترض عليكم من حقّه وبين لكم من وظائفه انا شهيد لكم وحجيج يوم القيامة عنكم الا وان القدر السابق قد وقع والقضاء الماضى قد تورّد وانّى متكلم بعدة اللّه وحجّته قال اللّه تعالى ان الذين قالوا ربّنا اللّه ثم استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنّة التى كنتم توعدون وقد قلتم ربّنا اللّه فاستقيموا على كتابه وعلى منهاج أمره وعلى الطريقة الصالحة من عبادته ثم لا تمرقوا فيها ولا تبتدعوا فيها ولا تخالفوا عنها فان اهل المروق منقطع بهم عند اللّه يوم القيامة ثم اياكم و تهزيع الأخلاق وتصريفها واجعلوا اللسان واحدا وليخزن الرجل لسانه فانّ هذا اللسان جموح بصاحبه واللّه ما ارى عبدا يتقىّ تقوى تنفعه حتى يخزن لسانه وانّ لسان المؤمن من وراء قلبه وان قلب المنافق من وراء لسانه لان المؤمن اذا أراد ان يتكلم بكلام تدبره فى نفسه فان كان خيرا أبداه وان كان شرّا واراه وان المنافق يتكلم بما أتى على لسانه لا يدرى ماذا له وماذا عليه ولقد قال رسول اللّه (ص) لا يستقيم ايمان عبد حتّى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه فمن استطاع منكم ان يلقى اللّه وهو نقىّ الراحة من دماء المسلمين واموالهم سليم اللسان من اعراضهم فليفعل واعلموا عباد اللّه أنّ المؤمن يستحلّ العام ما استحلّ

عاما اوّل ويحرّم العام ماحرّم عاما اوّل وان ما احدث الناس لا يحلّ لكم شيئا ممّا حرّم عليكم ولكن الحلال ما احل اللّه و الحرام ما حرّم اللّه فقد جرّبتم الامور وضرستموها و وعظتم بمن كان قبلكم وضربت لكم الأمثال ودعيتم الى الأمر الواضح فلا يصمّ عن ذلك الاّ أصمّ ولا يعمى عن ذلك الاّ اعمى ومن لم ينفعه اللّه بالبلاء و التجارب لم ينتفع بشيء من العظة وأتاه التقصير من امامه حتى يعرف ما انكره وينكر ما عرف فان الناس رجلان متّبع شرعة ومبتدع بدعة ليس معه من اللّه برهان سنّة ولاضياء حجّة وان اللّه سبحانه لم يعظ احدا بمثل هذا القرآن فانه حبل اللّه المتين وسببه الأمين وفيه ربيع القلب و ينابيع العلم وما للقلب جلاء غيره مع انّه قد ذهب المتذكرون وبقى الناسون او المتناسون فاذا رأيتم خيرا فاعينوا عليه واذا رأيتم شرّا فاذهبوا فانّ رسول اللّه (ص) كان يقول يا ابن آدم اعمل الخير ودع الشرّ فاذا انت جواد قاصد الا وان الظلم ثلاثة فظلم لا يغفر وظلم لا يترك وظلم مغفور لا يطلب فامّا الظلم الذى لا يغفر فالشرك باللّه قال اللّه ان اللّه لا يغفر أن يشرك به وامّا الظلم الذى يغفر فظلم العبد نفسه عند بعض الهنات وامّا الظلم الذى لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضا القصاص هناك شديد ليس هو جرحا بالمدى ولا ضربا بالسياط ولكنه ما يستصغر ذلك معه فاياكم والتلوّن فى دين فان جماعة فيما تكرهون من الحقّ خير من فرقة فيما تحبّون من الباطل وان اللّه سبحانه لم يعط احدا بفرقة خيرا ممّن مضى ولا ممّن بقى يا ايّها الناس طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وطوبى لمن لزم بيته واكل قوته واشتغل بطاعة ربّه وبكى على خطيئته فكان من نفسه فى شغل و الناس منه فى راحة .

(نهج ابن ميثم ج٣ ص ٣٤٩)

ـ فهنا بحوث ـ :

(١) موقف الانسان فى دنياه من المعاصى و الطاعات ومستدعيات العقل و الشهوات ٠

(٢) معارف القرآن وخطته فى توجيه الناس ولسانه فى التعبير عن ذلك ٠

(٣) الاستقامة على الحقّ و لزوم الصدق ٠

(٤) مقررات الشريعة وبدع الأهواء ٠

(٥) الظلم و أقسامه ٠

* (١ــ موقف الانسان فى دنياه من المعاصى و الطاعات و مستدعيات العقل والشهوات) *

مهما انكر الانسان ذاته فانه لا يستطيع ان يلحقها بالبهائم ويحسب لها حسابها فانه مجبور على تشكيل المجتمعات لتقديم بنية حياته وهكذا لا يستطاع الاستفادة من البهائم وحشرها الآ بعد حذف توحشها وكبح جماحها وايجاد الألفة بينها وتشكيل المجتمعات يستحيل تحققه بدون نظام يصون البعض من البعض ويمنع تعدّى الفرد على حقوق مواطنه ولا نظام أبعد عن الاغراض الشخصية والميول النفسية واجمع لمصالح الافراد من نظام الدين لطهارة مصادر التشريع فى كل اشيائهم بالعيان الذى لمسه فيهم كافة معاصريهم حتى المنافقين منهم فمن لازم الانسان بما هو موجود حىّ حسّاس ذو شؤن واختصاصات ان يكون متدينا فى دنياه بالدين القويم تحصينا لحياته وصونا لحقوقه وحفظا لذاته ومن يمتّ اليه وجميع ما ينتسب له هذا فضلا عمّا اوجبته العقول من لزوم الاعتراف بصانع الكون وما كرّر الصانع ابلاغه على لسان رسله وكتبه والدعاة اليه بانه لم يخلق الخلق عبثا ولم يتركهم سدى وان لهم اوبة اليه ومعادا عليه وانه

يجازى على الحسنة حسنة وعلى السيئة سيئة وان كتاب المكلف لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الاّ أحصاها وهذا هو بيان اللّه الذى اشار اليه عليه السلام بقوله :

انتفعوا ببيان اللّه ،وعبّر بكلمه الانتفاع ليفيد هم ان منافع هذا البيان العام لمصلحة العموم فان مصالحه ترتبط بهم ومنافعه تعود اليهم ولا نفع فى ذلك للّه بالمرّة لاستغنائه عن كل شيء سواه ،و اتعظوا بمواعظ اللّه ، وهى اوامره بالمعروف و نواهيه عن المنكر وطرح الامثال الصائبة فى تثبيت هذه الأوامر و النواهى ،واقبلوا نصيحة اللّه ،النصيحة هى ارشاد الطرف الى ما هو غافل عنه عطفا عليه وحفظا له ولطفا به ،فان اللّه قد أعذر اليكم بالجلية ،اى أبان كل ما يريد ومالا يريد ابانة لاحتمال معها وكشف لكم وجوه المصالح و المفاسد كشفا لامزيد عليه وكرّر عليكم ذلك تثبيتا وتأكيدا واخذ عليكم الحجة ،باقامتها عليكم ،وبيّن لكم محابّه من الاعمال ،لصالحكم، ومكارهه منها،لاقامة النظام فيكم ،لتتبعوا هذه المحاب ،وتجتنبوا هذه، المكاره .

وهنا مقدمة مطوية يجب التنبيه عليها وهى ان الانسان بطبيعة جهله الفطرى لا يعرف غير نفسه الطافحة بين يديه والمنتصبة بين عينيه و المراد بالنفس هنا هى متطلبات بنيته الطبيعية وحواسه القشرية وهذه النفس لا ترتبط بالمشاعر الباطنية لافى حقير ولافى خطير فهى تهجم على ما تحسبه بلاغا لها ولوكانت منيّتها فيه وهذه الروح هى التى تحسّن للشباب باب مواقعة المواسس على علمهم بالاخطار المترتبة على ذلك من الامراض الزهرية التى فتكت بكثيرين وفيرين من ملاقحة واحدة وقس على ذلك سائر رغبات النفس الجاهلة التى يسترسل معها الانسان مغتبطا اشدّ اغتباط. والروح العاقلة فى الانسان روح قوية فى ايحاآتها مقتدرة فى

احاسيسها لها هيمنة وسطوة فى حججها وبراهينها الآ انّ الغات النفس اليها يحتاج الى مؤنة ومرابطة الموقف منها يستدعى تنبّها وتذكرا ومتى أطاحت بالنفس غفلاتها انحجبت الروح عنها فعادت الى جهلها الفطرى ومن هنا صارت الأعمال المنوطة بالعقل شاقّة والمربوطة بالنفس هيّنة و هذا هو معنى قوله عليه السلام :

ـ فان رسول الله (ص) كان يقول حفّت الجنّة بالمكاره وحفّت النار بالشهوات، فان التعبير بالجنّة كناية عن الاعمال المثبتة القائمة بالطاعات والتعبير بالنار كناية عن الاعمال التافهة المزخرفة القائمة بالمعاصى ، و اعلموا انه ما من طاعة الله شىء الآ يأتى فى كره، لان فيه تحديدا للنفس وصرفا لها عن استرسالها وافلاتها، وما من معصية الله شىء الآ يأتى فى شهوة، لان معنى الشهوة ميل النفس المطلق الذى ليس فيه الآ الاهمال والانحلال ولازم الاهمال الخبط والخابط يكون فساده وضلاله اكثر من سداده غير المحتسب له واهتداءه الحاصل عفوا ان فرض حصول سداد فى طريقه واهتداء فى مسيره. فرحم الله رجلا نزع عن شهوة، اراد عليه السلام من الله اللطيف بعباده ان يواصل برحمته على كل من توجه الى عقله والتزم بايحاآت لبّه وسكن الى هدى قلبه حتى يجئ من هذه الرحمة الغامرة مواصلا لعمله الصالح وسعيه الناجح، وقمع هوى نفسه، برسوخ عقله فان هذه النفس، السيّالة فى الرغبات الجنونية، أبعد شىء منزعا، فقد تؤدى رغيبة النفس بصاحبها الى أن يعمل عمل المجانين، وانّها، مع ارسالها وأهمالها، لاتزال تنزع الى معصيته فى هوى : واعلموا عباد الله ان المؤمن، اى الانسان الذى توجه الى عقله فأفاده الايمان بالحقائق، لايمسى ولا يصبح الآ ونفسه ظنون، اى متّهمة، عنده، ذلك لعلمه انها لاتؤتى خيرا ولاتسرح الآ فى مجالات السوء، فلايزال زاريا عليها، عائبا لها،

ومستزيدا لها، من الجنوح الى الشعور والقرب من النكر المثمر والعقل المنجح، فكونوا كالسابقين قبلكم والماضين أمامكم، اولئك الذين جاسوا خلال وجوداتهم فعرفوا أن لا وسيلة للنجاة سوى الاستضاءة بنور العقل والتنور بانوار الايمان وان الانسان العاقل يجب عليه ان يحترم نفسه فى سفر ينقلب به الى عاقبة امّا سقيمة اذا خرج فيه عن حدود الأدب وامّا سليمة اذا صان نفسه واحترم شخصه واحتفظ بحيثياته وكراماته ·

فهكذا انتم تقوضون كما، قوضوا من الدنيا تقويض الراحل وطووها طىّ المنازل، وارتهنوا بما عملوا : وليعلم ان الخدمة التى بذلها المثاليون لجامعة بنى الانسان لا يعادلها شىء فى الوجود بل الوجود كلّه رهن بها وما الانسان الهامل الذى تخطّى عظاتهم وانحاز عن قبول خدماتهم الاّ حيوان كاسر لا يعرف سوى الفتك و التخريب و تشويه منظرة الوجود و مقايسة واحدة بين انسان منحرف منجرف مع الميول الرعناء وآخر مهتد متقى ورع محتاط وما يتأتّى عن الطرفين من نتايج تكفى لوجوب ملازمة الحق ومجانبة الباطل واصولا لا يقوم بنيان الوجود الاّ على أساس المثالية و بدونها لاحياة للأحياء بقاطع الضرورة الملموسة ·

* (٢ــ معارف القرآن وخطته فى توجيه الناس ولسانه فى التعبير عن ذلك) *

لا يستريب ذو وجدان من ابناء اللسان المتنورين بنور المعرفة و الملمّين بالعلوم بعض الالمام ان القرآن احسن كتاب طلع به العيان فهو على اختصاره جال فى اجلّ العلوم جولات لها اهمّيتها برصانة فى التعبير واحكام فى التركيب واتقان فى الاستدلال وجمال فى العرض وسلاسة فى افادة المعنى وسلامة من كل الهنات على روعة اخّاذة وبلاغة بالغة مع بعد عن الايجاز المخل والاطناب الممل وكل آية من آياته قد اخذت

باستقلالها عمّا افصحت عنه مع مراعاة التناسب لما قبلها وبعدها ففيه من شرائف مباحث التوحيد والعدل والنبوّة والامامة والمعاد الجسمانى مالا يوجد من طرازه فى اجلّ كتاب كلامى وفيه من العظات البالغات والعبر والامثال والقصص الحكيمة مالم يحتو عليه أجمع كتاب فى الاخلاق والمواعظ والقصص وفيه من اعطاء الحكم الشرعى بوجازة متقنة مالا يستطيع الفقيه المتمرن لمّه فى عبارة مختصرة خالية عن موهنات التراكيب وفيه من المباحث الكونية قرابة ٧٥٠ آية لم يفتق اهابها الاّ العلم الحديث بعد استكمال بحوثه خلال قرون متتالية وفيه من الدعوة الى العرفان الصحيح والمثالية النزيهة والتقوى الصادقة ما اطلع الى الوجود الاتقياء الأبرار والعرفاء الأخيار والمتقين الأطهار: وبالجملة ارم بطرفك انّى شئت من سوره وآيه تجد متعة النفس وبلغة الروح ولذة البصر والسمع ورغبة القلب ولولا ان هذا الكتاب الجليل فى متناول كل يد لتوسعنا فى سرد مصاديق ما أشعرنا به ولكننا نذكر نموذجا قليلا من ذلك لعرض بعض صوره .

فمن آيات التوحيد قوله(سورة الانعام الآية ٩٤ ومابعدها) ان اللّه خالق الحبّ و النوى يخرج الحىّ من الميّت ويخرج الميت من الحىّ: فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا: وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر و البحر: وهو الذى انشأكم من نفس واحدة فمستقر و مستودع : وهو الذى انزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبّا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من اعناب والزيتون والرمّان مشتبها و غير متشابه انظروا الى ثمره وينعه : وجعلوا للّه شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه و تعالى عمّا يصفون بديع السموات والارض انّى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شىء وهو بكل شىء عليم :

ذلكم الله ربّكم لا اله الاّ هو خالق كل شيء فاعبدوه لا تدركه الابصار و هو يدلاك الابصار وهو اللطيف الخبير : ·

فهذا البحث السهل القريب من النفس والحاسة القائم بأنواع البراهين الملزم بوجود الصانع الأحد المجرّد عن المادة القادر لأبعد حدود القدرة المختار أتمّ الاختيار الخالق لكل شيء بالأبداع الحكيم فى جميع صنائعه الخبير الذى لا تخفى عليه خافية : قد لخّص الكتب الكلامية كلّها فى سطور وأضاف عليها انه سبكه فى قالب يستطيع مما رسته حتى العوام من الناس وانّه أحال بادلّته الى الحسّ القريب من الانسان بعبارات قليلة ومعانى جزيلة جليلة وهذا هو معنى الاعجاز ·

وجاء فى آيات العدل قوله(الكهف الآية ٤٨) و وضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين ممّا فيه ويقولون ياويلتنا مالهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الاّ أحصاها و وجدوا ماعملوا حاضرا ولا يظلم ربّك احدا ·

وهذا السياق يعطى تطبيق اقصى ملاك ممكن فى اقامة العدل بين الكائنات وان دائرة العدل الالهى لا تغادر الصغير و الكبير من الأعمال وان كل عمل عمله الانسان يجده حاضرا مجسما بين يديه حتى يقطع معذرته لاقامة الحدّ عليه ·

وهكذا قوله (فى سورة الجاثية الآية ٢٠و٢١) ام حسب الذين اجترحوا السيئآت ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواءمحياهم ومماتهم ساءما يحكمون وخلق الله السموات والارض بالحقّ ولتجزى كل نفس بما كسبت وهو لا يظلمون ·

وجاء فى النبوّة وما ينا سبها من آيات قوله (سورة الاسراء الآية ١٥) وما كنّا معذبين حتى نبعث رسولا : وقوله (سورة الحديد الآية ٢٥) لقد ارسلنا رسلنا بالبيّنات وانزلنا معهم الكتاب والميزان : وقوله (سورة النساء

الآية ١٦٥) رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجّة بعد الرسل : فهذه الآيات وعشرات امثالها اعربت للاجتماع البشرى ان رسالة الله انّما اريد بها التوجيه الصحيح للافراد ليسعدوا فى الحياة ماارادوا السعادة وان تكن الاخرى فقد أتمّ الله حجته عليهم وهناك لهم الويل من تدهور الوضع بهم فى الدنيا قبل الآخرة وقد طلعت الحياة على أهلها بكلتا حالتيها فأرتهم السعادة بأتمّ وجوهها فى تقديمهم للدين وائتمامهم به واركستهم فى الوان الشقاء عندما خلعوه واستبدلوا به الالحاد الجاف والميوعة القذرة والجهل العارم ويكفينا للتدليل على ذلك ما كان عليه المسلمون فى غابرهم من العزة والشموخ والشرف وماهم عليه الآن من الانحطاط والذلة والتبعثر ٠

امّا الامامة فهى عدل النبوّة لقيامها بضمان اجراء ماجاء به النبىّ وتوضيح مايحتاج الى التوضيح من نظمه وقوانينه واحكامه وتفصيل ما اجمل وكشف ما ابهم كما هى وظيفة النبىّ فى قبال الكتاب والفارق بين الائمة والانبياء ان الامام لا يؤسس ولا يوحى اليه والنبىّ يوحى اليه وقد يؤسس كما قد يكون معززا لدعوة من سبقه لا اكثر كالانبياء بعد ابراهيم الى بعثة موسى عليه السلام وكالانبياء بعد موسى الى بعثة المسيح وكالانبياء بعد المسيح الى بعثة خاتم الرسل ويشعرنا بذلك قوله تعالى (سورة السجدة الآية ٢٣ و٢٤) ولقد آتينا موسى الكتاب فلاتكن فى مرية من لقائه وجعلناه هدى لبنى اسرائيل وجعلنا منهم ائمة يهدون بأمرنا لمّا صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون : وبحث الامامة له فصل واسع بحياله من هذا الكتاب نأتى على تفصيله فى محله فانتظر حتى حين ٠

وجاء فى المعاد الجسمانى فوق الكثير من الآيات الشارحة له منها قوله تعالى (سورة ابراهيم الآية ٤٢ ومابعدها) ولا تحسبنّ الله غافلا عمّا

يعمل الظالمون انّما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتدّ اليهم طرفهم وافئدتهم هواء : وانذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربّنا اخّرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل اولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبيّن لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال فلا تحسبنّ اللّه مخلف وعده رسله ان اللّه عزيز ذو انتقام يوم تبدّل الارض غير الارض و السموات وبرزوا للّه الواحد القهّار وترى المجرمين يومئذ مقرّنين فى الاصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار ليجزى اللّه كل نفس ماكسبت ان اللّه سريع الحساب ٠

وامّا ما جاء فى عظاته وعبره وأمثاله وقصصه فكثير فوق ان يستقصى وفيه لمن يراعيه بلغة تكفيه عن كل واعظ وارشاد اىّ مرشد بفرض وقلّ ما تخلو سورة من سوره عن هذه الاستعراضات القاهرة بقوة منطقها ونحن نتعرض لقليل من ذلك للتذكرة ٠

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

فمنه ما جاء فى (سورة الاسراء الآية ٣٢ ومابعدها) ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا ولا تقتلوا النفس التى حرّم اللّه الاّ بالحق و لا تقربوا مال اليتيم الاّ بالتى هى احسن حتى يبلغ اشدّه واوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلا واوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا ولا تقف مالیس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا ولا تمش فى الارض مرحا انك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيّئة عند ربك مكروها ٠

وجاء فى (سورة الحجرات الآية ١٠ ومابعدها) انّما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين اخويكم واتقوا اللّه لعلكم ترحمون يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان

يكنّ خيرا منهنّ ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالألقاب يا ايّها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحبّ احدكم ان يأكل لحم أخيه ميّتا يا ايّها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند اللّه اتقاكم ·

فهذه الصور البارعة من العظات البالغة لها تأثيرها المدهش فيمن ألقى السمع وهو شهيد وهى التى أحالت من جفاة الجاهلية اناسا بعد الاسلام لهم وزنهم فى المثل العليا والاخلاق الفاضلة كما انها هى التى انتجت عليا والربانيين السالكين نهجه والمنتهجين طريقه وهى بعد كافية لأحياء المجتمعات على طول سلاسل الأجيال متى تنبه الناس من غفلاتهم وتراجعوا عن هذه الخطة من خلاعاتهم ·

وامّا ما جاء من بيان احكامه على أوجز لفظ واتقنه فمثل قوله تعالى فى(سورة المائدة الآية ٧) يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا برؤسكم وارجلكم الى الكعبين: وكما اسلفنا لا يستطيع الفقيه المتمرن ان يوجز الوضوء بهذا السبك الجامع المانع ومهما اوتى من فصاحة التعبير وكلّ احكام القرآن نخب و روائع ·

وامّا كونياته فقد اسلفنا البحث عن جملة منها ونسوق هنا لأعطاء النموذج طرفا قليلا ففى(سورة الرعد الآية ٢ ومابعدها) اللّه الذى رفع السموات بغير عمد ترونها وهو الذى مدّ الارض وجعل فيها رواسى و انهارا (وفى سورة الحجر الآية ٢٢) وارسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه (وفى سورة النحل الآية ١٠ ومابعدها) هو الذى انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون وسخّر لكم الليل والنهار و الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره وهو الذى سخّر البحر لتأكلوا منه لحما طريّا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر

فيه : الى غير ذلك ممّا قرب مبلغه الى ٧٥٠ آية فى شتات الكونيّات :وبعد فلا مجال للاطالة فى اعطاء النماذج و الفصل الذى عبّر به عليه السلام عن فضيلة القرآن قد ذكرناه وشرحناه فى الفصل الثانى من هذا الكتاب الكافل للبحث عن تعريف نهج البلاغة للاسلام و نبيّه و كتابه فلا نطيل بالتكرار .

* (٣ــ الاستقامة على الحقّ و لزوم الصدق) *

الاستقامة هى مرابطة الموقف من العمل و العقيدة وهى شعار حرية الانسان وبطولته و صرامته واعظم شعار لصراحته وايمانه وعن هذا المقياس انبعث قول من قال :

قف دون رأيك فى الحياة مجاهدا * ان الحياة عقيدة وجهاد

وقول علىّ عليه السلام حيث قال ،العمل العمل ،اى اعملوا بوظائفكم الملقاة على عواتقكم عملا نشيطا، ثم النهاية النهاية ،وهى مراعاة المقصد والغاية والهدف من هذه الحياة بصلاحها فى نفسها والاتصال من طريقها بالنشأة الثانية ،والاستقامة ،على النزعة الروحية التى اطمأنت لها قلوبكم واعترفت بلزوم الاعتراف بها عقولكم ،ثم الصبر الصبر ،على ما يواجه الانسان الحرّ الصريح من طريق الأصحار برروحياته وتثبيت معتقداته ، والورع الورع، فلا يحملنّكم تثبيت اهدافكم وتركيز عقائدكم على ملابسة ما لا يسوغ فان صحة الهدف لا تبرّر ارتكاب المقدمات العوجاء، ان لكم نهاية ، وهى الاتصال بعالم الحقّ والحقيقة ،فانتهوا الى نهايتكم ،من الطرق التى توفى اليها، وان لكم علما، وهو الامام المفترض الطاعة الطالع بكل المحاسن عملا ويعنى بالعلم نفسه سلام اللّه عليه ،فاهتدوا بعلمكم و ان للاسلام غاية ،وغاية الاسلام معارفه البنّاءه التى تضمن السعادة بأحسن

صورها لمن يستضئ بنورها، فانتهوا الى غايته واخرجوا الى اللّه، من طريق الطاعة والامتثال، بما افترض عليكم من حقّه وبيّن لكم من وظائفه، فاذا فعلتم ذلك، فانا شهيد لكم، عند اللّه، وحجيج يوم القيامة عنكم، حيث قال سبحانه يوم ندعو كل اناس بامامهم (الاسراء ٧١) وقال ونزعنا من كل امة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم (القصص ٧٥).

ثم انه قد روى ان هذه الخطبة من اوائل خطبه التى خطبها بعد مقتل عثمان لمّا بويع ومنه يعلم ماراد عليه السلام بقوله، الا وان القدر السابق قد وقع والقضاء الماضى قد تورّد، وهو ما جرى فى علم اللّه من تأخر نيله لمقام الخلافة الى الزمان الذى بويع فيه، وانى متكلم بعدة اللّه و حجّته، حين ثنيت لى الوسادة واتسع لى مجال القول ولولا صوارف القضاء لتقدم مقالى هذا قبل ازمان ولقمت فى مثل هذا المقام حيث زمن الناس موصول بزمان رسول اللّه وحيث ارواحهم مأنوسة بما كان عليه الرسول من مذهب وطريقة وحيث لم تتبلبل الاوضاع وتحدث الاوليات والبدع وحيث لم يلابس الناس بعد نبيّهم فتنا هوجاء وحالات منشعثة وتارات متصرفة والوانا متفاوتة فى كل شئ.

وحيث ان مالا يدرك كله لا يترك كله وان الاعذار الى الخلق فريضة محتمة حتى فى آخر نفس من انفاس البشرية على محدّب هذه الكرة و فى آفاق هذه النشأة ارى من اللازم علىّ ان اقوم بتوضيح وتشريح ماخاطب اللّه به عباده فى اتمام حجته عليهم بمثل قوله تعالى، ان الذين قالوا ربنا اللّه ثم استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ان لا تخافوا و لا تحزنوا و ابشروا بالجنة التى كنتم توعدون، وهذه الآية من القضايا الشرطية التى سيقت مساق الخبر لوقوع مقدمها من كافة الاجتماع الذى واجهه الامام فان الناس كلهم كانوا يقولون ربّنا اللّه ولهذا اردف الآية بقوله عليه السلام، وقد قلتم

ربّنا اللّه ،لكنكم لم تستقيموا على هذا القول بالقيام بلوازمه من طاعة ما أمر اللّه به ومانهى عنه فان صرف الاعتراف بربوبية اللّه لاوزن له والوزن كلّه قائم بما أعذر به اللّه وانذر و وعد وبشّر اذن ،فاستقيموا على كتابه ،الذى انزل ،وعلى منهاج امره ،الذى اوضحه بسنة رسوله والائمة الحافظين لشريعته من بعده ،وعلى الطريقة الصالحة من عباده ،تلك الطريقة التى طرحها اللّه بنفسه واستنّ عليها نبيّه المرسل من عنده ،ثم لا تمرقوا منها، بما تزوّرونه من انفسكم ،ولا تبتدعوا فيها، بجهلكم ،ولا تخالفوا عنها، بالانتباذ الى جانب آخر حبّا للشهرة وارصادا لكسب الصيت من طريق المخالفة ، فان اهل المروق منقطع بهم عند اللّه يوم القيامة ،يوم لا شفيع يشفع و لا صديق يدفع ولا معذرة تنفع، ثم اياكم وتهزيع الاخلاق ،اىّ تغييرها و تحويرها وتمزيقها وتفريقها، وتصريفها، فى كل مناسبة الى لون خاص فان ذلك هو معنى النفاق الصريح ولا ريب ان النفاق له اثره السىّء غير المحدود خصوصا اذا كان المنافق من جنس من ينافق عليهم فانه لكثيرما يتعمّى نفاقه تستشرى سمومه التى يحاول نفثها وبثّها فى المجتمع الذى يخالطه ،واجعلوا اللسان واحدا، فلا تنفوا فى يومكم ماثبتته السنتكم فى أمسها لرموز تدعو الى النفى مرة والى الاثبات اخرى ،وليخزن الرجل لسانه فان هذا اللسان جموح بصاحبه ،ومتى استخدمته رغبات النفس فهناك الويل للانسان من تموّج الحياة به ،واللّه ما أرى عبدا يتّقى تقوى تنفعه حتى يخزن لسانه ،فان الجهاز العملى للتقوى هو البدن واللسان اهمّ عضو عامل فيه فاذا عمل هذا العامل لمنويات الميول النفسية فقد انشمر صاحبه عن الفضيلة ومتى مرق عنها فقد بعد عن عقله ونبله والبعيد عن عقله ونبله لا يكون متقيا ولا ورعا ولا محتاطا ولا مهتديا بهدى اللّه .

وان لسان المؤمن من وراء قلبه ، بالتنزيل الصحيح وان كان مقرّه الفم

والقلب مقرّه الصدر، وان قلب المنافق من وراء لسانه، وبعبارة أصرح ان قلبه خارج عن مجموعة بدنه لان مقرّ اللسان اذا كان هو الفم وهو اقرب اطراف البدن الى الخارج فوراء الفم ليس الاّ الفضاء المجاور للانسان المنقطع عنه بالانتساب: ثم برهن عليه السلام على هذه الكلمة التى أبدعها فقال، لان المؤمن اذا اراد ان يتكلم بكلام، ويستخدم لذلك عضوه المتخصص به وهو اللسان، تدبره فى نفسه، اولا وعرضه على عقله ولبّه، فان كان خيرا ابداه، بلسانه، وان كان شرّا واراه، وأخفاه وامسك لسانه عن التكلم به، وان المنافق، لأجل تركيز رغباته واية كانت، يتكلم بما اتى على لسانه، من غير ان يتدبر الفائدة منه او عدمها فهو، لا يدرى ماذا له وما ذا عليه، فى النتيجة وان جارى كل مظّنة يحتمل فيها الفائدة لنفسه فلا يأبى ان يتظاهر بالصداقة للمتعاديين اذا لاقى كل واحد منهما بانفراده ويصدّق كلا المتعارضين اذا حدّثه كل واحد منهما بحديثه علّه يستحصل مرامه من اىّ موقف يحتمل فيه الحصول فمثل هذا الانسان طبعا تكون تصديقاته بلا تصورات وتظاهراته بالمحبة بلاواقعيات وهلم دواليك وكل تصديق يكون بلا تصور ومحبة بلا مقياس واقعية لا يعودان يرتبطان بالقلب ولا يكونان من شؤنه اذن فقلب المنافق فى كل مجاريه فى معزل عن بدنه وكأنه لايملك قلبا فى جوفه: امّا لسان المؤمن فبما انه لا يعمل الاّ بتحريك القلب له فكأنه من وراء القلب فى موقعه والقلب مقدم عليه وان كان مقامه فى الجوف واللسان فى الفم.

ثم استشهد على ما شرحه و اوضحه بمقالة الرسول حيث قال، ولقد قال رسول اللّه (ص) لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه، لان الايمان من محصولات القلب، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه، لان اللسان من الكواشف عن مكنونات الجنان ولا طريق اليه من كاشف سواه يصحر عنه

بدخائله ويعرب عن مكنوناته ، فمن استطاع منكم ان يلقى اللّه ، فى يوم حشره والوفود عليه ، وهو نقىّ الراحة من دماء المسلمين ، يريقها بالتهجم عليها ، واموالهم ، يبتزّها من دون مبرر مشروع ، سليم اللسان من أعراضهم ، سبّا وقذفا وغيبة وبهتانا ، فليفعل ، فان النبىّ الأكرم قال المسلم من سلم الناس من يده و لسانه .

(٤ ــ مقررات الشريعة و بدع الأهواء)

لا تجوز على الانسان أيّة حكومة تفرض ما سوى حكومة اللّه عليه وحكومة العقول ايضا اما حكومة اللّه فهى تكوينية قبل ان تكون تكليفية من ناحية ولأنّها خالصة فى صالحه من ناحية ثانية وحكومة الانبياء والاوصياء فرع حكومته تعالى ومستمدة منها .

وامّا العقول فباعتبار انها المقياس الوحيد فى تشخيص المصالح والمفاسد وانها لا تحيّز فيها الى جانب خاص من رغبة نفسية و هوى شخصى هذا ولكنّ تقريراتها فى طول تقريرات اللّه ولا تصلح لأن تقع فى عرضها لان الخالق هو المبدأ الأوّل فى كل شىء ومع اعتبار مقررات العقول فهى لا تتنجز على الاجتماع الاّ بصورة جماعية ليكون الناس محكومين لعقولهم المشتركة لا للآراء الفردية فان الرأى الفردى لا يكون حجة الأعلى صاحبه وذلك بعد التحقق والتدقق منه ايضا .

وفرضية الحكومة العقلية الجماعية لا تصح الاّ بترشيح الامم من ترضى عقله وايمانه لأن يمثّلها ويكون لسان حال عنها وحينئذ تكون قوانين الهيئة الجماعية فريضة محتمة على الامم التى قامت بهذا الترشيح والتزمت بالأصاخة لمقرراته : نعم هذا كله مجرد تصوير صحيح لكنه لم يتحقق فى الخارج منذ بدء الخليقة الى يومنا هذا لحصول ما حصل منه بالاعنات

والاغارة والتزوير لذلك لم تحظ البشرية فى يوم من ايامها بحاكم عادل و حكم صادق الاّ فى طرف منزور من الزمان فى بعض الامكنة فقط حينما تسنّى لبعض الانبياء والأوصياء ان يحكم حكومة سياسية :و مبسوط هذا الملاك نأتى عليه بشروح مفصلة فى باب الامامة .

وما قدمناه ارصاد لقوله عليه السلام ،واعلموا عباد اللّه ان المؤمن يستحلّ العام ما استحلّ عاما اول ويحرّم العام ما حرّم عاما اوّل ، و ان حلال الشريعة حلال الى يوم القيامة وحرامها حرام الى يوم القيامة وذلك لأن الشريعة مأخوذة عن لوح الواقع نفسه ولم تؤخذ عن ميل خاص اولصالح وقت خاص غير منسوخ ولهذا لا يصحّ فى قبالها ايّ تشريع يفرض من أىّ مشرّع يفرض كما لااجتهاد فى مقابلها باستحسان وقياس وذوق خاص و الى ذلك الاشارة بقوله عليه السلام :

وان ما أحدث الناس ،وهو رمز عن اوليات الخلفاء قبله الذين احدثوا من انفسهم اشياء عديدة وسلكوها فى نظام الشريعة نأتى على ذكرها فى بابها،ولا يحلّ لكم شيئا ممّا حرّم عليكم ولكن الحلال ما أحلّ اللّه والحرام ماحرّم اللّه ،وبما ان الوضع الذى استغلّه من كان قبله اصبح وضعا مبلبلا فيه من الهنات مالا يحصى لم يرض ان يكشف عن هناته فعلامخافةالانهيار فيزداد الطين بلّة وتشتت الأوضاع علّة بل اشار الى ذلك اشارات خفيفة فقال :

فقد جرّبتم الامور وضرستموها ، اى انكم وقفتم على أسرار ما جرى ولم حصل وان حصول كل كائن من تيك الأحداث كان عن دافع خاص لرمز أهاب بصاحبه ان يقوله او يفعله وعقلائكم لدى التحقيق واقفون على أسرار ما اقترن بحياتهم من اعمال ساستهم ،و وعظتم بمن كان قبلكم ،وانما اقدموا عليه لمّا لم يكن خدمة للحقيقة نتج عنه الشىء الكثير من المحاذير التى

يتضور منها الناس الآن ولكن لا محيص لهم عنها لان تعاطى اى شيء يفرض من الاشياء لا ينفصل عنه اثره الوضعى ،وضربت لكم الأمثال ،قبل ان تكون هذه الكوائن ولكنها مع كمال الأسف لم تؤثر اثرها،ودعيتم الى الأمر الواضح،فانقلبتم عنه الى الطرق البهماء فكان من اثرها ما كان والآن بعد تيك التجارب وتضريس الامور وضرب الامثال و وضوح الأمر،فلا يصمّ عن ذلك الاّ أصمّ ،اى شديد الصمم بحيث لا يستفيد من سامعته شيئا،ولايعمى عن ذلك الاّ اعمى ،اى شديد العمى ،ومن لم ينفعه اللّه بالبلاء ،و الاختبارات،والتجارب لم ينتفع بشيء من العظة .المجردة فانه ليس البيان كالعيان فاذا عمى الانسان عمّا عاين فعماه عمّا يسمع باذنه اشدّ ، و،اذا كان بهذه الدرجة من الانتكاس والتحلل ،اتاه التقصير ،وهو الاخلال بالحق ،من امامه ،وهو بين يديه الذى هو اشرف جهاته واوضحها له ،حتى ،يكون من تذبذب حالته وارتباك الامور عليه ،يعرف ما انكر ،سابقا وينكر ما عرف،آنفا اى يكون محلّ تضارب للشكوك والاوهام فيخيّل له ان ما انكره آنفا لم يكن بحقّه وان ما عرفه سابقا لاوجه له .

ثم فرّع عليه السلام على المقدمات الآنفة الكاشفة لطرق الهداية و الضلال قوله ،فان الناس رجلان متبع شرعةً .كما هو وظيفة كل فرد مخلوق مكلّف،ومبتدع،من نفسه ،بدعة ،ومحدث احداثا،ليس معه من اللّه برهان سنة ،فان برهانها منحصر بوحى السماء وهو ليس من اهل الوحى،ولاضياء حجة ،وهى المدارك الشرعية الثابتة عن الشارع،وان اللّه سبحانه لم يعظ احدا بمثل هذا القرآن ،الذى اراده كتابا لأجيال الأبدّية على ما يقتضيه مرور الأزمان من نضوج العقول واتساع آفاق الافكار ،فانه حبل اللّه المتين، الواصل بينه و بين عباده والرابط بين خلقه وشريعته ،وسببه الآمن،البعيد عن التحريف والتزوير ،وفيه ربيع القلب ،اى اطيب اغذيته وأمرئها لان

الربيع فى الزمان خيرة الفصول كلها، وينابيع العلم ،التى تتفجر لا الى انقطاع ونفاذ، وما للقلب جلاء، من صدأه ،غيره ، لعلّو معارفه ونضوج مضامينه و واقعية مطالبه : وانا الآن اذكركم بانواع التذكيرات اللازمة ، مع انه قد ذهب المتذكرون ، اولئك الذين اهتدوا بهدى رسول اللّه واختذوا حذوه وبقى الناسون او المتناسون، حيث احالت الأوضاع منهم هذا القبيل من الناس الذين قصّروا فى حقّ انفسهم بادئا فنالوا مغبّة ذلك نهاية ، فاذا رأيتم خيرا، يقال او يفعل ،فأعينوا عليه ، فان الخير عوائده للجميع ، و اذا رأيتم شرّا فاذهبوا عنه وباعدوه اذا لم تستطيعوا أن تقمعوه ، فان رسول اللّه (ص) كان يقول يا ابن آدم اعمل الخير ودع الشرّ فاذا أنت جواد قاصد ، اى حرّ أصيل مستقيم على الطريقة غير دنئ ولاضال و لا ريب ان الشرور لا تأتى عن الأحرار المهتدين .

* (٥ ــ الظلم وأقسامه) *

الظلم هو المروق عن مقررات الحقّ مطلقا فكلّ متجاف عن الحق ظالم لنفسه او لغيره او للحق والظلم هو العامل الوحيد فى الأطاحة بالمجامع البشرية والتقويض بالحياة الصحيحة ولما كان الظلم من شيم النفوس الجاهلة لحبّها التجافى عن ميزان الاعتدال حبّا جزافيا سبّب ذلك العامل تبلبل الحياة وتضجر كل انسان من دنياه ولا دواء لهذا المرض الآ رياضة النفس على شرائف الاخلاق وتحكيم المثاليّين فى سياسة امور الدين ومن دون ذلك فلاحياة والامام عليه السلام تعرّض لمختصر ذلك بقوله :

فامّا الظلم الذى لا يغفر فالشرك بالله قال اللّه ان اللّه لا يغفر أن يشرك به ، هذا من طريق السمع وامّا مبناه العقلى فهو ان الانسان بطبيعة

حاله متصرف الفكر جوّال الذهن منذ عرف نفسه على محانى هذا الوجود وهذا التصرف يبعثه دائما على التساءل عن علل الاشياء فان توصل فكره لشيء تقنع به نفسه سكن اليه والاّ أخذ يسأل غيره ويناقشه الحساب ومن اوليات مدركات الانسان توجهه الى هذا العالم واندهاشه بما فيه من عوالم وشؤن وهذا المعنى ممّا يسوق فيه حسّ التحسس عن المبدأ والعلة التى كوّنت هذا الكون وعدم الأكتفاء باختلاجات نفسه لانه يدرك غموض المسألة فتراه يسأل ويبحث حتى تقتنع نفسه بشيء فاذا حصل له من هذا المجموع شيء وحتما يحصل له فقد استطاع ان يعرف الموجد والمكوّن ·

امّا حديث الشركة فهو وراء مدركات الفكر قطعا وانما هو وليد اعتبارات ثانوية تخرج بالانسان عن محيط فطرته وفكرته كما يخرج به الاستجهال بالعلم الى الشك والتحيّر ونكران ما عرفه ولا ريب ان الاستجهال بالحق الذى هو منشأ كل الحقوق جفاء مزعج واذا استمرّ عليه صاحبه فقد اغذّ فى العناد والتجافى عن خبث وشرّ وروح ساقطة و روّج بذلك روحا فاسدة و اغوى من اخوانه الكثيرين الوفيرين ولا ريب ان مثل هذا الانسان يجب محقه وسحق طريقته والقضاء عليه و على نزعته وهو معنى عدم غفران اللّه له ·

وامّا الظلم الذى يغفر فظلم العبد نفسه عند بعض الهنات، وهى الميول التى تدفع بالانسان الى أن يرتكب من المعاصى صغائرها ممّا لا يتعلق بحقوق الأغيار، وامّا الظلم الذى لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضا، وذلك لان الحقوق التى فوّضها اللّه لكل عبد من عباده وجعلها من شؤنه الخاصة به فقد ملّكها له وجعل له سلطانا عليها ولا يحول بين هذا الحقّ والسلطان عليه الاّ تخلّى صاحبه عنه بطيب نفسه ليس غير: ثم عقّب ذلك بقوله، القصاص هناك شديد، وشدّته باعتبار اقامته بحذافيره و قد يضاف عليه لجهات اخرى توجبه وراء نفس المقاصّة، ليس هو جرحا بالمدى

ولاضربا بالسياط ولكنه ما يستصغر ذلك معه ،لان الاستدراج الدنيوى بهذه السعة ممّا يوجب شدة الملامة من اللائم وعنف التقريع من المسند رج بالك يا هذا العاصى كيف لم تنب ولم تتب ولم ترفع غشاء جهلك بالعلم ان كنت جاهلا وقد ارخى لك من الزمان ما هو فوق الكفاية بأضعاف فما انت الاّ قاصد للاطاحة بكرامة الحقّ عن عمد وخبث حبّا جزافيا لتركيز الشر بدل الخير وكل من يكون على الوصف كان اقصى ما يتصور من التعذيب فى حقّه قليلا فى التنكيل به ٠

فأياكم والتلوّن فى دين اللّه ،واظهاره كل يوم بلون وفقاً لرغبات النفس ورموزها الخبيثة ،فان جماعة فيما تكرهون من الحق خير من فرقة فيما تحبّون من الباطل ،فان الحق وان كان فى جملة من موارده ثقيلا على الميول صعب التحمل على الرغبات الاّ ان فى الاصاخة له مع ذلك حفظا لكافة حيثيات النفس وتأمينا لبقائها المستمرّ لان الرغبات النفسية مقرونة دائما بأوجاع وآلام لصاحبها وللاغيار جميعا بطبيعة تشابك الرغبات الموجب لتنازعها وفى التنازع مافيه من قيام بعض فى وجه بعض وفى ذلك مافيه من تبعات السوء التى لا تحصى ٠

وان اللّه سبحانه لم يعط احدا بفرقة خيرا ممّن مضى ولا ممّن بقى ، وكيف يعطيه خيرا والفرقة امّ المصائب والعامل الرئيسى فى الأخفاق و الحرمان ،يا ايها الناس طوبى لمن شغله عيبه عن ،الاشتغال فى ، عيوب الناس،فان انصراف الانسان الى رفع نواقصه ونقائصه وتكميل نفسه ممّا لا يدع له فراغا من الزمان الى الخوض فى شأن غيره ،وطوبى لمن لزم بيته وأكل قوته واشتغل بطاعة ربّه وبكى على خطيئته فكان من نفسه فى شغل والناس منه فى راحة ، نجد الامام عليه السلام هنا يدعو الى العزلة ونراه هو والسلف والخلف الصالحين من المثاليين لم يفتروا آنا عن معالجة

اوضاع الناس بكل جهد مستطاع فما التوفيق بين هذا وذاك: والجواب في غاية الوضوح وهو ان الانسان يجب عليه ان يجاهد بشتّى عوامل الجهاد في ترقية المجتمع من عامة نواحيه علمية كانت ام اخلاقية ام عملية امّا اذا طغى الفساد بكثرة اعوانه وانجراف الناس معه وصار موقف المؤمن موقفا فرديا لا يستطيع من طريق مبارزاته ان يؤثر القليل من الاثر على أقلّ احد هذا اذا تمكن ايضا ان يفوه بشيء فلا بدع ــ والحال هذه ــ اذا وجب عليه ان ينزّه نفسه عن التلوث بمثل هذا الطغيان الجارف ويصون نفسه حدّ الأقل ان تلوكها هذه الأشداق المتعفنة لا بأزاء شيء يستطيع استثماره وانجاحه لنفسه او لأخوانه ٠

* (وقال عليه السلام فيما عليه الانسان السائر من التناقض في الأخلاق) *

(نهج ابن ميثم ج ٥ ص ٢٩٥)

لقد علّق بنياط هذا الانسان بضعة هي اعجب مافيه وهو القلب وله موادّ من الحكمة وأضداد من خلافها فان سنح له الرجاء اذّله الطمع وان هاج به الطمع أهلكه الحرص وان ملكه اليأس قتله الأسف وان عرض له الغضب اشتدّ به الغيظ وان أسعده الرضا نسي التحفظ وان ناله الخوف شغله الحذر وان اتسع له الأمن استلبته العزّة وان اصابته مصيبة فضحه الجزع وان جهده الجوع قعد به الضعف وان افرط به الشبع كظّته البطنة فكلّ تقصير به مضرّ وكل افراط له مفسد ٠

النياط جمع نوط وهو ما يعلّق به و البضعة القطعة وليس المراد بالقلب في كلامه (ع) هو الجهاز المعروف للدورة الدموية بل هو كناية عن اللبّ وهو الشعور ومنبعث الادراكات والمنظور ان هذا الانسان في نظراته الأولية وادراكاته العادية غير المتركزة متناقض متهافت ذلك انّا نراه اذا

عرضت له حاجة واية كانت فى نفسها وحصل له رجاء بأحد طفر من ميدان الاعتدال امام المرجوّ الى طرف الطمع المذل وانحطت نفسه من اوج نخوته الى انزل مكان يتصوره المتصور والحال انّا نراه ــ لولا هذا الرجاء ــ مدلا بنفسه تيّاها بشخصه طاغيا فى حركات أعطافه وبمجرد ان تسلك خاطرة الرجاء بأحد فى وجوده ينقلب امام ذلك الشخص مرة واحدة من اعلا قلّة تجبّره الى ابعد عمق من ذلّته وانهياره ومنشأ هذا كله غلطفى التفكير ٠

امّا فى حالاته الاعتيادية فكان من واجبه بحكم الفكرالصحيح ان يترسل بنفسه فلايحملها على التزمت اذ لاداعى له حتى فى اعظم الرجال فان العظمة كيان روحى لاربط له بتحريك الأعطاف و تمويج الأرداف ولايستخفّ بها ويحطّ من كرامتها بعد أن خلقه اللّه حرّا مستقلا وامّا فى الحالات الاستثنائية فانه تجب مراعاة دواعى الاستثناء و وزنها بالميزان المناسب فالعالم الكبير ان وجب عليه ان لايختلط بالغوغاء بصورة مستمرة لان ذلك يسقطه فى انظارهم قطعا فليس معناه ان يتكبر عليهم فان ذلك يوجب مقته ايضا بل الخطّة اللازمة الاتخاذ له ان يعاشرهم على التناوب و ان لاينبسط لهم فى الحديث كما يهوون والحاكم السياسىّ مثله فى هذا الحكم حتى يستطيع الطرفان من هذا الطريق ان يقوما بمهمتهما الملقاة على عاتقهما ذاك فى تثقيفه للناس وهذا فى تحكيم النظام بينهم و هذان المقصدان لايحصلان مع انحشارهما بالغوغاء وتبسطهما معهم فى الحديث كما يهوون لتنزل شأنهما فى انظارهم حينذاك ٠

والمحتاج الى احد بحكم حاجته وحبّه لتنجيزها بجلب عاطفة الطرف اليه يجوز له ان يكسر من مقامه الاعتيادى له بصورة لاتخرجه الى طرف المهانة فانّ الانسان اذا اعطى كل حريّته واستقلاله من يده فقد سحق هوية نفسه بالمرة ومن لاهويّة له لايعد الاّ فى الأعدام الصرفة لعقمه عن

انتاج ايّ اثر وجودى مثبت لكن الانسان الغالط فى التفكير دائما تـــراه فى طرف انحراف من تزمت فارغ وذلة ماحقة لدواعى تافهة ليس بهـــا ان تنتج هذا التناقض السمج ٠

ثم استمرّ عليه السلام فى بيانه عاطفا على ما سلف بقوله: وان هاج به الطمع اهلكه الحرص: الطمع هو ترصد النفس لنيل الشيء من مظنّة ممكنة وبذل اقوى الدوافع الى تحصيله من ايّ طريق تيّسر مع دوام توجيه النفس الى تلك المظان والحرص هو الأصرار على ذلك بشدّة فى طريق التحصيل والاعتزاز الزائد بالشيء بعد الحصول وكلا الخلقين من الطمع والحـرص ممقوتان مرذولان عند العقلاء: امّا كون الطمع رذيلة فلانه استدعاء لما هو فوق حاجة النفس الواقعية بكثير وهذا الاستدعاء لا يتمّ على الانسان مجانا بل هو يشغل النفس ويزعج البال عمّا سوى هذه الرغبة ويجهد القـــوى بمقدار التوقع الزائد ويوسع مجال التزاحم والتغالب بين الناس ويوجـب مبغوضية الطامع للعموم من طريق هذه المغالبة الشديدة هذا فضلا عـن كون الزائد خارجا عن حومة تصرفه الى الأبد فاذا كان الطمـــع بهـذه المثابة كان الحرص اشدّ منه بمراتب فى كافة المحاذير التى اسلفناها لان الحرص نتيجة اشتداد الطمع بعد ظهوره فى الانسان وهو معنى قولـه عليه السلام وان هاج به الطمع أهلكه الحرص ٠

وان ملكه اليأس قتله الأسف. اليأس هو انقطاع الرجاء من المرجـــوّ لانسداد المنافذ الموصلة اليه بنظر الراجى والأسف شدّة تأثر النفـــس من حصول الشيء او عدم حصوله واليأس فى نفسه ليس رذيلة لصاحبـــه ولكنه قد يصفّ فى صفّ الرذائل من طريق دواعيه فقد ينشأ اليأس مـــن الكسل عن التحرّى او احتمال المخاوف فى طريقه او البخل عن البذل فى سبيله وما الى ذلك وهو كلّه من قماش الرذيلة لانه ناشيء عن ضعـــف

النفس القابل للأزالة بأعمال البطولة ولا ريب ان ضعيف النفس يقتله الأسف لقيام التأثر في نفسه اكثر من الباقين امّا البطل المقاوم فقد ييأس من موقفه لانسداد كل المنافذ في وجهه ولكن الاسف لا يهيمن على وجوده ومهما طالت محروميته ٠

وان عرض له الغضب اشتدّ به الغيظ. الغضب غريزة نفسانيّة فلا محذور من عروضه لأيّ انسان لكنّ موقف الفضيلة والرذيلة منه منوط بتذويبه بالحلم والأساغة فتلك هي فضيلة الانسان من هذا الموقف وبالهياج والانزعاج فتلك هي الرذيلة ذلك لان الهياج والانزعاج اذا استرسل معهما صاحبهما افقده ذلك شعوره فيصبح كالهائم المختبل وفضلا عن نزول قدره وسقوط كرامته بين الناس من طريق هياجه وانزعاجه تراه يستثير امامه انواع الجرائم الساكنة و وقوع جريمة واحدة من طريق الغضب كاف في تلاحق سلاسل الجرائم والمسؤليات فاشتداد الغيظ الذي هو منشأ هذه المحاذير ليس بلازم لمجرد عروض الغضب للانسان الواعي لكنّه من طفرات نفس ضعيف النفس ٠

وان أسعده الرضا نسي التحفظ، اي ان اسعده التوفيق بنيل ماكان يحاول فرضي من وضعه أهمل التحفظ من مهاجمة المحاذير له من حيث لا يشعر فيكون ذلك دليلا على قلة شعوره واخلاده للعافية الجوفاء بل من واجب العقل تيقظ الانسان لنفسه وسهره على حفظ مصالحه حتى لا يؤخذ على حين غفلة بأقل هجوم عليه ٠

وان ناله الخوف شغله الحذر ، ناله الخوف اي اثّر في نفسه فكان من الخائفين لهجوم ماخافه ومثل هذا الانسان على فرض تركز خوفه على مبنى صحيح لا يجوز له ان يسلم نفسه للحذر ممّا خافه شبيه الموسوسين بل يجب عليه ان يعمل لمقاومة ما خافه وان لا يعطي ثباته من

يده لطلائع الشرّ يواجه بها فانه ان خاف من طلائع الهجوم فقد اسلم نفسه للمهاجم حين هجومه عليه .

وان اتسع له الأمن استلبته الغرّة ، وهى اخلاده الى الراحة وانصرافه عن حساب المهاجم والمزاحم بل يجب على الآمن ان لا يغفل عن عروض ما يوجب تشويشه وانهياره .

وان اصابته مصيبة فضحه الجزع، وهو اظهاره لجميع آلامه وفى ذلك محاذير اخلاقية منها فتحه باب السرور على الشمّات والحسّاد والأعداء بما حلّ به وازعجه ومنها تسابق هؤلاء وامثالهم الى الأيقاع به بعد ما وقفوا على وهنه وقلة مقاومته ومنها افتضاحه عند اصدقائه ومحبيه والسائرين من الناس اذن فاصابة المصيبة وان كانت لا تخلو من اثر قطعا فى النفس والعاطفة الاّ ان الواجب على الانسان فى ظرفها اظهار التماسك وابداء الجلد حتى لا يقع فى تلك الحزازات الشائنة .

وان افاد مالا أطغاه الغنى ، لا لأنّه يبذله فى الناس فيحصّل من طريقهم معروفية واسعة وشخصيّة مرموقة ينفخ لهما صدره ان جاز للمحسن ان يتعالى بأحسانه الى اخوانه بل لأن هذه المادة المحتكرة عنده تخلق فيه روحا متغطرسة بأنه يجد مالا يجده الكثير من الناس من مال ومنال غافلا عن ان ذلك لا يعطيه حرمة الاّ عند الطبقة النازلة منهم وهذه الحرمة لا وزن لها لان الذين يقيمونها لا وزن لهم فأفادة الغنى لا يجوز ان يسبّب الطغيان للعاقل على كل حال خصوصا اذا كان من الممسكين .

وان عضّته الفاقة شغله البلاء بها والتأثر منها عن محاولة ما يرفعها او يقلّل من بليّتها فيكون من نتيجة ذلك وضوح فقره للناس بزائد انكساره واخلاده الى الفاقة وخنوعه لها واستمرار تأثر نفسه امّا الأنشغال بالمحاولة لما يرفعها فانه يرفع عنه كافة تلك المحاذير فان الجادّ فى طريق المعالجة

لا يظهر مرضه للناس لقيامه بترميم نفسه والذى يجعل الفقر ورائه والغنى أمامه تراه نشيطا بما يستقبل من تحقيق أمل وتبعا لذلك يرتفع او يخف تأثر نفسه من اطاحة الفاقة به .

وان جهده الجوع قعد به الضعف، مستسلما حتى يموت وهو فى مكانه من الذلة والكسل والواجب على من جهده الجوع ان يستفيد من بقية مافيه من رمق قوّة للسعى وراء ما يرفع جوعه وادامة حياته بعد ذلك .

وان أفرط به الشبع كظّته البطنة ، فمن لازمه ان لا يفرط به الشبع حتى لا يبتلى بهذا العارض المعجز ونتيجة لذاك ولهذا كله ان كلّ تقصير بالميزان الصحيح للانسان حسبما جرّبته العقول مضرّ به مادة ومعنى وان كل افراط وتجاوز عن الحدّ مفسد له ومسقط له عن الانتفاع .

* (وقال عليه السلام لقائل قال بحضرته استغفر الله فى معنى التوبة والأستغفار : نهج ابن ميثم ج ٥ ص ٤٤٤) *

ثكلتك امّك أتدرى ما الأستغفار الأستغفار درجة العلّيين وهو اسم واقع على ستة معان اوّلها الندم على مامضى والثانى العزم على ترك العود اليه أبدا والثالث ان تؤدى الى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله أملس ليس عليك تبعة والرابع ان تعمد الى كلّ فريضة عليك ضيّعتها فتؤدّى حقّها والخامس ان تعمد الى اللحم الذى نبت على السحت فتذيبه بالأحزان حتّى تلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد والسادس أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية فعند ذلك تقول استغفر الله .

الأستغفار طلب المغفرة والعفو وطبعا لا يصحّ هذا الطلب مع الأستمرار على المعصية وانما يسوغ مع النزوع عنها ولا يحصل النزوع عن

المعصية الآ بتمام ستة امور ٠

(اوّلها) الندم على مامضى من الانحراف والندم صفة نفسانية اثرها تغيير مستوى الروح بما يظهر على سحنات الأنسان فبينا كنت ترى العاصى قلقا فى تموّج اساريره متلونا فى هيئة وجهه وبدنه تبعا للجرائم التى يريد ارتكابها او حين الارتكاب وبعده تراه بعد الندم خافتا خاشعا يسطع للنجابة على وجهه برهان فالندم على مامضى تطهير روحى للنفس وتغيير لمجراها من شرّ الى خير كما انه الحجر الأساسى للأمور اللاحقة ومع عدمه لا تحصل ٠

(ثانيها) العزم على ترك العود الى مامضى ابدا وهذا الوصف روحى ايضا مؤكد للوصف السابق بالتصميم المستمرّ على بقاء تيك الطهارة الروحية والأستمرار معها مادامت الحياة وهذا معناه تغيير الهوية بنحو مستمّر بالأنصراف عمّا مضى كلية فاذا لم يجد الأنسان حين ندمه هذه الروح فيه فهو مضطرب فى ندمه مستضعف فى ارادته وبالأخرة لم يحصل منه تطهير صحيح للروح ولا تغيير للمجرى ٠

(ثالثا) اداء حقوق الناس اليهم حتى يلقى العبد ربّه نقيّا ليس عليه من حقوقهم تبعة فانه قلّ عاص يعصى اللّه فى حقوقه فقط واللّه سبحانه لمّا احترم العلاقات المشروعة جعل لأهلها تمام السلطان عليها وحرّم على الاغيار كل تجاوز يكون على ذويها فمتى تجاوز المكلف على حق غيره وجب عليه ان يخرج منه طبق القانون الشرعى وادناه جلب رضاه فاذا طابت نفس صاحب الحق عن المتجاوز فذاك يعتبر خروجا من الحق واسقاطا للتبعة من ناحيته ٠

(رابعها) أن يعمد النادم الى كل فريضة ضيّعها فيؤدى حقّها فان اللّه لم يكلّف عبثا وتكاليفه ضربة لازب على المكلّف فان كان حال

انحرافه أخلّ بصلاة او صيام او زكوة او حجّ او ما الى ذلك وجب عليه ان يقضي مافوّته ويستدرك ماتركه وصرف الندم لا يسقط عنه ذلك .

(خامسها) أن يعمد الى اللحم الذى نبت على السحت فيذيبه بالأحزان حتى يلصق جلده بعظمه وينشأ بينهما لحم جديد وهذا المعنى اخلاقى عرفانى لا شرعى الزامى والهدف منه ان الندم كما يحيل الروح الى هوية ثانية فيكون المكلف النادم بعد ندمه غير نفسه حال عصيانه فليكن الجسم كذلك بأن تذيب الأحزان ماكان نبت على الحرام وينشأ له لحم جديد من مطعوم حلال فيأتي بعد ذلك فى روحه وجسمه غير ذاته فيما كانت عليه اوّلا .

(سادسها) الدؤوب على الطاعة بالأكثار منها ولو خارج أطار التكليف ليذوق الجسم مشقة ماتستلزمه الطاعة بمقدار ماذاق من حلاوة المعصية وهذا المعنى أخلاقى ايضا ان اريد باذاقة الجسم الم الطاعة وراء ماعليه من الفرائض المتخلفة . وانما نسبت المشقة الى الطاعة والراحة الى المعصية باعتبار ميول النفس واهوائها والاّ فالعاقل يرى الراحة فى الطاعة والمشقة فى المعصية لأنّ أوامر اللّه ونواهيه لم تقم الاّ على ما يصلح الاجتماع البشرى من كافة نواحيه ولم يكلّف عباده شططا اجهادا لهم من غير مصلحة مكافئة :فاذا قام الأنسان النازع عن المعصية بهذه الأمور الستّ وتحققت منه عملا فحينذاك يصحّ منه ان يطلب المغفرة عمّا سلف منه من تمرّد وانحراف ومخالفة للخالق فان صرف الندم واداء حقوق الناس وتدارك مافات من الفرائض لا يستلزم من نفسه غفران اللّه فان اللّه سبحانه تجوز له المؤاخذة على نفس الانحراف بما هو انحراف فضلا عن متعلقاته اذن فالأستغفار يقع فى مرتبة سابعة وراء تلك الامور الستّة وتلك الأمور مقدمات مهيّأة لموقعه وبذلك كان الأستغفار درجة العلّيين .

* (وقال عليه السلام فى مراتب انكار المنكر وما يترتب على كل مرتبة من أثر (نهج ابن ميثم ج ٥ ص ٤٢٨) *

ايّها المؤمنون انه من رأى عدوانا يعمل به ومنكرا يدعى اليه فأنكره بقلبه فقد سلم وبرئ ومن انكره بلسانه فقد اجر وهو افضل من صاحبه ومن انكره بالسيف لتكون كلمة اللّه هى العليا وكلمة الظالمين هى السفلى فذلك الذى أصاب سبيل الهدى وقام على الطريق ونوّر فى قلبه اليقين .

العدوان هو التجاوز عن الحقّ والميل عليه والمنكر هو العمل المنشعر عن الوجدانات البشرية ونتيجة كلّ من انتشار العدوان والمنكر شيوع الفساد فى الكون وتبلبل اوضاع المخلوق وكل ميل يكون بهذه المثابة تجب مبارزته ودكّه لحفظ المجتمع من الأنهيار وكلّ فرد من الافراد بمقدار سهمه من مجتمعه مسؤل باداء هذا الفرض ولا تسقط عنه هذه الوظيفة الاّ بامتثالها وامتثالها له درجات بحسب المكنة الشرعية ودرجاته ثلاثة من الأدنى الى الأعلا .

(١) الانكار بالقلب ولازمه الأعراض عن المعتدى وفاعل المنكر وعدم ملابسته وممارسته بما يشكّل من الأجتماع فريقين متضادّين فريق الظالمين وفريق المنكرين وطبعا لا تصل النوبة الى هذا التكليف الاّ بعد معصية التكليف الذى يكون فوقه فان العمل بالعدوان والمنكر لا يتمشّى فى الناس الاّ بعد خذلانهم للحق وعدم مناجزتهم للباطل ومعنى قوله عليه السلام فقد سلم وبرئ انّه سلم من مؤاخذة اللّه له اذا لم يكن مقصرا قبل هذه الحالة وبرئ من الوظيفة الفعلية المتوجهة اليه .

(٢) الأنكار باللسان وتشتمل هذه المرتبة على جميع ما هو من رديف اللسان كأشهار القلم بالكتابة والقدم بالسعى والدرهم بالبذل وما الى

ذلك وهذه العوامل من الحراب المهمّة متى نشطت لتركيز الحق ودحض الباطل الاّ انها لا تبلغ مبلغ القوى المادّية الداحرة لو كان طرفها مغرقا في العناد واللجاجة والتعنت والغطرسة وقد رتّب الأمام عليه السلام الأجر لفاعل هذه الوظيفة ولم يرتبه على المنكر بالقلب فقط وذلك لأن الأعراض بالقلب لا يؤثر في دكّ المنكر الاّ مالا يعتدّ به امّا اللسان وما كان من طرازه فلا يعدم التأثير في قمعه ومناجزته وبذلك كان المنكر باللسان افضل من صاحبه المتقدم الذكر .

(٣) الانكار بالسيف لأحقاق الحق وابطال الباطل وتركيز الحقائق الراهنة في المجامع لمصلحة الجميع والسيف وان كان في الحقيقة مقيما للموازين العلمية وضامن اجراء لمقاييسها وتصرفاته من دون ميزان تعدّ جريمة الاّ ان الموازين بدونه لا تعمل عملها اللازم لكثرة المنحرفين عن عمد وقصد لاجهل وغفلة وتطبيق ما يوجب السعادة للناس عملا لا يكون بسواه ولذلك كان اعمال السيف آخر وسيلة يتوسل بها لأقامة عرش العدل ودكّ حكومة الباطل .

وانّما قيّد الأمام الأنكار بالسيف بقوله لتكون كلمة اللّه هي العليا وكلمة الظالمين هي السفلى لانه ليس حمل كل سيف بمؤثر في ازاحة المنكر فأن كثيرا من السيوف انّما يحمل لرمز وتتوخى به غايات وراء ذلك من تحكيم سلطان خاص وبنيان عروش لخصوص افراد وان كان بظاهرة انكار المنكر .

امّا اذا حمل السيف خالصا لوجه اللّه لغاية تركيز الحق بما هو حق فذاك الذي يصيب سبيل الهدى في سعيه ويقوم على الجادة العادلة في مشيه لان اليقين بالحقيقة قد نوّر قلبه ونشّط اعضائه ومهّد له السبيل الواضح : روى ابن جرير الطبري في تاريخه عن عبد الرحمن بن ابي ليلى الفقيه وكان ممّن خرج لقتال الحجاج مع ابن الاشعث انه قال فيما كان

يحضّ به الناس على الجهاد انى سمعت أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليه السلام يقول يوم لقينا أهل الشام ـ ايّها المؤمنون الخ .

* (وله عليه السلام فصل فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أبسط من كلمته الآنفة فيهما (نهج ابن ميثم ج ٥ ص ٤٢٩) *

فمنهم المنكر للمنكر بيده ولسانه وقلبه فذلك المستكمل لخصال الخير ومنهم المنكر بلسانه وقلبه والتارك بيده فذلك متمسك بخصلتين من خصال الخير ومضيّع خصلة ،ومنهم المنكر بقلبه والتارك بيده ولسانه فذلك الذى ضيّع اشرف الخصلتين من الثلاث وتمسّك بواحدة ،ومنهم تارك لأنكار المنكر بلسانه وقلبه ويده فذلك ميّت الأحياء وما أعمال البرّ كلّها والجهاد فى سبيل اللّه عند الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الاّ كنفثة فى بحر لجّى وان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يقربان من أجل ولا ينقصان من رزق وأفضل من ذلك كلمة عدل عند امام جائر .

والترتيب فى هذا الفصل فضلا عن كونه مشروحا قد أخذ فيه التنزّل من الأعلا الى الأدنى كما هو المألوف فان قيل لم جمع عليه السلام الى الأنكار باليد الانكار باللسان والقلب فان من لازم الانكار باليد الأنكار بالقلب واللسان جميعا قلنا لاملازمة دائمة فانه قد يتظاهر الأنسان بأنكار المنكر بيده لأهداف خاصة ولكنه لا يعتقد بذلك قلبا ولا يشهّر لتشقيق القول فيه لسانا :وانما استكمل جامع هذه العوامل الثلاثة خصال الخير كلّها لانه ليس وراء تثبيت المعروف والتنديد بالمنكر خير يذكر .

وامّا المنكر بلسانه وقلبه والتارك بيده فان كان لتقصير منه فهو مكلّف قد بعّض فى امتثال الوظيفة فتمسّك بخصلتين من خصال الخير وضيّع خصلة مهمّة فى نفسها وان كان لاكتفاء منه بغيره واعتماد على جهازه

الخطابى او الكتابى وما الى ذلك فهو ان ضيّع فقد ضيّع خصلة سائرة واذا كان تأثيره فى لسانه وقلمه اقوى من تأثيره بسنانه لو عالج الميدان بنفسه وشغله ذلك عن التفرغ للبيان فقد يسقط عنه وجوب الميدان فلا يكون مضيعا لشىء .

وامّا المنكر بقلبه والتارك بيده ولسانه فان كان تقصيرا وتقديما للراحة فذلك من اشدّ العصاة اذ لا ينجع الأعراض القلبى فى دكّ الباطل وان كان قصورا لتسلط المنكر بانسحاب المكلفين عن ميدانه حتى اصبح المكلف لا يملك غير قلبه المحجوب مع انه لم يكن من المنسحبين فى دوره فهو معذور وتضييعه لأشرف الخصال الثلاث قهرىّ فى حقه .

وامّا التارك لذلك جميعا فهو عاص قطعا على كل حال ذلك لان القلب باختيار صاحبه دائما ولا يتمكن ان يتصرف به ايّ احد يفرض هذا من الوجهة الشرعية وامّا من الوجهة الاخلاقية الاجتماعية فهو ميّت الأحياء بالحقيقة فان الذى لا تتأثر عاطفته من المزعجات الروحية والانهيارات الجسمية يكون هو والميت على حدّ واحد .

ثم اوضح عليه السلام مقام الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بين أعمال البرّ كلّها بقوله وما أعمال البرّ على تنوّعها وكثرتها، وهكذا الجهاد فى سبيل اللّه ، بالسيف ، عند الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الاّ كنفثة فى بحر لجىّ ، فكما ان النفثة لا تؤثر فى البحر اللجىّ الاّ اثرا ضئيلا لا يعتدّ به اصلا كذلك أعمال البرّ والجهاد بالقياس الى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ذلك لأن منطقة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تسع كل الفضائل الاخلاقية ولا يتخلف عن ملاكها ادنى شىء من الخيرات والمصالح العامّة .

ثم أبان عليه السلام عن حقيقة ثانية تشجّع المتكاسلين على الورود فى

هذه المنطقة بأن الذي يزع الناس عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نوعا هو الخوف من طريق ذلك على النفس او الأطراف او ما يمتّ الى الحياة من الشؤن وبعد أن كانت الآجال بالعيان غير مربوطة بالتعذيب والتنكيل وقصد القتل فكم انسان تصوّب اليه الرصاص المشتعل وهو اقوى سبب في الفناء فامّا سلم منه في جميع نواحيه وامّا اصيب اصابات التئمت بالمعالجات القليلة كان الخوف المذكور جبناً شائنا وعيبا ظاهرا .

كما ان الارزاق غير منوطة بالانحياز الى طرف السلامة وحبّ الراحة بل ولا بالاشتداد نحوها والحرص على تحصيلها وهذا العيان الفسيح شاهد صدق على كلتا القضيتين الأولى والثانية .

ثم ختم عليه السلام هذا الفصل بكلمة وجيزة اخرمت عن معنى نفيس قد يكون واسطة العقد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتلك هي قول الانسان كلمة عدل عند امام جائر ولا ريب ان هذه الجملة تحتاج الى تحليل حتى يظهر معناها المقصود للأمام عليه السلام وهو يتوقف على التعريف بمقدمات عديدة .

(١) ان الأمام الجائر انما استطاع ان يجور لتمام سيطرته ونفوذه على منطقة حكمه فمثل هذا الأمام يكون مجمع القوى التغنينية والقضائية والأجرائية في شعبه وهذه القوى هي كل ذخائر الشعب المحكوم ولا يملك ورائها شيئا لنفسه فهذا الحاكم بهذه القدرة معناه انّه الشعب كله وهذا هو الذي عبّر عنه الأمام في كلمة اخرى بمضمون اذا تغيّر السلطان تغيّر الزمان وهو معنى محسوس مشهود للجميع فقد عاينت ادوار البشرية من تغيّر السلاطين المقتدرين انقلاب الوضع الشعبي من كافة نواحيه بطسور كانت تحيله قبل وقوعه فتغيّر السلطان ينسخ الأديان ويحوّر روحيّات الأنسان ويخلق من المجامع مجامع اخرى تغايرها في اخلاقها وعاداتها

ومذاهبها ومعتقداتها ومكاسبها وطرز مشيها بل فى كل شئ من اشيائها ونظرة الى روسية قبل الانقلاب الشيوعى وبعده والى تركية قبل حكومة اتاتورك عليها وبعد نفوذه فيها كافية لفهم معنى تغيّر الزمان بتغير السلطان فهذا هو ملاك الأمام الذى بمقدوره أن يجور ·

(٢) ان الأنسان الذى يستطيع ان يحتلّ مكانة من بلاط هذا الأمام بنحو يكون جليسه وأنيسه لا يكون فردا عاديا من الناس ولا من اصحاب المناصب الحكومية الآ فى افراد قلائل جدّا قد يسخو بهم الزمان فى فترات خاصة لندرة المواهب التى تمتعوا بها فى غيرهم اوعدمها بالمرّة ·

(٣) ان مثل هذا الانسان الذى احتلّ تلك المكانة لا يستطيع ان يقول كلمة العدل امام ذلك الملك الجبّار الجائر الآ اذا كان نزيها فى نفسه معروفا بالنزاهة عند هذا الملك وانه لا يريد بكلمته هذه استنقاص هذا المتغطرس بل ارشاده الى ماهو الأصلح لحكومته فاذا تمّت هذه الموازين وقال هذا النزيه كلمته العادلة واثّرت فى عاطفة ذاك الجبّار فقد غيّر بكلمته وضعا عامّا وأزال جورا واسعا وتحقق من طريقه عدل عملى عامّ ولو فى بعض الشؤن العامّة ولا ريب ان هذا فوق الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر المتداولين من سائر الناس لسائر الناس لضخامة تأثير ذاك بالنسبة الى هذا :ونختم الكتاب بمقال يقارن بين العقل والدين ·

* (العقل والدين) *

العقل اقوى جهاز حسّاس فى الانسان ويمتاز عن سائر الحواس بأنّه القاضى الوحيد فى الافكار والآراء الحاصلة له بل وفى سائر الاحساسات المادّية بعد عرضها عليه بصورة بحوث قابلة للتأييد والتزييف ويمتاز ايضا بأنه مع الاحتكاك به وكثرة المراودة له والتجاوب معه يرفع افق صاحبه بما يجعل بينه وبين الافراد العادّيين مسافة سحيقة جدّا تخلق من الطرفين

صنفين لا ربط لأحدهما بالآخر الاّ فى الصورة النوعيّة فقط ٠

ومن خواص العقل انه جهاز فيه من الحسّاسية مالا يوجد فى اىّ جهاز سواه فانه مع التوجه اليه دؤوب فى عمله لا ينفك عن مواصلة البحث فى الأسرار والطلاسم ومن طريق هذه الخاصة فيه استطاع ان يهيمن على اهمّ المشكلات فيحلّها سواء أكانت هذه المشكلات من رموز البحوث الفكرية أم من خفايا الطبيعة فكما استطاع العقل ان يخلق من افراد الأنسان فلاسفة بعيدى الغور فى الفنون النظرية ورياضيين عظماء فى الحلول الفكرية كذلك استطاع ان يخلق منهم مكتشفين فوق حدود العظمة فى الأمور الطبيعية ٠

ولولا العقل ما استطاع الدين ان يركز نفسه طرفة عين حتى فى قلب انسان واحد فان العقل هو العامل الوحيد فى تهيأة النفس لقبول الدين والخضوع له ولذلك كثر فى الآثار السمعية ان العقول رسل اللّه من الباطن وان الانبياء رسله من الظاهر ٠

والعقل بما هو عقل واحد فى الجميع واختلافه انما يجئ من طريق كثرة ممارسته وقلّتها وشدة الركون اليه وعدم الاعتناء به والوقوف لمحاسبته بدقة وعدم ذلك وهذا هو المنشأ فى تعاكس آرائه بين عاقلين او اكثر والاّ فهو فى نفسه لا يضلّ ولا يخطأ نعم لا شبهة فى كون مسيله الذى يجرى فيه محدودا اذ ليس باستطاعة العقل ان يفهم كل شئ تبنّاه الكون من اسرار وطلاسم لمحدوديته بالجبلّة اذ كل قوّة فى عالم الأمكان محدودة ٠

واعتدادا بالعقل ومواقفه المدهشة قال البراهمة لا نرى معنى لبعثة الرسل فان ما يجيئون به ان كان ممّا تعقله العقول وتدركه كان ذلك من تحصيل الحاصل وان كان ممّا لا تعقله ولا تدركه لم يكن سبيل الى التصديق

به ولا طريق الى معرفته لان الأنسان لا يخضع لأيّ مطلب يفرض من دون أن تذعن نفسه به ولذلك اذا حمّل عليه مطلب بالقهر أصاخ له عن انزعاج وتلوّى ومتى حصلت له مندوحة عن الخروج منه خرج منه لاعنا من استبدّ به متأثرا اشدّ التأثر ممّا حمّل عليه من دون حق .

لكنّ نظرهم هذا خاطئ من جهة واحدة وهي ان العقول في اصل خلقتها قابلة للتوسعة ما حصل لها مثقف ومدرب ومن طريق تثقيف الاستاذ لتلميذه ترى عقل التلميذ يزداد يوما فيوما سعة ودربة والرسل باعتبار انهم لا ينطقون الاّ عن وحي مأخوذ عن صفحة الواقع نفسه فهم من طريق الواقع الذي يلقون به امام العقول يحركون الصور الكامنة فيها وحينذاك تتوجه الى انّها لولا هذا التذكير لبقيت غافلة عمّا يوجد في خزائنها من صور عالية ودائما مهمة النبيّ والفيلسوف القدير هي ذلك وهي اثارة الصور المندكة في النفس الأنسانية لاخلق شيء لا وجود له فيها فان ما لا يعقل بالمرّة لا يجوز عرضه على من لا يستطيع ان يتعقله ابدا لانه اشبه شيء بمكالمة الجدار وهو مالا يجيزه عاقل كائنا من كان لنفسه فكيف يواجه الأنبياء الناس بمالا يستطيعون تعقله اصلا حتى بعد التذكير التام والفات النظر المكرّر وما هي فائدتهم من ذلك والنفوس بعيدة عنهم فيه .

وهنا نسوق شواهد ممّا قامت به الشريعة في تذكير العقول فتوجهت اليه بعد أن كانت غافلة عنه .

فمن ذلك ماروا ه محمد بن مسلم قال سمعت ابا جعفر (محمد بن علي بن الحسين) يقول اني كنت عند قاض من قضاة المدينة واتاه رجلان فقال احدهما اني اكتريت من هذا دابّة ليبلغني عليها من كذا وكذا الى كذا وكذا بكذا وكذا فلم يبلغني الموضع فقال القاضي لصاحب الدابة بلغته الى الموضع فقال قد اعيت دابّتي فلم تبلغ فقال له القاضي ليس لك

كراء اذا لم تبلغه الى الموضع الذى اكترى دابتك اليه قال فدعوتهما الىّ فقلت للذى اكترى ليس لك ياعبد الله ان تذهب بكراء دابة الرجل كلّه وقلت للآخر ياعبد الله ليس لك ان تأخذ كراء دابتك كله ولكن انظر قدر مابقى من الموضع وقدر ماأركبته فاصطلحا عليه ففعلا ـ الوسائل كتاب الأجارة باب ان من اكترى دابة الى مسافة فقطع بعضها واعيت فلصاحبها من الأجرة بالنسبة .

ولا ريب ان هذا القاضى عاقل من العقلاء وفضلا عن عقله المتعارف وارد فى القضايا الفنية شيئا ماحدّ الأقل لكن عقله اغترّ بظاهر ما استأجر عليه المكترى دابة المكارى وانه يحمله من مكان كذا الى مكان كذا بمبلغ كذا فلم يتحقق من المكارى هذا المعنى وانه اذا لم يحصل ماتبانيا عليه فلا استحقاق فى البين لكن الشرع لمّا ألفت نظر المتخاصمين الى ماهو الحق وان القدر الذى استوفاه المكترى من دابة المكارى لا يجوز اهماله بلا أجر فانه عمل محترم ولا بدّ له من ثمن وثمنه مايصيبه من توزيع الأجرة على المسافة كلها فاذا كان استوفى ربعا من المسافة بالركوب وجب عليه ان يدفع ربع الأجرة المقررة للجميع وعلى هذا المجرى أصاخ الطرفان له وعرفا انّه الملاك الصحيح فى حلّ مشكلتهما وما ذلك الاّ لأثارة الأمام الصور القائمة بعقليهما المدكة فى نفسيهما ولذلك تقاعد كل منهما عن خصومته ورضى بهذا الحلّ الصحيح .

ومن ذلك مارواه ابو شعيب المحاملى عن ابى عبد الله (جعفر بن محمد بن على بن الحسين) قال سألته عن رجل قبّل رجلا ان يحفر له عشر قامات بعشرة دراهم فحفر له قامة ثم عجز فقال تقسّم العشرة على خمسة وخمسين جزء فما أصاب واحدا فهو للقامة الأولى والاثنان للثانية والثلاثة للثالثة وعلى هذا الحساب الى العشرة :الوسائل باب حكم من

استأجر اجيرا يحفر بئرا عشر قامات فحفر قامة وعجز ٠

والعقل بنظره السطحي لو عرضت أمامه هذه المسألة يجيب بأن سهم القامة من عشر قامات درهم من عشرة دراهم ولو انه تعمّق شيئا قال ان القامات تختلف في التعب وليس كلها من ملاك واحد فهو ان فاوت بين اثمانها لم يدر كيف يعيّن لكل قامة منها لكن الشرع لما ألفت نظره الى ان حفر القامة الثانية يستدعي مشقة مضاعفة بالنسبة الى حفر القامة الأولى بالنزول في الحفر واصعاد التراب الى وجه الارض فحافر القامة الثانية يعاني حفر قامتين في الجهد والمشقة وحافر القامة الثالثة يعاني حفر ثلاث قامات في ذلك وهلّم جرّا وعلى هذا الحساب فالقامة العاشرة تعادل عشر قامات من طراز القامة الأولى والتاسعة تسعة وعلى هذا المجرى وجمع ١٠ الى ٩ الى ٨ الى ٧ الى ٦ الى ٥ الى ٤ الى ٣ الى ٢ الى واحد يساوى ٥٥ فالقامة الأولى يصيبها واحد من خمسة وخمسين جزء من عشرة دراهم اجرة العشر قامات كلها والقامة الثانية يصيبها اثنان من خمسة وخمسين جزء من العشرة وعلى هذا الملاك الى تمام التوزيع التفت الى انّ هذا الحلّ هو الحق الذى يلزم اعتناقه والتجاوب معه ٠

اذن فمباني الشريعة من هذا الطراز بمنزلة المذكّرات للعقول واللوافت للأذهان ومن هذا الطريق يجب ارسال الرسل تعزيزا للعقول وتقريرا لأيحاآت النفس الانسانية وتنبيها للانظار وهذا ما يعترف به العقل نفسه ويخضع له من دون تحاشي ٠

فان قيل ليس كلّ مافي الشريعة من هذا القبيل بل هناك اشياء كثيرة هي من صميم الدين ومع عرضها التام على العقل لا يجد العقل طريقا من نفسه الى تحليلها وتفسيرها نظير حكم الشريعة بانه لاصلاة الاّ بفاتحة الكتاب وان القاذف يجلد ثمانين جلدة وان الزاني غير

المحصن يجلد مأة جلدة وما الى ذلك وهو كثير فان العقل غاية ما يعقل من التكليف بأصل الصلاة ان فيها بمجموع أورادها واذكارها زاجرا للنفس عن فعل السيئات ورادعا عن مزاولة الأنحرافات لما فيها من الوعظ والأرشاد الى المثل التى ترفع النفس الى عالم المعنى وتبعد بها عن مستدعيات الشهوة وهذا المعنى حسن فى نفسه ومستحسن عنده كما يستحسن نصيحة اىّ ناصح لأى منصوح فى سبيل فعل الخير وترك الشرّ .

الا الاّ انه لا يتعقل الميزة فى فاتحة الكتاب على غيرها من السور القرآنية فليست فاتحة الكتاب فى مضامينها بأهمّ من مضامين غيرها بحسب ما يظهر عليها وعلى غيرها الذى هو من طرازها بل كثير من سور القرآن أجمع للمحاسن والمواعظ والأرشادات منها فان قيل ان الشرع اوجب على المصلى ان يقرأ مع الفاتحة سورة اخرى وأحال بانتخابها الى نظره قلنا هذا لا يدفع الأشكال فانه لم لم يجعل الأنسان مختارا فى انتخاب السورتين معا وقد يكون ما ينتخبه مكان الفاتحة اجمع للمضامين الآمرة بالمعروف الناهية للمنكر منها .

وهكذا يتعقل العقل اصل اقامة الحدّ على القاذف والزانى وغيرهما من المنحرفين وان ذلك تأديب حافظ للنظام قامع للأشرار لكنّه لا يتعقل التحديد بالثمانين والمأة وما اليها من التحديدات فى ابواب الحدود والديات: وقد يتعقل العقل ايضا معنى لاصلاة الاّ بطهور اذا كان هو الماء لان اسباغ الماء على الوجه واليدين او على تمام البدن ممّا يستلزم النظافة والنزاهة وذلك مستحسن عنده من باب ان النظافة والنزاهة تصلحان البدن الذى هو كلّ الأعداد فى انجاز الوظائف المحولة من العقل والشرع على المكلف لكنه لا يتعقل معنى للطهور اذا كان بمعنى التراب بأن يتيمم الانسان بدلا عن الوضوء او الغسل فى مقام تعذرهما

او تعسرهما عليه فان مسح الوجه واليدين بالتراب تلويث لهذه الأعضاء لاتنظيف لها وامثال هذه الامور في الشريعة كثيرة لاتحصى فما توقف الشرع في اقناع العقل بها قلنا ان العقل وان لم يتعقل هذه المطالب بعد عرضها عليه مكررا لكنه هو بعد ان يتعقل اصل الدين وانه لابد منه في نظام البشر ويتعقل ايضا كليات الدين وانها امور راهنة ولها وزنها المرموق كما يتعقل ايضا غالب جزئياته وانها قائمة على مصالح مكشوفة لاغبار عليها يذعن بان القائم بهذه المصالح العالية المعقول كلها من حيث الكليات وجلها من حيث الجزئيات ليس بجاهل ولا سفيه ولابد ان تكون في البين مصالح واقعية لم يكشفها له حتى يتعقلها فهو يذعن بها عن اطمئنان لا يشوبه شك للقطع الحاصل عنده ان مشرعها من أعظم العظماء في مشاريعه وقوانينه .

ولا تجوز عليه نسبة الجهل والسفه في مطالب قد تعممت مضامينها على العقول فلم تفهمها وكم من فاصلة بين الجهل بالشيء وبين فهمه وردّه لسقمه : نعم لو كان فيما ينسب للشرع اشياء مردودة للعقول وجب تكذيبها وطردها عن ساحة قدسه نظير اخبار التجسيم بالنسبة الى الله تعالى فان العقل الذي هو الطريق الوحيد لمعرفة واجب الوجود وما يجب له ولا يجوز عليه لا يعرف الصانع الا بكونه وجودا مجردا وان نسبة الجسم له تخرجه الى دائرة الممكنات واذا دخل في هذه الدائرة خرج عن صلاحية كونه علة العلل ومبدأ المبادئ فكل نسبة الى الله تنافي الملاك العقلي الراهن في حقه يجب طردها عنه بصراحة .

ونظير الأخبار الواردة بان النبيّ (ص) والوصي (ع) يحضران المحتضرين من الناس واصرار جماعة القشريين على ان حضورهما بأبدانهما التي كانا عليها حال حياتهما الدنيوية فانه من المستحيل كون الجسم

المادىّ الواحد فى الزمان الواحد حالاً فى اماكن متعددة والاذعان بتحقق المستحيلات من الاضاحيك انصافا :نعم لامانع من الاعتراف بصحة ماورد من قوله (ع) ــ ياحار همدان من يمت يرنى ــ كصحة الأعتراف بقوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربّه فان اجل اللّه لآت :على ان يكون المراد هو مشاهدة آثار الحضور لو حضر بنفسه فان لقاء اللّه لا يكون بمعنى الملاقاة وجها لوجه لاستحالة ذلك عليه تعالى :وانّما المقصود آثار الملاقاة ولو لم تحصل الملاقاة نفسها كالمقصود بالرؤية فى قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرّة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرّة شرّا يره فان المنظور بذلك حصول اثر الخير والشرّ لانه الغاية المستهدفة فى هذا الباب لاحصول الرؤية البصرية للخير والشر انفسهما وقول القشريين فى هذا الباب والحق ان للنبى والأئمة حالات غير حالات البشر لا يفهم له معنى فانهم عليهم السلام ان كانوا ماديّين بابدانهم ــ والبدن لا يكون الاّ ماديا ــ استحال عليهم الكون فى الأماكن المتعددة فى الزمان الواحد وبعبارة اخرى يستحيل على المادة ان تتخلف عن لوازمها الذاتية :وان فرضوا وجودات مجردة كان معنى رؤيتهم وحضورهم هو مشاهدة آثارهم ليس غير لان الوجودات المجردة لا تعرف بغير آثارها .

ولا ريب ان الذى خرج بالدين عن ميدانه الصحيح عدّة عوامل رئيسية ــ منها ــ كثرة الوضّاعين والدساسين الذين خلقتهم الرموز بعناوين شتّى لامحال لاستقصائها وهؤلاء استغلّوا ورودهم فى حلبة المحدثين والرواة واهل العلم فرصة للقيام بتحقيق ما اراد الانتهازيون منهم او دفعتهم اليه انتهازات انفسهم ولاغرابة فى وجود امثال هذه الطبقات فى كافة الاعصار والأمصار بعد أن شاهدنا بأعيننا فى جماعة المتصنعين من المنسوبين للدين دواهى لا يقوم لها مقياس فى الكذب والتزوير

والتدليس وقد استطاعت بهيمنتها على العوام ان تبقى متركزة في الأوساط العامة وأن تحترم أقوالها وأفعالها وأن تصفّ في مصاف الحقائق الراهنة وأن تخلّد في بطون الكتب وأن يأخذ بها الجيل الحاضر والآتي أخذه بالمسلّم الذي لا مغمز فيه على انه لا يملك من الواقع ذرّة من الصحة ويحقّ لكل احد ان يرتاب في كل شيء مالم يحصل له يقين قد تمهدت مقدماته من طرق لاعوج فيها وما أقلّ وجود هذا الشرط وكل متبصر يعترف بما قلناه .

ـ ومنها ـ التعصب للمذهب وحسن الظن بالمشرب العقائدي وهذا الداء السارى في كافة المذاهب والأديان له مفعوله القويّ في تجسيم الأوهام الى حقائق والضعيف الأصل الى صحيح والمشارب الذوقية الى نواميس شرعية يزيد اهلها في الألتزام بها على الألتزام بالنقاط الرئيسية الدينية المسلّمة وكل ماقلناه موجود في كافة الفرق ولولا خوف الانهيار العام العقائدي لذكرنا صورا عديدة من ذلك ولكن لا داعي له بعد معرفة اكثر الباحثين به .

ـ ومنها ـ وجود قشريّين سطحيّين في طبقات المتدينين وهؤلاء لأعراضهم عن عقولهم وبعدهم عن مشاعرهم اخذوا يصدّقون كل ما يسمعون بلا تصور ويعتقدون حتى بالمستحيلات بلا تأمل وهذه العوامل الثلاثة هي التي شوّهت منظرة الدين وقبّحت صورته الجميلة وأشاعت عنه ماليس منه وكثّرت فيه الفرق والمذاهب والآراء الباطلة والنظريات المبتورة حتى قضت عليه في الأخير هذا الزمان الذي اصبح مثقفوه لا يعيرون غير الفنّ والنظر الصادق اقلّ نظر وهؤلاء لمّا استعرضوا المذاهب استعراضا غير مستقص ووقفوا فيها على الهنات غير القابلة للأغماض اعرضوا عنها جميعا واعراضهم عنها كذلك استوجب سقوط الأديان في نظرهم بالمرّة اذ ليس

هناك دين غير منشعب الى فروع حتى يقفوا منه على حقيقة غير منشعثة فيفحصوها للتبطن منها اللهم الاّ دين الأسلام وذلك فى كتابه فقط لأطباق المسلمين على صحة ما احتوت عليه دفتاه وان زاغ منهم زائغون متابعة للتعصبات المذهبية فادّعوا ان جملة من اعداء اهل البيت اخفوا طائفة من آياته وسوره الاّ ان هذه الدعوى لم تصادف مؤيدا يهتّم له ولذلك اهملها الجميع وأزروا على صاحبها ايّما ازراء .

لكن هذا الكتاب المقدّس العالى المضامين الرامى بفصاحته وبلاغته الى ابعد مكان يتصوره اهل اللسان لم يسلم ايضا من جهل اتباعه عليه حتى اعتبروه الاخباريون من الكتب الخرساء التى لا تبين ولا تستطيع الأفصاح عن معانيها بدون شارح الحديث والسنة عن اهل البيت وان الآية منه لا يجوز اخذ شىء منها الاّ وان يكون فى موردها خبر يعرب عن معناها فكلّ ماعبّر الخبر عنها فهو المتبع فى حقّها لا ما يعطيه ظاهرها من نفسه ودونك ماقالوه فى الباب.

قال الشيخ يوسف البحرانى فى المقدمة الثانية من مقدمات الحدائق لاخلاف بين اصحابنا الأصوليين فى العمل بالكتاب العزيز فى الأحكام الشرعية والأعتماد عليه حتى صنّف جملة منهم كتبا فى الآيات المتعلقة بالاحكام الفقهية وهى خمسمائة آية عندهم وامّا الأخباريّون فالذى وقفنا عليه من كلام متأخريهم ما بين افراط وتفريط فمنهم من منع فهم شىء منه مطلقا حتى مثل قوله قل هو الله احد الاّ بتفسير من اصحاب العصمة عليهم السلام ونقل عن السيد نعمة الله الجزائرى انه قال فى بعض رسائله انى كنت حاضرا فى المسجد الجامع بشيراز وكان الأستاذ المجتهد الشيخ جعفر البحرانى والشيخ المحدّث صاحب جوامع الكلم يتناظران فى هذه المسألة فانجرّ الكلام ههنا حتى قال له الفاضل المجتهد ماتقول فى

معنى قل هو الله أحد فهل يحتاج فى فهم معناها الى الحديث فقال نعم لانعرف معنى الأحدية ولا الفرق بين الأحد والواحد ونحو ذلك الا بذلك ثم قال صاحب الحدائق ومنهم من جوّز ذلك حتى كاد يدّعى المشاركة لأهل العصمة عليهم السلام فى تأويل مشكلاته وحلّ مبهماته اهـ.

ونقطة الضعف فى هؤلاء القشريين هى أنّهم لم يتوجهوا الى انّ القرآن انما اراد به منزله مواجهة البشرية كلها ليكون هو الجانب لهم الى طرف العقيدة التى يريدها وكم خاطب الناس بلفظ ياايها الناس نتأمين هذا المنظور ولم يلتفتوا الى ان القرآن حين نزوله لم يواجه فردا مؤمنا بمحمد بن عبد الله فهل كان انزاله بومذاك غلطا نظير ان يواجه اللاتينى بلغته من لا يعرف منها حرفا واحدا او كان موجها به ليكون هو المؤيد لمحمد بن عبد الله والمقوّم لدعوته وان القرآن اذا كان طلسما من الطلاسم فى قليله وكثيره فما الفائدة به وما المنظور بأنزاله وعل تعدّ المعمّيات والطلاسم فى رديف المعجزات والحال ان المعجز معناه هو أن يكون بعد تمام وضوحه غير قابل لأن يؤتى بمثله لضخامة معانيه ومتانة مبانيه وقيامه بأعلا ملاكات الفصاحة والبلاغة وما الى ذلك ولو كان معنى اعجازه هو تعمّيه على الطرف لكان كل مجهول مستور على الأنسان معجزة فى نفسه وذلك من الأغلاط المكشوفة على ان كل عارف باللغة العربية يفهم من دون ريب يخالجه معنى قوله لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير وان قائل هذا القول يريد من عبارته هذه ان المحكّى عنه لا يرى بالبصر وانه هو يرى الأبصار ويدركها وانه لطيف غير كثيف وانه خبير لا قليل الخبرة او فاقدها بالمرّة وهكذا يفهم معنى قل هو الله أحد وانه واحد لا اثنان او اكثر .

وامّا التردد بين الأحدية والواحدية وان معنى كل منهما غير الآخر

فهو خارج عن اللغة العربية بالمرة وما هو الاّ تخذلق قام به المتصوفة والمتفلسفة من الرامين الى العرفان فيما يزعمون من أكياسهم وان ورد عن اهل العصمة شيء من ذلك فليس هو بصارف لظاهر الكتاب وانّما هوبيان ألهموا به كسائر الألهامات التى اعطوها خارج الكتاب العزيز :ولو ان انسانا عربيا من اهل لغة القرآن قال لهم ان كتابكم الذى تعتقدون به ولا ادين انا بسماويته يصحر فى قوله قل هو اللّه احد أن يامحمد بن عبد اللّه قل للناس اللّه واحد فمن اين صحّ لكم ان تنسبوا له فى معنى الأحد ماشققتموه من المعانى المنعزلة عن معنى لفظ الأحد بماله من ظاهر بين المفردات العربية الأخرى التى لها ظواهرها المتداولة بين اهل هذا اللسان لما جاز لهم ان يجيبوه بانك لاتفهم اللغة العربية او أن معنى لفظ الأحد فى اللغة العربية غير ماتفهمه انت ويفهمه سائر العرب بل مانفهمه نحن لانه يقول لهم امّا كونى لاأفهم اللغة العربية فمكابرة لأنى عربى من أهل لغة القرآن وامّا صرفكم لظواهر هذه اللغة الى غير وجهها من دون قرينة واضحة مكتنفة بالكلام فهو تصرف غير جائز لكم فانكم لاحكومة لكم على اللغة بما هى لغة وامّا انكم تدعون ان لهذا الكلام القرآنى بطونا سبعة او سبعين فذلك امر وراء ظاهره الذى خوطب به الناس فان ثبتت حجتكم فى الشريعة كان ذلك من رديف علومكم الأخر التى لم يتكفلها هذا الكتاب بلسانه البيّن وحجة علوكم هذه منوطة بحجيتكم فى انفسكم لابحجية الكتاب بما هو فى نفسه وهذا الذى ادلينا به لاتنكره اقلّ المشاعر دركا : هذا كلّه فيما انعقد له ظاهر لغوى .

نعم فى القرآن مجملات تحتاج الى تفصيل نظير اقيموا الصلاة وآتوا الزكاة :وفيه رموز لاتفهم بالمرّة الاّ من طريق رامزها مثل كهيعص :وقد تكون فيه الفاظ مشتركة بين معانى متعددة ليس فى ظاهر الكلام مايعيّن

احدها فهذا هو الذى يحتاج الى تفسير من حجة ثبتت حجيّته السماوية فيقوم بدور شارعيته بتفصيل ما أجمل وتوضيح ماأبهم ولا يجوز لغيره ان يمدّ يده الى ماهو خارج عن صلاحيته ٠

والطريق الى ماصدر عن الحجة يكون واحدا من امور (اما السيرة المكشوفة) المتسالم عليها بين جميع المنتسبين الى الدين اوالى المذهب وهى ما يعبّر عنها بالضرورة الدينية او المذهبية كوجوب غسل الجنابة مع الأنزال عند عامة المسلمين وكجواز النكاح المنقطع عند كافة الشيعة وموارد السيرة فى الاحكام الشرعية بطور مفصّل لااجمال فيه ولا اختلاف فى تفصيلاته قليلة جدّا :فان قيل ان المنبع الذى تستقى منه السيرة هو فعل النبىّ الجاهر المستمرّ او تركه كذلك وهذا المعنى يجب ان تكثر موارده لا أن تكون قليلة مثلا ان النبىّ حجّ مكررا وتوضأ وصلّى فوق حدود التكرار بمنظر عشرات الألوف من المؤمنين به المعاصرين له فيجب ان يكون حجّ المسلمين ووضوئهم وصلاتهم على نحو واحد انّى كانوا وبأىّ مذهب دانوا والحال انك لاتراهم الاّ اوزاعا فى ذلك فما الداعى الى هذا التشتّت وهل استطاع المسلمون حتى يومذاك ان يخالفوا نبيّهم فى افعاله فيحجّوا على خلاف حجّه ويتوضئوا على صورة مخالفة لوضوئه ويصلّوا مخالفين له فى صلاته فهذا غير معقول لان المخالف عملا حينذاك يخاف على نفسه ان تمزّقه اطراف الأسنة او انهم اختلفوا عليه بعد موته وانهيار سلطانه وتمكن غيره من ازمة الأمور الدينية والسياسية الشرعية ٠

لكن يسأل عن داعى الخلاف الذى يرتكبه الزعيم الدينى من بعده (ص) مرّة وعن تمشية خلافه بين المسلمين عملا مرة اخرى :امّا اصل الأختلاف من الزعيم الدينى فدواعيه شتّى منها تركيز نفسه وتثبيت زعامته وتشييد هدفه نظير مخالفة بعضهم لمفاد حديث الغدير وتحوير اصل قضية

المطلب الى جهات اخرى لا تقاوم مرامهم وما يهدفون له مع اعتراف اتباعهم بانه متواتر قطعى الحصول والصدور : وتخلفهم عن جيش اسامة حتى مع لعن النبىّ كل من يتخلف عنه ولم يتخلفوا عنه والنبىّ صاح سالم لعدم قدرتهم على الخلاف حينذاك ولكنه كان مريضا مسجّى ادركوا فيه الموت : وتشويشهم عليه فى احضار الصحيفة والدواة حتى لا يختم حياته بما يعقّم مقصودهم الذى هم بصدده .

ـ ومنها ـ ميوله الدافعة له الى المخالفة لفرض آرائه على الوجود ولو لم تكن سياسيّة نظير منع الخليفة عن المتعتين وانهما كانتا قبله وهو ينهى عنهما ويعاقب عليهما : ومنها : ماتوجبه السياسة حسبما يراه الزعيم نظير حذفه ايضا حىّ على خير العمل من فصول الأذان والأقامة حذرا من تكاسل الناس عن الجهاد وميلهم الى العبادات البدنية من فرائض ونوافل .

وامّا الذى يقوم بتمشية الخلاف بين المسلمين عملا ففى بادء الأمر هى القوة والنفوذ الواسعان فان الخليفة الثانى لمّا منع عن متعة النساء هدّد المرتكبين بانه يرجمهم عليها رجمه الزناة بالحجارة وكفى بالقوّة عاملا منفذا مجريا . وفى استمرار هذه البدع متابعة المتزعمين بعده له وتناسى الناس لأصل مشروعيتها وتركز ممنوعيتها فى انفسهم تركز سائر الممنوعات التى يألفونها وهذان العاملان القوّة من ناحية والفة النفس للشىء فعلا وتركا من ناحية ثانية هما اللذان قاما بالتحولات العظيمة فيما بين الناس على طول الأجيال وهذا الذى اصحرنا عنه هو الذى جعل السيرة المكشوفة المتسالم عليها قليلة الموارد فى الدين .

وامّا التواتر القطعى : وهو ايضا قليل الموارد فى الشريعة والذى اوجب قلة التواتر فى الحديث هو لزوم تمشية شروطه فى كافة الأزمان التى

يتناقل الحديث فيها وامّا ادّعاء التواتر فى الخبر فلا يصيّره متواترا كنقل الأجماع فانه ليس بأجماع وانما هو خبر واحد او الشهرة المستفيضة فيه : وهى قليلة ايضا لقرب افقها من افق التواتر ·

وامّا خبر الواحد المحفوف بقرائن تدل على صدوره : وهذا القسم ليس فيه من الكثرة ما يقوم بسدّ فراغ واسع من الأحكام لان احتفافه بامثال هذه القرائن ليس بالسهل اليسير وامّا خبر الواحد العدل الذى تسكن النفس اليه وتطمئن الى ما يحكيه : فذاك فيه من الشرائط ـ اوّلا ـ احراز العدالة امّا بالمعاشرة التامة وامّا بالنقل عن المعاشرين العدول لشيوع التدليس فى الناس شيوعا فاحشا فى كافة الاعصار والامصار ـ وثانيا ـ حكاية نفس الفاظ المنقول عنه وهو النبىّ او الأمام حتى يقف المنقول اليه على كافة مزايا كلام الحجة والنقل بالمعنى غير جائز الاّ للبصير الناقد الذى يفهم كل ما يرمى اليه الأمام فى صميم كلامه وحواشيه وما اقلّ ذلك فى الناقلين لمعانى كلام الغير ـ وثالثا ـ احراز ان الكلام لم يصدر عن تقية او بيان خلاف الحق لداع كان يوجب ذلك على القائل حين اصدار هذا القول وهذه الشرائط الثلاثة كلّها صعبة المنال ·

وامّا ما احتوى من النقول على ضعف السند وعدم ثقافة الراوى الناقل للمعنى واحتمال صدور الخبر تقية او شبه تقية احتمالا قويا فهو لا قيمة له بالمرّة خارج أطار الشريعة فضلا عنها نفسها فانه لا يجوز التحميل على المكلف بما لم يثبت فى حقّه ·

وهذه الطوائف المتكثرة من الاخبار عن الضعاف والمجاهيل ومشكوكى الهويّات فهى لا تثمن بقيمة اذن فما أبعد ضلال من يقول من القشريين انّا اذا حذفنا الأخبار الضعيفة السند عن المدركية للأحكام الشرعية شغر الجانب الكبير منها عن المدرك المحدودة الصحيح والموثق والحسن

وحينذاك فلابدّ لنا ان نلتمس دنيا آخر غير دين الأسلام[1] ونحن نقول له ياهذا المستدل ماأضعف استدلالك هذا واركّه فانّه ايّة ملازمة بين طرد الضعيف من الاخبار والخروج عن دين الأسلام وطلب دين غيره وانه لاثالث فى البين فلو فرضنا ان دين الأسلام ماكان يجد أهله غير هذا المقدار الموجود من الصحيح والموثق والحسن من الحديث وأن ليس للحديث وجود غير هذه الطوائف الثلاثة وأنها لاتقوم الاّ بطرف من الحكم الشرعى فهل ترى أن وظيفتهم خروجهم من دينهم الى دين آخر اوبقائهم عليه فان أفتيتهم بالخروج ناقضك صريح الكتاب الذى يقول ومن يبتغ غير الأسلام دينا فلن يقبل منه كما يناقضك حكمك فى الموارد الخالية عن المدرك الشرعى بالاحتياط او البراءة وان التزمت بالبقاء عليه كما هو الحق الذى ما عنه محيد كان وظيفتك وراء الاحكام التى عليها مدارك خاصة تطبيق القواعد الفقهية على المورد ان كان مشمولا لها والاّ فتطبيق القواعد العامّة الأخر عليه وهذا المعنى لابدّ من ارتكابه فى قبال مؤديات الاخبار الضعيفة وكتب الحديث المجهولة ذلك لان القواعد الفقهية او العامة الأخر متركزة على نظام علمى تطمئن اليه انفس العقلاء بخلاف مؤديات ضعاف الأخبار ومجهول الحديث اذ لاوزن لها من الشرع ولامن العقل فلا يجوز الركون اليها فى مقام دوران الأمر بينها وبين القواعد ومن الغرائب انصافا انّا نرى صريح الكتاب العزيز يمنعنا ان نقفو غير العلم ويصحر لنا بان الظن لا يغنى عن الحقّ شيئا ونرى جماعة القشريّين تجبرنا على العمل بما فيه شائبة احتمال الصحة فكم فاصلة بين القولين وشقة بعيدة بين المذهبين .

---

(١) قال الشيخ يوسف البحرانى :فى كتابه لؤلؤة البحرين عند تعرضه لترجمة صاحب المدارك والشيخ حسن صاحب العالم :فانه متى سبر

.....

← كان الضعيف باصطلاحهم مع اضافة الموثق اليه كما جرى عليه في المدارك ليس بدليل شرعي بل هو كذب وبهتان مع ان ماعداهما من الصحيح والحسن لا يفيان الا بالقليل من الاحكام فألى م يرجعون في باقي الأحكام الشرعية ولا سيّما أصولها وفضائل الأئمة وعصمتهم وبيان فضائلهم وكراماتهم ونحو ذلك واذا نظرت الى اصول الكافي وامثاله وجدت جلّه واكثره انما هو من هذا القسم الذي اطرحوه :الى ان يقول والواجب امّا الأخذ بهذه الاخبار او تحصيل دين غير هذا الدين وشريعة اخرى غير هذه الشريعة لنقصانها وعدم تمامها لعدم الدليل على جملة من أحكامها ولا اراهم يلتزمون شيئا من الأمرين مع انه لا ثالث لهما في البين ـ اهـ ـ وانت قد عرفت الجواب بالنسبة الى الأحكام الشرعية .

وامّا عصمة الأئمة والأنبياء فدليلها العقل وما ورد في الأخبار مرشد له ومؤيد لا اكثر وامّا مسألة الفضائل والكرامات فتلك مطالب لا قيمة لها بعد اثبات اصل الأمامة وعصمة الأمام والأمامة والعصمة لا يثبتان من طريق الحديث وبحوثها بحوث عقلية صرفة كالبحث عن اثبات الصانع وصفاته والتوحيد واحكامه والنبوّة ولوازمها فما أهاب به هذا الشيخ سطحي قشري لا محطّ له من العلم اصلا .

و بمقـــال :

* (ماذا يقول واعظ هـــذا العصر) *

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الواعظ الصادق الواقف على الحقائق مهمته بيان الواقعيات بمقـدار ما يشخصه ميزان العلم والاتصال بالواقع وهذه البضاعة انما تنجـــع اذا صادفت سوقا خالية من الرقابة المشوهة واذهانا فارغة من العقائد الزائفة وحواس لم تتضارب بها الصور الخارجية الموهة امّا اذا كانت فى البيـن رقابات حادة واذهان مملوءة وحواس قد تلاعبت بها الصور الخارجية فـلا تعود الحقائق للواقف عليها المبيّن لها الآ صرف مفاهيم ان استذوقهـا انسان فانما يستذوق مفهوما حلوا لكنه لا يستطيع تطبيقه لما يجد فى سبيل ذلك من عوائق تمنعه عن التطبيق وتلك العوائق هى معيشته وكيانه بيـن المجتمعات وسهمه من الحياة الذى يحاول القبض عليه بكلتا يديه شـأن كل ذى حاسة حيث يحاول على الاستمرار تقديم نفسه وتسمين حصته فانه

مع اعتزازه بهذه الأمور كيف يستطيع ان يستند الى الواقع ويلقى بنفسه فى احضانه وهو يعلم ان المحروميات مقرونة به على العكس ممّا يقول المنطق حيث يرى ان الحياة لا تسلم من الموهنات الآ اذا انسكبت مع الواقع وتفصيل هذا المجمل تقرؤه فيما يأتى .

مثلا الموازين الواقعية برهنت على ان الظلم قبيح راعترف به كافة عقلاء العالم وان العدل حسن ولازم وأقرّ به جميع افراد بنى آدم حتى انه لم يختلف فى ذلك موحد ولا ملحد فى الأجيال السابقة والحاضرة وابرز مصاديق الظلم هو التعدى على حقوق الغير التى استحقها من طريق الطبيعة وهى اتعابه الجسمية ومواهبه الفكرية فان الانسان اذا اكره اخاه فى النوع فعمل له مجانا او بدون ما يعترف به العرف فقد ظلمه بل اللازم عليه ان يكسب رضاه فى استيفاء ثمرات جهوده او لااقل يكسب رضا العرف العاقل عنه فى ايفاء مثل الذى استوفاه من هذا الأنسان .

فاذا قوى انسان على انسان فحمله بميله فقد ظلمه سواء كان هذا الظلم فرديا ام جماعيا ووجب على كل عاقل ان يتجافى عن هذا الظالم اذا لم يستطع ان يرده عن ظلمه لكن الاجتماع يرى خلاف هذه القضية عملا فأننا نرى منذ القديم ان الانسان الذى يظلم غيره ويغصب حقه وتجتمع عنده حقوق المظلومين يتهافت عليه المجتمع ويجلّل ويبجّل وتمتد اليه الأيدى بالاستجداء والألسنة بالدعاء وتكثر لديه الاعوان و تتزايد عنده الاخوان كل يروم الاستفادة مما اكتنز من حقوق الضعفاء المغلوبين حتى اذا قويت هذه الحالة فى الانسان الغالب ومشت ظالميته تجتاز الاودية والهضاب ترى شتات الافراد يبذلون المال للاتصال به ويوسطون الرجال للالتحاق بحزبه وكل من انكمش فى بيته رائيا حرمة هذا العمل كان نصيبه الحرمان والخذلان والانكسار والانهيار حتى يؤل به الوضع

الى الازدراء به والسخرية منه والانتباذ عنه وحتى يقول المعتدلون فيه حقه ماذا اتى على هذا المسكين من الخمول والخمود والذلة والصغار .

فألى هنا قد عرفت ان الواقع الذى يتغنى به حتى اظلم الظلمة قد عاد مهزلة يرثى له اذ ان فالخطيب على فرض اقتداره وقوة بيانه ومدى اتصاله بالواقع انما يستطيع ان يبيّن مثل هذه الحقيقة المسلّمة لكافة العقلاء وانكه لا يواجه من عمله الاّ موجة استحسان لفظى وتصفيق من الجالسين ولكن التطبيقات على نقيضه بتمام التناقض :فهذا مثال .

ومثال آخر كذلك اطبقت العقول على ان الانسان له فرقه الواضح على الحيوان فان الحيوان لا يتجافى عن البول والتغوط فى العلن وكذلك لا يتجافى عن المساندة امام الانظار وكذلك لا يهتمّ من النهيق والنعيق فى كل مكان ولا يتحاشى عن الملاكمة والمضاربة لأدنى بادرة ولا ينزوى عن كل هوى يحصل له ولا يراعى فى ذلك زمانا خاصا ولا مكانا مخصوصا امّا الانسان فقد اطبقت العقول الراجحة على لزوم اتخاذه سمتا به يكون متزنا موقرا محترما منظورا اليه بأكبار ففضلا عن انه يخفى بوله ومدفوعه ويتجافى عن المساندة امام الأنظار ولا يتظاهر بصوته ويتحاشى عن الملاكمة والمضاربة للبوادر تبدر له يجب ان يكون من النزاهة وعلوّ النظر والأعتداد بالنفس ما يحسب له من اجله ادق حساب ويرمق اليه بعين الأكبار لكن الذين طلعوا بهذا المطلع واتخذوا هذه الخطة برنامجا لأنفسهم اعطوا جميع حقوقهم من ايديهم فلا يشترى الاّ ويغبن ولا يبيع الاّ ويهضم ولا يشارك الاّ ويغصب حقه ولا يناسب الاّ ويعتدى عليه ولا يعود له من السهم الاّ القول فى حقه انه نعم الرجل وهذه الكلمة فى حقه معناها اتلاف جميع حقوقه ودوسه بالأرجل فى كل شىء من اشياء الحياة وبالعكس اذا كان صلفا بذيئا لا ابا ليا فى كل شىء طلع له اسم واشتهر له شأن وعاد بعد الخسّة

والخمود رجلا مهابا قد احرز فوق حقه ـ ان كان له حق ـ حقوق الناس واضافها لنفسه فمتى ليت شعرى يمشى على الجادة الموقورة انسان وكيف يتجافى عن الصلافة والبذاءة رجال او نسوان والجميع يرون من نتائج الوقار انكسارهم وانهيارهم ومن نتائج الصلافة والتهور الاعتزاز والأغتنام وعلى هذا الحساب قيل فاز باللذات من كان جسورا .

نعم انما يستطيع الواعظ الصادق ان يؤثر لو ساعدته الأكثرية من الناس على تركيز وعظه فساندته فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى يلاحظ النهج الرفاع جانب المنطق فيحترموه بادئا بالألجاء واخيرا بالعادة عليه وما ترقت الأديان وتقدمت اول ظهورها وهكذا لم تتقدم الدول المترقية فى اخلاقها بالنسبة الى غيرها الاّ على هذا الضوء ومن دون ذلك لا يكون للعقل ولا للمنطق ولا للعلم العملى اىّ اثر وامّا العلوم الفنية فلا دخل لها فى تنمية المجتمعات انسانيا وانّما لها الدخل صناعيا والصناعة امر والانسانية امر آخر .

فوعظ الواعظ فى امثال هذا الزمان الذى قلّت فيه العامية المحضة وخفّت فيه جنبة المعنويات كما ثقلت وكثرت فيه المادّيات لا يتخطى افق المفاهيم الى الخارج مالم تساعده الضمائر الطاهرة من بشر اليوم مساندة بمدّ الأصوات معه اولا وبحفظ الظواهر الملائمة له ثانيا حتى تستطيع حنجرته أن تدوّى بالحقيقة فيما بين المجامع ولا تواجه بفشل ظاهر .

ومع مزيد الأسف وعميق التأثر ان نرى عمالقة الفكر الصناعى فى دنيا التمدن تنقض بجميع قواها على مجامع الانسانية فتحبب لها التهتك وتراه ابلغ رغبة يستطيع تحقيقها عملا بشر اليوم من طريق الوسائل المغرية التى بلغت اقصى امكاناتها فى تهييج النفس سواء فى الأمور الجنسية الخالعة لكل قيد ام فى مسانخاتها ممّا يعين على هيجانها هيجانا حادّا كالغنا

والرقص والدعوة الى المعاشقة والمغازلة وفسح المجال امام كل ذلك بصورة تنفيذية من القوى المسيطرة بزعم ان ذلك من اعظم وسائل التقدم البشرى ورقى مجتمعاته وترعرع حكوماته حتى اولدت هذه الصرخات الداوية اسوأ الانعكاس فى ضمائر الصغار فضلا عن الكبار فبلغ الاطفال اشدّهم الجنسى قبل بلوغهم الطبيعى وولعوا بالمغريات من طريق الاغراء والأغواء قبل ان تتقاضى طبائعهم ذلك من طريق الطبيعة وحدها وحتى تشكك العقلاء فى الحقائق التى كانت مسلمة عندهم قبل شيوع هذه الأباطيل واتهموا عقولهم فى مدركاتها اهى حق كما يقرره البرهان ام باطل بعدما تصافق الناس على نقيض ماكانوا يعقلون .

غريب شكل هذا التمدن وعجيب امره وتهاّر نفوذه كيف وها نحن نرى ان كلمة الله أكبر التى هى من ابسط الكلمات السبدئية مفهوما وابعدها شيوعا فى الاوساط الدينية وبعد ما مرّ على وجودها حقب ودهور وعرفها من لم يعرف غيرها من امور الدين لا تستطيع ان تراقب اية اغنية تخترع فى هذه العصور ولا انسى اننى كنت اسمع انشودة (آمنة) فى طرق الأهواز من الاطفال الصغار الذين لا يعرفون منها سوى التقليد فى اللفظ فأقول فى نفسى لامانع انشودة جديدة سمعها الاطفال الصغار من اهلهم الكبار فعجّوا بها وفى تلك الآوان تطوّح بى الأسفار الى ابعد منطقة ريفية عربية محضة فأسمع عين تلك الأنشودة من افواه صغارنا بمثل ما سمعته فى الأهواز وتغذّ بى الاسفار فى تلك الاوقات ايضا الى قم هذه البلدة المذهبية فما فتحت عينى مع الصباح الاّ وسمعت اذنى من اطفال قم عين ما سمعته فى الاهواز اولا وفى القرى الريفية ثانيا فاستقرّ فى نفسى ان هذا الصوت شقّ ابعد الآفاق بأقصر الأزمان وقرع الآذان فى كل مكان وصدر من السنة منسوبة للدين قبل ان تصدر منها كلمة الله اكبر على رغم قدم

هذه الكلمة واثريتها وانها من الغرائز المبدئية التي لا يزال الوعّاظ يدعون اليها صباح مساء في كل مكان له ولأهله ارتباط بالدين سواء في البلد ام في القرية فمع ايقاع هذه المقارنة يعرف الانسان مدى ما يؤثره هذا التمدن في عقول الناس وقلوبهم وان موقف الحقيقة منه موقف مخذول يتراعش من الضعف والوهن فأنّا لله .

وهذه الظاهرة وان اعطت من نفسها محكومية الحق الراهن في قبال الباطل الصريح الرائج في مجامع اليوم بكافة عناصرها سواء فيها الحمّال المعرق في عاميته وجهله وتقاليده والاستاذ الذي له وزنه العلمي كما نشاهده باحداثنا المفتحة .

الاّ انه لا يجوز لنا ان نيأس من مستقبلنا فنقعد مخذولين لا امل لنا بانقلاب الدور الذي نلمسه بحواسنا في كافة مجالبنا بل يجب علينا ان نقول ونعمل بمضمون ما نريد ان نقول قبل ان نقول فان ذلك هو الركيزة الأولى لتحقيق ما نحاول امّا اذا اقتصرنا على نصد الالفاظ وصفّ الكلم بدون ان تؤثر مضامين ما نقول في اعمالنا الحيوية فذلك هو الغش المفتضح بعد حين وهذا العامل الهدّام هو الذي انزل القمم الشاهقة من مباني الحقيقة والصقها بوجه الأرض وجعل الحقيقة مهزلة يضحك منها الأطفال الصغار فضلا عن الراشدين الكبار كما يراه اليوم كل احد .

نعم ليس من شك ان العمل بالحقيقة الضائعة في أطار هذه العصور امر صعب الاّ على المرتاض الذي لا يهمّه غضب نفسه عليه ولا تتأثر عاطفته بوحشة الانفراد عن مواكبة الضلاّل والجهّال الذين يسيطرون على اعظم ركائز الحياة من جاه ومقام ورفاه .

وامّا مرحلة القول فهي ذات ناحيتين ترتبط بالعوام الذين يعيشون على اوهامهم وما وصل اليهم من التقاليد الموروثة عن اسلافهم واخرى

ترتبط بالمتطرفين الذين ينسافون مع كل جديد يجيء اليهم ويتعبدون به على لفاناته من دون أن يفهموا عنه اقلّ شيء وكلتا الناحيتين غلط وباطل وجلّ الناطقين والكاتبين على هذا المسير الملتوى فبعضهم يواكب العنصر الأوّل والبعض الآخر يساند العنصر الأخير امّا عن دواعى مرموزة وامّا عن جهل مفتضح وقلّ من يوجد غير منحاز الاّ للحقيقة العادمة للنصير من الناس اللهم الاّ القلائل الذين لا يميل اليهم كلا العنصرين المتحدث عنهما .

نعم ليس من شك ان الحرية الصادقة محفوفة بآلام روحية ومحروميات مادية وان احرار العالم ذاقوا كلتا المرارتين وبمقدار ما صبروا ظفروا وسجّلوا اسمائهم فى دفاتر التاريخ بالرغم على قلم المؤرخ فمتى كان الواعظ والكاتب والشاعر على هذا الغرار ركّم نفسه وخلّد رأيه وامتلك عقولا وافكارا تخضع له وتستمدّ من ثماره وافكاره .

ولا يشتطّ برائد الحريات الى قصارى ماتنتجه اتعابه تخليد شخصيته وتركيز آثاره ونظير هذا حصل للتافهين من مغنّى وزامر وطبّال فعلام يتعب نفسه ويزاحم عواطفه بل عليه ان يحدث نفسه ان العظمة التى ينوشها المغنى غير العظمة التى ينوشها المثالى المرموق فان عظمة ذاك فى اطار الغناء وهواته نازلوا الكفة فى اوساط العقلاء وعظمة المثالى فى اطار المثاليات وهواتها والمتحدّثون عنها رقم وراء ذلك الرقم فى كل اشياء الانسان فبين العظمتين فروق واضحة وان كان لكل منهما اهل .

نعم ليس من شكّ ايضا ان مهمة الواعظ اليوم غير مهمته فى امسه المنصرم فان الألحاد بما وراء الطبيعة قبل هذه العصور وان كان له وجود الاّ انه لم يتمثل بهذه الخلاعات والالاّ ابالیات الطافحة اليوم على وجه كل ظاهرة من ظاهرات الحياة فما كان واعظ امس محرجا من جيله

مضايقا من المجالى السائدة تطارده الاوضاع من كافة جنباتها امّا موقفه اليوم فموقف يحتاج الى اداتين قويتين اداة الثبات فى الميدان ومهما جرّ عليه ثباته واداة الاطلاع الكافى والبلغة الوافرة من العلوم المتأصلة حتى يستطيع ان يبارز ويناجز ويفحم كل من ناوءه وعارضه فاذا توفق لأن يضمّ الى نفسه هاتين القوتين ويجمع لروحه هاتين الثروتين فقد فعل ماتحصل به البلغة له وتقوم به الحجة على غيره وبذلك يعتدل وقته وتروج سلعته ويكون من اهل القابليات المرموقة .

كتبت هذه القطعة من العنوان المحرر فاستحسنها من قرأها وطلب منى ان اكتب عمّا يمكن ان يكون دواء تمحى به آثار هذا الداء فقلت فى أطار الحدود التى مرّت بالأمة المسلمة منذ ان انعقد لها كيان زمن نبيّها بعد هجرته الى المدينة حتى وقتنا الحاضر ان المفاهيم الأسلامية التى لم تمسّها يد المذاهب الطارئة بعد النبيّ (ص) سواء قرأناها فيما استفاض عنه (ص) فى سنته ام قرأناها فى كتابه العزيز من ارقى المثل العلمية العالية حقيقة ففيها استجابة الضمائر الحرّة وراء الأفكار المتعطشة وغذاء العقول الحية وكفاف الحياة للانسان المعتدل وضمان سعادته فى شؤنه الداخلية والخارجية ونظام حياته من حين ولادته وتدرجه فى الحياة الى ان تهفت وذيلتها على فراش موته وما بعد موته ايضا كل هذا قد تعرض له الأسلام فى حين ان العالم البشرى لا يعرف منه حينذاك الاّ قليله وذلك القليل ايضا هو تراث الديانات الغابرة الذى سلم من التحريف والتحوير وبقى على ماانزله الغيب من السماء وهذا هو السرّ فى تفوّق الاسلام علما وخضوع العقول له قهرا وانما تقدّم فى بادئه لتطبيق المسلم الواقعى له عملا فكبر شخصه بعد ان كان ضئيلا وعظمت نفسه بعد ان كانت لاطئة يحسّ بصغارها وانهيارها وكيف لا يكون كذلك

وهو يرى ان دور الجاهلية بجميع محتوياته قد تفسخ وانتسخ بهذا النظام الثمين والقانون السمين فالدم محترم والعرض مصون والغشّ محرّم وغيبة الأنسان لأخيه المسلم كأكل لحمه ميّتا وامش بذلك على كافة الآفاق العالية والأخلاق الفاضلة مع حثّه على الشجاعة فى مقام الاعتزاز بالحرية الصادقة تزهيدا فى الدنيا اذا كانت فاقدة لما خلقت له من عزّ واحترام ومصونية للحقوق والدماء والنواميس فكان الفرد المسلم الواقعى فى عرض كونه مثاليا لاعديل له فى سيرته الروحية جمرة لاهبة لا يقربه احد على ناموسه او دمه او حقه او عقيدته الاّ واحترق من سنانه وهو على بعد منه للصرامة التى كان ينطوى عليها لكن مع الأسف ان هذا الدور لم يتجل بهذا الوصف الاّ فى عهود النبىّ زمن استحكام امره فى المدينة .

امّا بعد وفاته (ص) وهو بعد لم يدفن فقد اخذ الانتهاز ينفض من على رأسه غبار الأهمال الذى تراكم عليه طيلة عشر سنين ويطلع رأسه شيئا فشيئا حذرا من اولئك الافراد الصارمين الذين عهدهم لامغمز فيهم والذين بقوا سلوة للحقيقة تتسلّى بهم حتى طواهم الموت وتكاثر الجهلة عليهم وما اشبههم فى ذلك بسلّة رطب جنّى آخذ للانظار بنظارته وقد تعاهد السلّة صاحبها فأخذ يلتقط منها كل خائسة ردية حتى ابعد الحدثان صاحبها عنها وتولّى رعايتها كل منتهز متحيز فأخذ يعاكس ذلك الدور بأخذه للرطبة الجنيّة وتركه للخائسة الردية حتى قلّ الرطب الجيّد وكثر الخائس الردى فكان بالمآل من امرهما ماقال السيد الحبوبى رضوان الله عليه .

وإذ انبتا البطاح اختلفا غلب الشوك على الورد الجنى

وقد احتفل التاريخ الأسلامى بعهد اولئك الذين يسمّيهم ... وتغنّى بهم وهو لم يشخص ان هذه الرائحة الطيبة من اريج عمّار بن ياسر وابى

ذر الغفارى والمقداد الكندى وسلمان الفارسى وفى طليعتهم أبو المثاليات على بن ابى طالب ومن كان على هذا السنخ والنمط لكن لمّا اخذ هذا الرقم يتسلل الى الموت او الانزواء بالقهر واخذ يتطلع الى الوجود عمرو بن العاص ومعاوية بن ابى سفيان ومروان بن الحكم ومن كان على هذه الروح التى لا تطيل فيما انطوت عليه من ظلمة وتعفن جاء ماحقق قول السيّد الحبّوبى : غلب الشوك على الورد الجنىّ

حتى انهار الاحرار من المسلمين بأسرهم من طريق واقعة الطف وتزعم امارة المؤمنين يزيد بن معاوية ذاك الجلف الساقط الذى يتمثل اليوم باللقطاء الذين تجمعهم البلديات فى دور خاصة وتربيهم على التسيّب والترهل والأهمال وتلقيهم بعد ذلك الى الشوارع كما كانوا فيها آنفا فلا ترى فيهم من يعرف ابا ولا امّا ولا قومية ولا عقيدة وانما يعرف شهوته ونزوته كالحيوان الضارى والكثير من هؤلاء يعتزّ بهم الأنتهازيون لتأمين مقاصدهم فيتسنمون مقامات عالية يعيثون من طريقها بكل ما استطاعوا العيث به .

ونحن اذا نظرنا الى الاسلام نظرة صادقة واطلعنا منه قاضيا عدلا واشخصنا امامه يزيد بن معاوية بعنوانه حاميا وحافظا للدين وامينا عليه واميرا على المؤمنين ومعه ولاته من عبيد الله بن زياد ومسلم بن عقبة المرىّ ونظير اولئك وقلنا له بم تعرف هؤلاء وبم تسمهم لكان جوابه قطعا .

أيّها السائل عنهم وعنى لست من قيس ولا قيس منى

ولقد كنت فى باكورة شبابى التهم الكتب بالمطالعة التهام المنهوم للزاد الشهى وما من كتاب ملكنه يدى فى تلك الآوان الاّ استقصيته بالمطالعة فى ايام محدودة وقرأت كل حوادث التاريخ الاسلامى مرآت بما فيه من وقائع وفجائع ومذابح فلم أتأثر بذلك فى حينه وارانى اليوم تنبو

عينى عن مطالعة سطر واحد تذكر فيه جريمة لمجرم فأخذت احاسب نفسى على ذاك الافراط وهذا التفريط منى واخيرا عرفت العلة فى سببين (السبب الأوّل) اننى كنت قوىّ البنية فكانت الحادثة اذا مرّت على نفسى كانت كالجراحة الأولى تصيب بدن الكمىّ فلا يعير لها بالا لكن قواى الجسمية لمّا انهارت من طريق الحوادث التى اعبر منها واحدة بعد واحدة اخذت تؤثر فيها الجراحة البسيطة اضعاف ماكانت تؤثر فيها الجراحة الصعبة كالكمى الذى تتكاثر عليه الجراحات فتملكه لضعف المقاومة حينئذ و(السبب الثانى) ان وعيى للحوادث كان وعيا بسيطا كالطفل الذى يمرض فلا يعتّد بمرضه فيتناول كلما يساعد على اشتداده ويتجنب مافيه الشفاء والعافية له لكنّه اذا عقل ورشد وضرّسته التجارب تراه يحتمى اشدّ احتماء حتى لو حرمته الحمية من كل لذة ابقاء على حياته.

مثلا كنت اقرأ حادثة الطف بما فيها من حواشى فأرى فيها مظلومية للحسين وظالمية من يزيد وعبيد اللّه بن زياد وعمر بن سعد ولا تحسس وراء ذلك امرا وقبل ايام قرأت حادثة الطف من الكتاب الذى قرأته قبل ثلاثين سنة وهو تاريخ الطبرى لتسلية الخاطر او لتهييجه ـ فأيهما شئت فعبّر ـ فأرانى انزعج وامتعض وينزو بى طغيان الغضب الى ان امزّق اوراق الكتاب والعن جامعه ومدوّنه وانه لم يكن انسانا ذا عاطفة ولذلك استطاع ان يدوّن هذه الأنباء المغيظة المحرقة السالبة للراحة المقلقة للخاطر البشرى: لماذا لأننى لمست اوداج اكثر من سبعين مؤمنا فى طليعتهم ابو عبد اللّه الحسين تمجّ دما عبيطا لابل انسانى الم ذلك آلام حواشى المطلب فان هذا المؤرخ كغيره يذكر ان حرم الرسالة لمّا أزعجن عن مخيمهن بعد هذه المجزرة اللاذعة ازعاجا لا يستطيع قلمى ان يصوّره وخرجن من الخيام تحت ركام من الذهول الغريب ـ كان هؤلاء

الواقفون الذين يحسبون فى رقم اعداد المسلمين ـ اولا ـ ومن أهل الكوفة الذين يعتبرون شيعة لعلى ـ ثانيا ـ والكثير منهم ممّن كاتبوا الحسين للقدوم عليهم خليفة وزعيما ـ ثالثا ـ وممّن يعرفون ان هاته النسوة حرم محمد بن عبد الله بن عبد المطّلب اعظم الأنبياء ان عدّ الانبياء ومن اعظم المحترمين بيتا وطائفة ونسبا ان عدّت البيوت المحترمة رابعا كما يحسبون فى اعداد الأنسان الذى يتأثر للفادحة لافى اعداد الحيوان الطائش المكلوب خامسا كما لاتأثر لهؤلاء عند الحسين وذويه حتى ينسيهم العداء مافى الأنسانية من رحمة سادسا كان هؤلاء الواقفون بالوصف الآنف وفى هذا الموقف المذهل يترصدون النظر الى هاته النسوة وحتى يقول الفرد لصاحبه انظر اليهن كأنهن مهليرين ويأخذ الواحد منهم تلو الآخر يزاحم المرءة على ثوبها الساتر لعورتها وتتصاعد بهم النذالة والخسّة الى ان يذهبوا الى الحسين وهو فى مصرعه قتيل تمجّ جراحاته الدم العبيط وهو لا يملك على بدنه سوى ثوب قد خرّقه عمدا قبل قتله ليصون به عورته بعد موته فيسلبونه منه وتتعالى بهم الحماقة الى أبعد أوج فيركضون الخيول على بدن هذا القتيل رائحين وغادين لا لغرض يعقل اوهدف يؤمّن ويتنازع الفرد والآخر على حمل رأس القتيل ليذكر له فعله عند ابن زياد لعلّه يثيبه عليه فى حال ان ابن زياد لم يعد احدا على مثل ذلك بدرهم واحد: انا لااقول كما قال احدهم عقيب هذه الحوادث ضلال ويالك من ضلال: ولكننى اقول ان السقوط الى اين انتهى بهؤلاء حتى عاد شبح الدرهم عندهم اعزّ من ارواحهم التى بها يعيشون ومن قوميتهم التى بها يفاخرون ومن كل غال ورخيص فى عالم المفاهيم والاعيان ـ سبحانك ربنا ماخلقت هذا باطلا ·

ولا يذهب بنا الكلام بعيدا عن صميم المطلب ولكننا سقناه لنعرّف

الأجتماع البشرى على عظيم ارقامه فى شرق الأرض المحكوم بالأغيار كان ام فى غربه الحاكم انه هو والجراثيم التى تنخلق من العذرات وتعيش فيها على حدّ واحد مالم تحل منه القيم الأنسانية موجودا يقال له انسان مشيا على قاعدة الترقى التى يدين بها عصر الذرّة والفضاء اكثر ممّا يدين بها غيره وان هذه الأحالة لاتكون بكماليات العصر من طائرة وغوّاصة ومبردة ومدفئة كما لاتكون بطائرات الفانتوم ولا بالسيف المهند فان الأبادة والقتل الذريع لاتنتجان من الوحوش بشرا ولا من الحيوان الكاسر انسانا كما لاتكون فى الألحاد بالعقيدة وادعاء الضمير المجرد فانه لاضمير حيث لادين بل انما تكون بعوامل ثلاثة ٠

(١) الانطواء على العقيدة ٠

(٢) والمضغ للمفاهيم الاسلامية التى اوجزناعنها فى صدر البحث فانها هى المفاهيم الانسانية الصادقة ٠

(٣) وتركيز ذلك بالصرامة والشجاعة : وبدون ذلك فليست الحياة بحياة كما هو ملموس للبشرية على طولها ٠

(١) امّا الانطواء على العقيدة فهو من اسهل الأمور بشرط التوجه وكل هؤلاء اللاّابالليين من اعظم زعيم سياسى فى العالم الى ابسط انسان يدرج فى الاسواق والشوارع انما طلعوا بهذه اللاّابالية التافهة نتيجة لأعراضهم عن النظر فى الآفاق والانفس معنويا وانما نظروا الى ذلك حين نظروا ماديا والانحصار بالانظار المادية يخلق من الانسان سبعا ذا ضراوة لايعرف من وجوده الاّ الفتك بكل مانالته يده واشتهته رغبته كما طلع به هؤلاء بلا فرق بين اعظم رئيس جمهورية فى العالم وادنى فرد من افراد بنى آدم فكما انّ ذاك لايهمّه ان يطوّح بالمجتمعات البشرية فى كل اشيائها نزولا على مرضاة نفسه الساقطة كذلك هذا لايهمّه ان يتلصص

ويغش ويدلس ويزاحم المرأة الضعيفة على ناموسها ويخلق الاغتشاشات ويسلب الراحة امّا اذا نظر الفرد الى نفسه وقاس بينها وبين الحيوان ونظر الى الآفاق وما فيها من جميل الصنعة وعظيم الأثر علم انه ليس بقرد وان هذه العوالم ارضية وسماوية ليست بغابات قرود وان الهدف بهذا الموجود ليس هو ان ينزو ذكره على انثاه فقط وان يملأ كرشه من كل مانالته يداه بل اريد به ماهو اعلا من ذلك وهى بسط حياة فاضلة بالفضائل العامرة وليست تلك الفضائل بالماء والكهرباء والقصر المشيد والثوب الجديد كما انها ليست هى بالصاروخ والرادار والفانتوم وانما هى انسانية متعالية يراد فيها العلم بالمبادء الفاضلة للعمل بها حتّى يرى كل شيء مرتاحا من وضعه مؤمنا بالحياة التى كتبت له .

(٢) وامّا المضغ للمفاهيم الاسلامية التى هى مجموعة دساتير لحياة الأنسان بمفرده وحياته مع اهل بيته وحياته مع الناس اجمع فهو محتاج الى تعيين وقت وتعيين استاذ وارد وليس ذلك على الفرد الأنسانى بأشق من تخصيص وقت يصرفه فى دلك بدنه وغسله من الدرن وانتخابه لحمام جامع للمرافق وكما ان هذا الشأن من شؤنه الحيوية لازم لحياته وبسيط كذلك تعيين وقت واستاذ لدرس مجارى الفضيلة والرذيلة لازم وبسيط حتى يعرف واجب نفسه على بدنه وواجب بدنه على نفسه وواجبات عقله منهما وماهو موقفه من زوجته واولاده وابويه واهله وماهى وظائف اولئك بالنسبة اليه وماهى وظيفته بالنسبة الى الناس من يشترى منه ومن يبيع عليه ومن يجاوره ويحاوره وسائر الطبقات التى شكلتها الحياة فى مراتبها وكل احكام ذلك مدونة بأحسن تدوين فى علم الأخلاق الأسلامى عاداته وعباداته منجياته ومهلكاته ومتى تولى ذلك وعرفه جاء الفرد العالم الصالح فى كافة شؤنه بلا شبهة وعرف من نفسه موجودا غير ماكان عليه قبل

التعرف بـــه .

(٣) وامّا تركيز ذلك بالصرامة والشجاعة فهو اساس الحياة كلها فأن العقائد والعلوم بأسرها مفاهيم والمفهوم فى عالمه كفرضية من الفرضيـــات لاقيمة له مالم يطبّق ويجسّم فى الخارج فاذا طبّق حق للعقيدة ان تسمّى عقيدة وللمفهوم ان يقال له علم والتطبيق الخارجى فى حاجة الى عاملين قويين (الأوّل) الوقوف امام عرامة النفس وتنزياتها وكبحها بلجام العـــزم والتصميم و(الثانى) مبارزة من يقف امام تحقيق ذلك بالتطبيق فى الخارج فاذا . وهن الأنسان امام نفسه فهو على غيره اوهن واهون واذا استنـــام الى ارادة الاغيار منه عدم نفسه وعقيدته وكل شئ يمّت اليه وعاد لانصيب له من الحياة الآ كنصيب الحجارة حيث يقلّبها ناحتها كيف اراد فمـــرّة سدادا لكنيف واخرى صخرة فى محراب وهو فى كلتا الحالتين لااختيار له ولا تصرّف له فى نفسه .

ولم يعش المسلم يوم عاش عزيزا قويا مطبقا لمفاهيم دينه على سطـح حياته الآ بأعمال هذين العاملين فكان يعطى نفسه ماهو حقها ويبارزهـا اذا تنزت به الى مافيه ضرر عليه وعليها ويناجز خصمه اذا اراد التعـدى عليه وانسان اليوم بجميع طبقاته حتى رجل الدين فيه مائع فى الجنبتيـن المزبورتين امّا نفسه فقد ارخى لها ارخاء بحيث عاد لها كقنطرة هامـدة لاتبدى من نفسها حراكا سواء عبر عليها بقوة ادنى من قوتها اومساوية او اعظم وهى مع الأعظم لاتستطيع ان تحفظ كيانها بل تنكسر كما انكســـرت ابدان لاحساب لها من تحميل الشهوة عليها مالاتطيقه بلا فرق بيـــن شهوة الجاه او المال او شهوة البطن والفرج :وامّا مبارزته امام من يقـــف دون تحقيق دينه وعلمه خارجا فهى صفر بتمام ماللصفر من معنى سلبى .

قال الله فى كتابه المجيد (الآية ١٢٠ من سورة البقرة) ولن ترضـى

عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملّتهم قل ان هدى اللّه هو الهدى ولئن اتبعت اهوائهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من اللّه من ولىّ ولا نصير :فسمعها النبىّ والمسلمون فوقفوا منها موقفهم الحاسم لان اللّه تهددهم على مجاراة الضالّين ومجاملتهم فلم يجدوا هوادة فى ذلك الاّ بالصرامة امام احقاق الحق وابطال الباطل :امّا نحن بجميع طبقاتنا بلا تفسير فلم نحفل بهذا القول ولم نخف من هذا التهديد حتى ادّى بنا الحال ان المسلم منّا يتزلف لليهودى اكثر مما يتزلف للمسلم ويتحبب للنصرانى ازيد ممّا يتحبب لأخيه ومن الجلى المكشوف ان اليهود ىلا يريد الاّ سحق المسلم ومحقه والنصرانى لا يحاول الاّ اتلاف المسلم واعدامه وكذلك حصل الأمر فعلا فقد اصبح المسلم يتجاهل بدينه حتى لا يسخر منه ويتظاهر بمجالى اليهودية والنصرانية حتى يكرّم ويعظّم وتحقق هذه النتيجة ضرورى فى كل ضعيف وقوى ومخذول ومنتصر .

واللّه سبحانه فى هذه الآية عبّر عن نكتة كامنة فى طبيعة كل انسان الاّ من احيى العلم قلبه وصانه ضميره عن الترهل والتسفل والأسفاف وليس اليهود وحدهم اوالنصارى وحدهم لا يرضون من اىّ احد كائنا من كان الاّ ان يكون يهوديا اونصرانيا ينضّم الى حوزتهم ويسير فى موكبهم ويكون تابعا لهم ويكونون متبوعين له بل كل ذى هدف ولو كان خاطئا بعيدا عن الحق بعد السماء عن الأرض لا يرضى من الناس الاّ ان يحسّنوه منه ويستحسنوه لأنفسهم حتى تنشط نفسه ويرتاح فكره فان الأنسان المتعارف العادى لا يرى فى جميع شراشر وجوده نقصا ولا عوزا وان يكن فى البين نقص وعوز ففى غيره .

ولا شكّ انه لا يجوز على اولى الالباب الراجحة والضمائر المؤمنة فى قبال هذه الظاهرة الفاسدة وضع الكف على الكف متفرجين مكتفين من

انفسهم بجرّ الانفاس المحرجة وقول لاحول ولاقوّة الاّ باللّه فان فى ذلك تطويحا بالوجود كله وهم من جملة موجوداته يتهافتون بتهافته ولا يبقون وحدهم فى ابعاد الكون وهذا التكليف اول ما يتوجه الى حضنة الدين لانهم يمثّلون بظاهرتهم انبياء اللّه الذين كرّسوا قواهم واعمارهم فى دك عروش الفساد والفسدة والمتحيزين الأنتهازيين من بنى آدم ولايجوز ان يكون التمثيل قشريا صوريا فقط فأن ذلك لامؤنة فيه كالنقش على الجدران والتصوير على الحيطان بل جذريا عمقيا متمكنا من الواقع عريقا فى مبانى الدين قائما على دربة واسعة وعلم مترامى الأطراف وايمان بالمبدأ رصين كما كان انبياء اللّه على هذه الهوية وحضنة الدين لهم بهؤلاء الافذاذ اسوة يطأون آثارهم ويمشون على جادّتهم :ولقد وقف موسى امام فرعون وقفة مكلف منفّذ لما كلف به لأن فرعون لم يرض من موسى الاّ ان ينقاد الى هواه وليس هوى فرعون ولا غير فرعون هوى واحدا وانما هو يتبدل ويتغير حسب الملابسات مع مشاركة للأميال الرعناء معها فلو اراد موسى ونظير موسى ممّن يعتبرون لهوياتهم حدودا معقولة يلزمهم مسايرتها طول الحياة لأن الحقيقة ذات عمر مديد لاتنهار فى الأوقات المعدودة بل ولا فى الأجيال المديدة ان يسايروا فرعون واشباهه ويجاملوهم لوجب عليهم ان يجردوا انفسهم من كل علم ورأى وعقيدة ويتخذوها ملساء قابلة للتلوّن بأىّ لون يريده فرعون ونظراؤه منهم وهذا مطلب لا يهضمه الاّ السفلة الساقطون من الناس الذين يأكلون الخبز بسعر وقته فى كل شىء ولا يرضى به اللّه وان وضعه بين المكلفين موضع الأختبار والتجربة ليكشف للناس ماذا يصدر منهم اذا ارتفع قاسر الألجاء والتكوين عنهم .

فاللّه سبحانه فى اطار هذا الأختبار كلف كل مؤمن ان يساهم فى بناء

العقيدة حتى تكون هي الحاكمة على الناس لا فرعون ومن المستحيل ان يكون فرعون مسيطرا والعقيدة المؤمنة في اطار سلطانه تثمر وتؤثر :ومن هنا غلط بعض مساكين المنتسبين لمدرسة الروح فاعتبر موسى واشباه موسى من انبياء واوصياء وائمة اناسا روحيين فقط اذا قصد السائل بيوتهم اجابوه وان اعرض عنهم قبعوا في زوايا بيوتهم كاحجارها الداخلة في البناء حيث لا تحرك ساكنا ما دام لها وجود ولم يعلم هذا المسكين لعنعد ريته العلمية والأجتماعية ان الفراعنة انما يحترمون ميولهم فقط واذا وجدوا اقلّ شيء يزاحمها ولو في الوهم والخيال قضوا عليه كما قضى فرعون على ذكور المواليد من بني اسرائيل تأمينا لوهم حصل عنده من قول بعض المتنبأين .

اذن فالدساتير الربانية لا ينفذها الاّ حاكم ربانى لا يزاحمه احد في الحكومة والأستشهاد بما ينسب الى بعض الحجج انه قال (مثل الأمام مثل الكعبة تزار ولا تزور) خاطيء جدا فأن هذا القول على فرض صدوره عن الحجة انّما قاله زمن استبداد الوقت به وبغيره من الأئمة حيث لم يستطع ان ينبس ببنت شفة الاّ في المطالب البعيدة كل البعد عن هوى الوقت وميله بل نستطيع (في زمن استبداد الوقت بهم) ان نقول انهم اضيق اطارا من الكعبة فان زائر الكعبة قد لا يزاحم وزائرهم دائما مورد نظر ومحطة ريبة وللتحقيق من هذا المطلب نلفت نظرك الى المقدمة الأولى من كتاب(الحدائق الناضرة) للمرحوم الشيخ يوسف البحراني فانه يذكر فيها روايات جمّة ذكرتها امهات المصادر الحديثية (وراء موضوع التقية) مفادها ان الأمام في جملة وقائع اجاب سائليه عن المورد الواحد باجوبة متخالفة متضاربة حتى ان بعض ملازمي مجلسه من اصحابه تضاربت به الظنون لكنه عليه السلام لمّا خلا مجلسه ابتدء هذا الملازم لمجلسه وقال له لعلك دخلك ممّا رأيت امر عظيم قال نعم ياسيدى فقال ياهذا

انما اجبت السائل بعد السائل عن المورد الواحد بأجوبة متضاربة لأصون دمي ودمك ودم كل موالي ذلك لان كل واحد من هؤلاء السائلين يجيب من يسأله غدا عندما يلاقيه ويقول له ماذا افدت من الأمام فيقول في جوابه افدت كذا ولا شكّ ان هذه الأجوبة المتضاربة بعد انتشارها تشير الى ضعف المجيب بها فيقول الناس المناوؤن في حق الموالين لأهل البيت وملازمي طريقتهم دعوا هؤلاء فانهم ضعاف لا وزن لهم وانا وانت وغيرنا من اهل الحق نستفيد بقاءنا من كلمة اعداءنا (دعوهم) وننتظر روح الفرج لأقامة الحق الذي لا يكون الاّ واحدا لا اثنين ولا ثلاثة .

فانت ترى ان هذا الأمام المزور حتى في قعر بيته لم يستطع ان يجيب بالحقيقة خوفا على نفسه وعلى المؤمنين من سطوة الوقت وهيمنة الزمن فمع هذا كيف يعقل ان يكون امر العقيدة بيد انسان والنفوذ والسلطان بيد آخر دائب على تنفيذ ميوله وارضاء وهمه وخياله ولأجل النموذج نذكر بعض مافي الحدائق :قال رحمه الله (ج ١ ص ٥ من الطبعة الأخيرة) فمن ذلك ماروا ه في الكافي في الموثق عن زرارة عن ابي جعفر (ع) قال سألته عن مسألة فأجابني ثم جاءه رجل فسأله عنها فأجابه بخلاف ما اجابني ثم جاء رجل آخر فأجابه بخلاف ما اجابني واجاب صاحبي فلما خرج الرجلان قلت يا ابن رسول الله رجلان من اهل العراق من شيعتكم قد ما يسألان فأجبت كل واحد منهما بغير ما اجبت به صاحبه فقال يا زرارة هذا خير لنا وابقى لكم ولو اجتمعتم على امر واحد لصدقكم الناس علينا ولكان اقلّ لبقاءنا وبقاءكم :وفي رواية موسى بن أشيم (ص٧ من ج ١) فدخلني من ذلك ما شاء الله ــ وفيها ــ قال ثم التفت اليّ فقال :الى آخر ما ذكره رحمه الله من امثال هذه الروايات .

وكم لهؤلاء المساكين من المنتسبين لمدرسة الروح من اغلاط عقائدية

علمية جرأهم عليها امّا الجهل وقلة الدربة والمعرفة وامّا الأنتهاز والأنحياز الى من واطأهم فى الخفاء على ذلك فقد قرأت فى كتيّب لانسان يوسم بالفضيلة كتبه فى موضوع الزكوة وقال فيه ليست الزكوة الواجبة منحصرة كما هو معروف بين المتشرعة بالغلات الأربع والانعام الثلاث والنقدين وزكوة الفطرة بل هى تعمّ كل شيء حتى الجرّارات والسيّارات ومضخّات الماء والمكيفات وغير ذلك :وانما تعارف ذكر الموارد السابقة لانها كانت هى المتداولة بين الناس ازمان الشريعة وعلّل ذلك بان فقر الفقراء وحاجة المعوزين فى هذه الأزمان لا ترتفع بتلك الموارد العشرة لاتساع افق المعيشة بل تحتاج الى التوسعة والتوسعة من الدين حاصلة وذلك بحمل تلك الموارد على انها مصاديق ذكرت من باب المثال لا الحصر : ولا شكّ انه متطرف فيما قال لقيام الشهرة القريبة من الأجماع على خلاف ماذكر(راجع اذلك من فقه السنة بداية المجتهد لابن رشد حد الأقل واىّ كتاب فقهى للخاصة اردت)على ان الشاذّ من هؤلاء لم يتوسع بما توسع به هذا الأنسان وانّما نازع فى امور قريبة الافق من هاته الموارد والأدلة التى استعان بها على مهمته انما تفيد ضرورة مواساة الاغنياء للفقراء والواجدين للمعوزين وقد تصل النوبة بالمواساة الى حد الوجوب ولكن لا ربط لذلك بانه واجب من باب انه زكوة ومثل هذه الاجتهادات شهوات ورغبات ولا ربط لها بالتحقيق فى المسائل العلمية .

كما افتى بعض الزعناء ان وجود ورقة الهوية بيد الفرد دليل على انه اعطى من نفسه التزاما للحكومة بأنها جائزة التصرف به وبأمواله وحقوقه كيفما شاءت وبعبارة اخرى انها تكون بالنسبة اليه كوكيل مطلق اقامه على نفسه باختياره وان اعترافه بتابعيته لها سند عليه برضوخه وامضائه لكافة تصرفاتها به سواء وافق ذلك رغبته بعدا ام لم يوافق وسواء طابق الشريعة

ام لم يطابق ونحن لا نعلم ان ورقة الهوية التى يأخذها الأنسان من دائرة النفوس اىّ ربط لها بما ذكره وانّما يأخذها من يأخذها لأجل تسييرا موره فى الحياة فان فاقد الهوية يعتبر فى القانون محروما من كل شىء فهو دفعا لهذه المحروميات ووقوفا امام طرده وابعاده او التوقف فى امره يتقدم الى دائرة النفوس ويثبت نفسه فى دفاترها بانه فرد من هذا الشعب حتى يعرف ولا يجهل فمن اين استفاد هذا المتفقه المتنزى هذا البسط كله من وجود ورقة الهوية بيد الشخص نعم ليس ذلك الاّ اندفاع مرموز كما هو جلّى للمتيقظ .

واخيرا اخذت تتطلع الى الوجود وهابية عششت تحت بعض الأزياء المأجورة وفى الواقع هى اداة تهديم وتحطيم للدين لانها انتصار له بحذف الغلو والخرافات عنه كما يزعمون والذى دعا هذه الأقلام الى ان تتموج هذا التموج العارم عدّة دواعى كما اشعرنا بذلك آنفا ومن جملتها انهم يرون الرضوخ للحقيقة الواحدة جمود يسأم منه ويملّ كما سأمت تيّارات الوضع الحاضر البقاء على لون واحد فى الازياء والعادات والأخلاق فأخذت تتشكل كل يوم بشكل فى مجاليها وظواهرها حاسبة ان ذلك كله من التقدم ولا تشعر انها فى ذلك مسيّرة لا مخيّرة وان الذى يدفعها اليه دافع من وراء حجاب له هدفه ورمزه فأحبّ هؤلاء المتشبهون بالوهابيين ان يموّجوا الوقت بأقلامهم ويلفتوا الأنظار الى مناجم جديدة حتى يعرفوا بها كما عرف محدثوا الأزياء الجديدة بما احدثوا وفى التنقل ولومن الحق الى الباطل لذّات كما قيل (تنقّل فلذات الهوى فى التنقل)

ومن جملتهم انسان استعرض نهضة سيد الشهداء وتفلسف فيها ضمن كتاب سمّاه (الشهيد الخالد) وهو على رغم اعتقاده (حسبما يتظاهر به) ان الحسين بن على امام معصوم مفترض الطاعة اعتبر قيامه كفرضية تاريخية

حتى يتسنّى له ان يكتب عنها كتابة يذعن لها كل احد حتى الشيوعيون والملاحدة ولا تختص بالشيعة الأمامية القائلين بامامته وعصمته وسائر خصائص الأمام المنصوص عليه من صاحب الشرع بما هو معروف من خصائص الأمامية بالنسبة الى ائمتهم ولم يشعر هذا المسكين انه ارتكب تناقضا ظاهرا وتدافعا مكشوفا فان الفرضية التاريخية معناها اعتبار الحسين بن على فى قيامه كاعتبار غاندى زعيم الهنود وباتريس لومومبا محرّر الكونغو واشباه هذين وكيف يلتئم هذا الأعتبار مع امام معصوم مفترض الطاعة له خصائص الأمامة الشرعية من انسان يتظاهر بهذه العقيدة فيه وهل يعقل فرض محمد بن عبد اللّه نبىّ المسلمين (من انسان مؤمن بنبوته) انه كنابليون مثلا نعم لا شك انه غلط مفتضح وقد تقدم الىّ هذا الأنسان بكتابه اول ما طبعه على ان انظر فيه وانتقده فقبلت منه ذلك ونظرت فى اطرافه وانتقدته بنكات علمية تاريخية اجتماعية دقيقة فى ما يقرب من خمس عشرة صفحة باللغة الفارسية وسلمتها له على ان ينشرها او يلحقها بكتابه فما ادّى الأمانة وانا فورا ارجعت تلك الصفحات الى اللغة العربية وطبعتها فى فصل من فصول الجزء الثانى من كتابى (بحوث وآراء) او (شرح نهج البلاغة) بعنوان اسرار نهضة سيد الشهداء واوقفته على اهمّ اغلاطه والنقاط الرئيسية من المؤاخذات عليه .

ومن جملتها التى مازال يكررها فى غضون كتابه ان الناس ما اشد غفلتهم وابعد نظرهم عن الواقع حيث يقولون ان قتل الحسين كانت فيه حياة للدين واحياء للمتدينين ويعجب من قولهم هذا اشدّ العجب ويقول ان اعدام الأمام كيف يكون احياء لدينه ويرى القضية معكوسة وهى ان الحسين لو بقى حيا لأحيى الدين امّا حيث قتل فقد قتل الدين معه ويستشهد بقول الشاعر:

ويكبـــرون بأن قتلت وانّمـــا قتلوا بـــك التكبير والتهليلا

ومع كل الاسف ان هذا المسكين قد غلط هنا غلطة واضحة مكشوفة لو تدبر لها فان الحسين بن على حيث اريدت البيعة منه ليزيد بن معاوية لا يعدو امره ان يكون فى لون من الوان ثلاثة(١) امّا تركه حرّا لنفسه غير مبايع ليزيد فذلك من مستحيلات الوقت ولذلك لم يترك وأصرّ عليه بالبيعة وعلى فرض انزوائه بنفسه فى بعض الثغور لو تيسّر له ذلك فأيّة فائدة فى وجوده فان الأمام الذى يستفاد منه يكون فى معرض الأفادة مطلقا سراحه وسراح المستفيدين منه لاالمنجحر فى زوايا الخمول (٢) وامّا اخذ البيعة منه ليزيد فذلك عين امضاء حكومة يزيد والأعتراف بكل ما يكون منه ويكفى الناس ان يقولوا ان الحسين بن على بايع يزيد فما نحن والأستنكار على ابن ابى سفيان ولو كان مستنكرا لما بايعه هذا الأمام المعروف فمبايعة الحسين له فى جوهرها محق للدين وسحق للمتدينين وهل يستطيع هذا الأمام مع اخذ البيعة منه لهذا الطاغية ان يقوم بمشاريعه الدينية ومعنى قيامه بذلك نكثه للبيعة وخروجه عليه بلاريب مع تحمله مسؤلية الخضوع له بادئا (٣) وامّا الأمتناع عن بيعته ظاهرا وهذا الأمتناع هو الذى جرّ ماجرّ على الحسين ولكنه اثرّ ما اثرّ فى قلب الشعور العام لاعلى يزيد وحده بل على الدولة الأموية كلها بل على كل دولة مستبدة بعدها ومن شعور واقعة الطف استمدّ التوابون والمختار واتباعه ومصعب بن الزبير حيث ابى الأستسلام لعبد الملك متعللا بقوله .

وان الأولى بالطف من آل هاشم تأسوا فسنّوا للكرام التأسيا

وقتيبة بن مسلم وآل المهلب وابن الأشعث وزيد بن على بل وكل الطالبيين والثائرين واهمّ انقلاب جعل واقعة الطف شعاره هو انقلاب شيعة بنى العباس حيث اطاحوا ببنى امية على الأطلاق ولا شك انّ روح

المفاداة تخلق فى المتحررين ارواحا عالية لا تستنيم الى الذلة وهذا هو معنى حياة الحسين بقتله وحياة الدين بقتل امامه ومن احبّ التوسع فى هذا الباب فعليه بقراءة الفصل الذى اشرنا اليه آنفا فى الجلد الثانى من كتابنا (بحوث وآراء) .

وهذه الوهابية التى اشرنا اليها اخذت تتوسع فى مناطق التشيع بعد ان همدت فى ديار التسنن .

عنونّا آنفا قوله تعالى(ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى اللّه هو الهدى ولئن اتبعت اهوائهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من اللّه من ولىّ ولا نصير ــ الآية ١٢٠من سورة البقرة) وأشرنا ان متابعة اهواء المنحرفين فيها سلب مصونيةَ من اللّه سبحانه للمتابع واذا سلب اللّه مصونية عبد من ناحيته هو تبرأ منه واعرض عنه(مالك من اللّه من ولىّ ولا نصير) فلا شك ان ذلك العبد محكوم بالتلف ولهذا الحكم نتائج طبيعية وضعية لا يمكن التشكك فيها بعد أن ابرزها العيان لأحداق اهله بصورة اجلى من الشمس .

كل انسان رأى عزة اخيه الأنسان فى اطوار الحياة وادوار التاريخ ورأى ذلته سواء كان ذلك بعين البصر ام بعين البصيرة ولا شك انه رأى عزّته منوطة بتقنين النظام العادل واجراءه بين الافراد كمطابقة النسخة للأصل بلا ادنى فصل ورأى ذلته امّا لفقد القانون العادل من رأس واما لعدم اجراءه الآ بخفير من الشفعاء والرشوات :اما القانون العادل فهو مفقود من البشرية على طولها اذا كان وليد آرائها وذلك لعاملين قويين (العامل الأول) ان الكمّل فى البشر محدودون جدّا بل هم من الندرة بمنزلة العدم ونعنى بالكمّل اولئك الذين لا تخطأ آراؤهم صفحةَ الواقع ولا تنحرف انظارهم عن اصابة صميمها ومثل هذا الرديف حتى فى ارقى

عصور الحضارة البشرية لا وجود له ويعتبر الأنسان ان اهمّ افراده هو الفيلسوف وكم لفلاسفة الدنيا قديما وحديثا من شطحات لا تغفر ومن طلاسم لا تعرف حتى يحكم عليها بصحة او سقم مضافا الى اننا نجد آرائهم مستعمرة لاخلاق الناس وعاداتهم الدارجة بينهم واخلاق الناس وعاداتهم في الأغلب وهمية خرافية لا مقيل لها من الواقع هذا كله اذا كان الفيلسوف مؤمنا بآرائه لا يحيد عنها ولا ينحرف حتى لو اخذ منه بالمخنق .

(العامل الثاني) مزاحمة الأهواء للآراء ومتابعة الآراء للأهواء فقد يرتئ الأنسان الكامل رأيا حقا يؤمن به ايمانا لا يشوبه شك ولكنه يستره عن الظهور اذا كانت رغباته النفسية على خلافه فهو لأجل ان يحقّق رغبته ويطرد انتقاد المنتقدين عنه يبقى رأيه الصائب في لفافته لا يطّلع عليه احد سوى روحه وذلك اذا توجهت اليه ويأخذ في تأييد رغباته علميا تأييد المجاهد في سبيل شئ لذلك الشئ وما اكثر هذا الرديف في عقلاء بني آدم اولئك الذين يقدمون رغباتهم على مدركاتهم ويقتلون الثانية بالأولى ولا يتأثمون فكيف بهؤلاء لوحصل لهم مع ذلك راضخ اجرة ومعطى رشوة على تأييد الباطل الذى رغبوه ومحق الحق الذى اعرضوا عنه فهناك للحق والحقيقة كل ويل وثبور من هؤلاء .

فاذا كان القانون الذى يجب ان يكون عادلا نصيبه من مقنينه ما رأيت فتكليف اجراءه يكون من الجلاء بحيث لا يحتاج الى بيان واقامة برهان .

اذن فالقانون العادل لا يستطيع ان يقننه غير اللّه لعدة عوامل رئيسية (اولها) ان الأكوان ومافي الأكوان ومن في الأكوان كلها خلقته وصنعته وصانع الشئ اعلم من كل احد بظواهره وبواطنه فاللّه سبحانه اعلم بما يصلح المخلوق ويفسده (ثانيها) انه بهويته فاقد للرغبات والشهوات فليس في وجوده ما يظنّ به ظنّ السوء (ثالثها) انه فوق كل

شيء من كل حيث فلا يعقل فيه ان يتأثر بمؤثر يقعد به عن قول الحق واجراء الحق .

واجراء القانون في اطار حكومة تنفيذية لا يكون الا بمعصوم من نبي منتخب لله اووصيّ منتجب وقد برهنت حكومات الأنبياء التنفيذية على قصرها في الزمان ان مقياس الحكم العادل هو ماقاموا به وان غيرهم في حكومته بمفازة عن ظل الواقع فضلا عنه نفسه وكل انسان اذا لم يترسم هذه الخطى عملا وتأييدا لعمل فهو هالك كما ترى الناس في عصر الفضاء الذي يتغنى به المتغنون هالكين رؤية عين بالأدلة التالية .

(١) الأنهيار العام في عامة الطبقات فأننا لانكذب احداقنا في عالم اليوم بما تراه من آثار الصنعة وجمال الرونق في المنازل والأسواق والشوارع والمصانع والمعامل كما لانكذبها بالسحف وفقدان الشرف بما تراه في كل شيء وفي كل احد من الزعيم المطلق الى الطرقي الأحمق بل لاتجد للفضيلة اثرا ولاعن الرذيلة منقلبا فالكذب والتزوير والأرشاء والأرتشاء والتدليس والغش والغبن والميوعة والسقوط والتسفل والتوحش شارة كل فرد عليها يعيش ويبني منزله ويتخذ زوجته ويربي اولاده وينهي حياته الى آخر لحظة فالقيم والمفاهيم بأسرها مداسة الأرجل ودورانها في الرؤس يعدّ من الجنون بين ناس هذا اليوم ارم ببصرك حيث شئت فلا ترى الا جنونا هائجا ولا ابالية مطلقة العنان من كل احد وفي كل شيء بلا استثناء الا لمنكمش في جحر بيته ـ ان كان له في بشرية اليوم وجود ـ انكماش الحشرة في اجواف الأرض .

(٢) نكران كافة المعنويات والأنحصار بصرف الماديات فلقد اصفق سكان الكرة الأرضية في هذا العصر على الأخص الشيوعيون والأشتراكيون وهم يشكلون الهيأة الكبرى والسواد الأعظم من بني الأنسان اليوم على

انكار حتى المفهوم للصفات الأنسانية من تعفف ونزاهة وحلم وحياء وصدق ووفاء وصفاء وتأخر عن فعل الباطل وتقدم لفعل الخير فلا تلمس اليوم معنى للعفة لا فى النفوس ولا فى الأعراض ولا تقف على نزيه ولا من يحلم عند المقدرة ولا من يستحيى من ارتكاب الرذيلة ولا من يفاوت بين الصدق والكذب ولا من يفى اذا وعد ولا من يتحاشى قذارة اللسان وحركات الأعضاء الجافة كل ذلك لانه لا يعتبر الأنسان الآ حيوانا خالصا وكل ما يقال فى ميز انسانيته تزوير لا واقع له ولكنه اعتبره كحيوان بسيط له ما للحيوان البسيط وعليه ما عليه او ارتآه كقرد فى غابة ولم يزد ولو كان الأمر كذلك لقلّت جملة من الويلات ولكنه يعتبره قردا قد تقدمت به الحضارة الى معرفة كل شىء تبطنته المادة فهو قرد موسيقار رقّاص زنّاء سكّير معربد مغامر متهجم راشى مرتشى مريق للدم لأقل بادرة تهجس له هاتك للحرمة والحيثية لأدنى شهوة نفسية بل نزوة جنونية وتراه يعجب من كل من يستنكر عليه شيئا من ذلك ولا يعتبره الآ طرازا من خرافى العصور البائدة وها انا انسان انتسب لمدرسة الروح ارانى على اساس الحضارة الدارجة اليوم استغرب وجودى فى مدينة مذهبية لها شارتها فى ذلك فأقول فى نفسى كيف ياترى لو مارست مدينة غربية فى روسية او امريكة اوغيرها من بلاد الغرب الطافحة بعناوين هذا التجدد الفعلى لا شك انتسبى لا ارى نفسى فى مثل ما فرضت الآ كأغرب الغرائب واعجب الأعاجيب سبحان الله ماذا فعل الأنقلاب المادّى بأهله .

(٣) ترهل الحكم واسفافه وضياع الحقوق : فى كل زمان كان قوى وضعيف وظالم ومظلوم ومحتكر ومحروم ولكن هذا الزمان على اساس نزعه لمبادء الأنسانية بجميع مفاهيمها بلغ فيه ضياع الحقوق اعلا قممه فمن المستحيل على الضعيف فى قواه البدنية والمالية وبنيته الشخصية ان

يدرك القليل او الكثير ممّا له من حق قرّره القانون فى البلد الذى يعيش فيه فهو مظلوم للباعة والشراة مظلوم للعابرين والمستطرقين مظلوم لحاكميه وليس له منفذ يسلك منه الى دائرة شرطة اومحكمة عدل اوغيرهما من مظان تنفيذ القانون وحفظه بين من لهم حق فيه فان انانية المادية المستشرية فى كل ذى مقام تنبذه لمجهوليته نبذ النواة من فم آكل التمرة وتستقذر وجوده وتهزأ منه ولا نغالى فيما ذكرناه بل نرانا مجملين فى تفصيله اذ لا طائل وراء هذه التفاصيل التى يمجّها اهل القدرة ويرونها مكدرة لصفو عيشهم ويرون الانتقاد بها عليهم من الأسفاف .

ولنا ان نتسائل ونقول من اين جاءنا هذا البلاء فان لكل شئ سببا ومن المستحيل حصول ما يحصل جزافا ولا شك انّ هذا الترهل والأسفاف والأنحطاط الذى نراه فى جوامعنا الأسلامية (وانما خصصناها بالذكر لانها ألصق بنا من ايّة جامعة اخرى) كان مسبوقا بنزعة دينية تضفى المحيط الأسلامى من شرقه لغربه ومن شماله لجنوبه وكان لاخلاقه السيطرة على الظاهرة كلّها ولا شك ايضا ان استمرار هاته النزعات الدينية من لدن زمن صاحب الشريعة الى ماقبل ثلاثين سنة تقريبا كان لعوامل مشت به حتى اوصلته الى هذه الغاية واهمّ العوامل فى نظرنا خمسة .

(العامل الأوّل) ان قوة الأندفاع الأسلامى بحرارتها الأولى المتغلغلة فى نفوس المؤمنين اخذت تعبر هذه القرون قرنا بعد قرن يكون اللاحق منهما نتيجة للقرن السابق ومستمدا منه وهكذا حتى انتهت القوة كما تنتهى قوة الرصاصة المطلقة بعد ان تنتهى آخر قوة فى دفعها فتسقط الى الأرض لا تؤثر حتى فى الحشرة الصغيرة الاّ بمقدار مافيها من ثقل الرصاص وزنا .

(العامل الثانى) ان الدين والأخلاق الدينية والآداب الفاضلة لابدّ

وان يكون عليه وعليها قوّام يؤيدون اندفاعهما الأول القائم بالمدافع الأوّل وهو النبيّ واوصياؤه من بعده ولولا هؤلاء القوّام لانتهت حرارة الطلقة وقوة الأنطلاق قبل هذا الموعد المقرر الذى اشرنا اليه وكلما كان القيّم خيّرا فى نفسه شريفا فى اخلاقه ناصحا صادقا فى قيمومته كان الاندفاع الى الأمام ابقى واقوى :ونحن وان لم نر القوّام السابقين بأعيننا ولم نختبرهم بأنفسنا كما رأينا اللاحقين منهم بأحداقنا واختبرناهم بخاصة انفسنا الاّ ان الآثار الوضعية لكل شيء قاضية على ذلك الشيء قضاء محكما لا شكّ فيه فقد كان فى زمرة الأسبقين من لا تأخذه فى الحق لومة لائم ويضيف الى ذلك الورع والأحتياط كما يتقاضاه منه مقامه بعنوانه قيّما على الدين واهله ولم تر اعيننا فى هذه الأعصار من يملك هذا الملاك ومتى كان القيّم مسقّا اسف معه غيره بطبيعة الحال .

(العامل الثالث) شيوع الألحاد فى الغرب شيوعا حادّا نتيجة لترهل المسيحية واسفافها فى مبادئها الدينية التى يضحك منها كلّ احد بمجرد ان يتوجه الى لبّه وانحراف حماتها فى خاصة انفسهم وضغطها على كافة من خالف مبادئها بالعنف الشديد فهذه العوامل الثلاثة لمّا تجمعت وتراصّت اعطت من نفسها انبثاق الالحاد الحادّ فى فهمة الغرب فقامت قيامتهم مرّة واحدة وانتجت من نفسها عكس عمل عجيب فكان القرن الثامن عشر واوائل التاسع عشر من اقوى القرون البشرية الحادا بما وراء الطبيعة .

(العامل الرابع) تقارب الشرق من الغرب تقاربا ادّى بالمناطق الأرضية جمعاء ان تكون بحكم مملكة واحدة متصلة الطرق والأرتباطات والمواصلات ولا شك ان هذا التقارب بل الاختلاط له اثره العميق فى تحدّر الحاد الغرب الى الشرق الأسلامى فتاجر المسلمين ومحصل اولاد المسلمين ومريضهم وسائحهم اخذوا يتسرون الى ولايات الغرب حتى لم

تبق ولا ية لم تد سها ارجلهم والكيان الغربى فى العقيدة ماذكرنا عنه وهو الألحاد الحاد ومن لازم كل ملحد فى العقيدة التفسخ والميوعة فى الأخلاق الى ابعد حدّ يتصور حتى يحقق الحاده بأعلا مقاييسه ولا شك ان ذلك له اثره الفعّال فى نفوس من يخالطهم ويمازجهم اويخالط من خالطهم ومازجهم بحكم السراية .

(العامل الخامس) استعمار الغرب لتكاثر قواه ممالك الشرق لضعف قواها وانحطاطها ومن شأن كل قوى الافتراس وكل ضعيف الأنهيار وكل حاكم يحاول فى محكومه ان يسلبه جميع صلاحياته حتى ينيمه الى الذلة ويحكمه براحة واطمئنان نفس ومن لازم هذا المعنى بين الغرب الحاكم والشرق المحكوم ان تذوب من الشرق كل روح دينية ويطلع بظاهرة ملساء قابلة لأن تطبع بأى طابع اراده من يحكم فيه وهكذا فعل حتى اصبحت المفاهيم الدينية بين المسلمين منسية لدرجة ان الشرقى الذى كان مسلما اصبح يستغرب من طرح كلمة الدين على سمعه وانما يعرف الحياة حيوانية خالصة غير مقيدة بقيد ولم يعد السامع اليوم يسمع من المسلم كلمة (اللّه او قرآن او رسول) الاّ من بعض افراده كبقايا رسوبات بقيت على لسانه من دون أن يفهم لها معنى فاذا كانت قضاياه مع العقيدة بهذا اللون اذن فألف سلام على الصلاة والصيام اللذين هما من ابرز نقاط الدين فى الجوامع المسلمة وامّا ماتنزل عنها درجة فسبيله فى النكران من اوضح الواضحات .

وجامع كل هذه العوامل ورأس كل انكسار ورد على الدين والمتدينين هو متابعة مدعى الأيمان باللّه اهواء من الحدوا به تقديما للراحة المزعومة على العمل المثمر ولشبع ايام على جوع عمر مديد ولجاه قشرىّ على عزّة

واقعيّة ابدية الاقاتل الله اهل النفوس الضعيفة ماذا يأتى عليهم شرهم وما تجرّ عليهم من ويلات دنائتهم ولا بدع اذا اصبحوا لا ولىّ لهم من الله ولا نصير اذلّ من ارنب واوطأ من نعلة وبمقال .

* (العاهات الروحية والعقد النفسية) *

ان فى عالم الطبيعة بعد بذل الدقة فى زواياه غرائب تهزّ الاحساس البشرى هزّا عنيفا فكما تقع الحاسّة اسيرة امام المثالى الكامل تقع فى نظير من هذا الأسر امام المشوّهين فى روحيّاتهم المتهجمين فى سيمائهم يشاهد الانسان تلاطم السنة النيران المستعرة فى الزروع و البيوت و المخازن فيتأثر كما يشاهد تلاطم الأمواج العارمة على السفينة الموقرة فينزعج ويشاهد ثوران البراكين وتحطيمها للقرى والبلدان فينقلع من مكانه غيظا كما يشاهد تمخض الزلازل وتشقيقها للاراضى واعناتها بالحيوان والانسان والبنيان فيختل توازنه ويشاهد الحروب الطاحنة والطوافين المبيدة وتفاعل الأمواج المصطرخة على السواحل المأهولة فيتداخله شبه جنون كل هذا يحصل له من امثال هذه الحوادث و لكن مرور الآوان وتصرّم الأحيان يزويه عنه شيئا فشيئا لكنه اذا شاهد ذاك المتهجم واقترن به يرتفع به الغيظ حتى ليكاد يمزق جلد نفسه باظافير نفسه و يستولى على شفاهه وانامله عضّا واكلا اذا كان من ذوى الأرواح الطيبة وتراه يستخف نقل قلل الجبال على رأسه ويستثقل الآن القصير من معاشرة ذاك الصفيق حتى لتحسّ منه ان قلبه يأخذ بالانتفاخ اوداجه بالتورّم من غيظ ما يطرأ عليه من مواجهة غير القابل للهضم .

كثيرون اولئك القادة الذين جرّوا بجحافلهم على جحافل مثلها فأبادوها ولكن لم يمقتهم التاريخ كما مقت مسرف بن عقبة المرّى والحجّاج ابن يوسف الثقفى ذلك لأن هذين كانا من ارذل خلق الله نفسا وأقذرهم

لسانا واثقلهم على العاطفة وابغضهم اليها ونظير هذين الساقطين كثير في اطباق البشرية ومن جملة هؤلاء الكثيرين اولئك المسفّون في عالم العقائد والأديان والمذاهب والمكاتب المتحاملون على كل شيء لا لشيء سوى حقدهم على كل ماخلق الله فتراهم سليطي السنة جريئي اشداق على كلّ ما يذكر امامهم ويأتي على خواطرهم عفوا وتجدهم محترقين بنار تثور بهم من كل شيء والى كل شيء هجّائين سيئي ظن بكل احد ولا يسعنا في هذا المقال ان نتعرض لكل احد مرض بهذا الداء العضال بل نخصّ منهم بالذكر لبعض ماصدر عنهم أثنين مع التنزه عن التصريح باسمائهم ولا بدّ من تقديم مقدمات ·

(الأولى) يجب بحكم كمال الأنسانية وأدبها ان ينطق الناطق ويكتب الكاتب وينظم الشاعر عن نزاهة وادب واتزان حتى مع خصمه اللدود وان لا يندلع لسانه وقلمه بالفحش والسباب والأستهزاء والأستنقاص فان ذلك من شيمة الجاهل القاصر المعوز من كل فضيلة ·

(الثانية) ان الأنسان ومهما اوتي حظوظا من العلم فان معلوماته بازاء مجهولاته غيض في قبال فيض حتى المتخصص في فنّ بخصوصه فكيف به في قبال كل معلوم قد اميط عنه بعض الحجاب او استعرض بالفرض والتصوير ·

(الثالثة) ان استطراق الموضوع بمجرد عرض عنوانه لا يجوز البتّ فيه بايجاب اوبسلب فان تحقيق اصغر الموضوعات بماله من سياق يحتاج الى زمن وفحص ودقة وتحقيق فالبتّ فيه بمجرد ان عاطفة المستطرق له قبلته او نبذته يعدّ من افحش الأغلاط العلمية ·

(الرابعة) ان بقاء الشيء مجهولا بحكم الجهل به لا يجوز اثباته بحسن الظن ولا نفيه بالأستبعاد فان حسن الظنّ ليس مدركا علميّا كما

ان الأستبعاد لاقيمة له امام موازين العلم ٠

(الخامسة) ان الحقيقة ابنة الواقع وطريق الواقع امّا حسّ شهودى او عقل غير مغلوب بالعاطفة والحقيقة واحدة لااثنتان ولاقديم فيها ولاجديد وليست هى محكومة بالتمدن والحضارة ولا بالتعرّب والبداوة والأستشهاد على حاكميتها او محكوميّتها بما عليه المتمدنون او البدويون من الأغلاط المفتضحه ٠

(السادسة) للمعنويات عالم وللماديات عالم آخر فلا يجوز الأزراء بالأولى لانها لاتولّد مادة ولا بالثانية لانها تفقد روعة الروحانية بل لكل عالم منهما خصائص وميزات لايرتبط بعض منها ببعض فاستنقاص هواة كل منهما لهواة الآخر يعدّ تجاوزا عن حريم المنطق ٠

(السابعة) الحاكمية والمحكومية العلمية وراء الحاكمية والمحكومية فى الخارج من طريق اعمال النفوذ والقدرة فربّ حق منكسر فى الخارج بين الناس وربّ باطل منتصر فيه بين بنى آدم ٠

(الثامنة) ثمرة البحث العلمى تحقيق الموضوع بماله من احكام تترتب عليه بحكم موازين العلم ولاربط لذلك بأنه ذو اثر فى الخارج فعلا اوفاقد له ٠

(التاسعة) انكار اىّ موضوع يفرض يعود فى غنى عن الأسهاب فى فروعه وابطالها فان الفرع مترتب على الأصل والذى ينفى الأصل يعود غنيّا عن تحمّل كلفة ابطال فروعه ٠

(العاشرة) لايجوز التنديد بأصل اذا كان فى نفسه مسلّما لأجل الصاق بعض الحواشى به فان الصاقها به قد لايكون الاّ من الجهلة ولاربط لذلك بالأصل بالمرّة ٠

(الحادية عشرة) يجب على رائد الفضيلة ان يحافظ على الوئام

الأجتماعي مهما امكن فاذا بان له خطأ في ما يرتكبه كل المجتمع او بعضه تقدّم الى نقده بلسان مرن لا يولّد اثارة فتن ولا تفسخا في الهيأة الأجتماعية بل يأتيه بلباقة التعليم وحسن الأرشاد والموعظة امّا اذا جاءه بحدّة وشدّة اعطى لمجتمعاته ضد ماكان يتوخاه لها من صلاح وسداد .

(الثانية عشرة) ربّما تكون فيما بين الناس عادات لا تمسّ العقيدة الصحيحة بشيء ولا تحدث خللا في النظام ولا ربط لها بمجاري السنّن والعلم ومثل ذلك يعدّ التحدّي له والتصدي للبحث عنه من اضاعة الوقت وتهييج الخواطر لا لداع يعقل فاذا احطت بهذه المقدمات علما فالشخصان الموما اليهما قد تعديا حدود السداد في كافة المقدمات المزبورة .

(امّا بالنسبة الى المقدمة الأولى) فأنهما سلاّ حربتهما بجرءة واندفاع وسوء ادب على كل احد تصديا لذكره فكأنّ جميع ما توارد على خواطرهما اعداء الدّاء لهما قد اوقعوا بكل ما بمت لهما ظلما وعدوانا امّا سابقهما في الوجود فأنني قرءت له كتاب الشيعة والتشيّع فكان فيه مثال الصلافة والصفاقة ولا يرى الشيعة الاّ بهائم ويعتبر ائمتهم محتالين نشالين ويعبّر عنهم بما هو اركّ من هذه العبارات على الأخص الأمام الصادق فانه يتحامل عليه بما لم أر ناصبيا قد تحامل بمثله وكتاب الشيعة والتشيّع الذي اوعزنا اليه مطبوع موجود وامّا ثاني الرجلين فهو لا يقلّ عنه صلافة وصفاقة بل ترسم خطاه في كل شيء حتّى انه يصرّ على تلاميذه بقراءة الكتاب المزبور (الشيعة والتشيّع) راجع (ص ٤٢ ـ دفاع از اسلام) ويقول في (ص ٤ من رسالة متهميم) ارجو من السامعين والمطالعين لكلماتي حين يجدون فيها شدّة وغلظة وطعنا حادّا ان يسمحوا لي لأنني اريد ان اشخص الحقيقة للناس الذين تسرب السرطان الى دمائهم واتصل

بقلوبهم ويعتبر نفسه (اقرأ نصّ عبارته ص ٤٢ ـ دفاع از اسلام) انه رسول اللّه الى الشرق وانه بعث من الغرب ليبعث الشرقيين الى عالم جديد درس فنونه فى شوارع فرنسا وان ينقذهم ممّا هم عليه من جمود العقيدة بالقرآن ورسالة الأسلام والنبىّ والأمام والمبدء والمعاد وممّا لا ريب فيه ان هذين الجاهلين ككثير من سلفهما فيهما شذوذ فكرى ونقص عقلى وجهل عريق وظلمة رموز اهابت بهم ليؤدوا رسالتهم هذه ونفس تحاملهم على هذه المبادئ دليل ماقلناه فيهم كما سيأتى القول فيه مفصلا ٠

والاّ فالشيعة مع ارخاء كل عنان واغماض كل نظر كسائر طوائف العالم الحيّة يوجد فيهم جاهل كما يوجد عالم وآثارهم فى كافة المجالات العلمية الرائعة لها مقياسها الواسع وقد كرّرت المطابع كتبهم العلمية مرّات ومرّات وقرّض جملة منها حتى الملاحدة فضلا عن ابناء العامّة وفيهم الفيلسوف اللامع والمتكلم البارع والفقيه العظيم والمفسّر النبيل واللغوى الحجّة والباحث المتقن والأديب الكبير والشاعر المدوّى الى غير ذلك من الفنون والعلوم وامّا ائمّتهم فقد شاد بهم حتّى ألدّ خصومهم فى كتبهم الشهيرة وامّا ماورد فى فضائلهم عن كتب القوم وشيوخ الحديث وكلمات الاعاظم فلا يكاد يحصى لناقل ٠

وقد جمع السيد الحجة المحقق البحّاث السيد حامد حسين الهندى طرفا من فضائل علىّ (ع) عن النبىّ (ص) من طرق القوم فيما يقرب من ثلاثين مجلدا ضخما ابدى فيه اعجازا فى عمق التتبع واخراج الحديث وطرقه ورواته وتراجمهم وذكر من اورد الحديث فى معجمه فأبان حقّا انه بحّاث لا نظير له فى الموضوع الذى درسه لا فى السابقين ولا فى اللاحقين لكن امثال هؤلاء الرجال لا يعرف قدرهم هؤلاء السطحيون السبّابون النازلوا الكفة فى كل شىء وان يكن لدكتور اثانى الرجلين اثر فهو اجنبىّ

عمّا يتحدث عنه ولا ربط له به كما لا ربط لدكتورا شبلى شميل بالفلسفة التى القى بنفسه فى احضانها فخبط فيها خبط عشواء وقد اوقفنا النشأ على فضائحه غير القابلة للستر فى الجزء الأوّل من كتابنا نتائج الفكر كما أوقفهم غيرنا على ذلك وهذان الرجلان عاميّان فى كل ماتصديا له ولم يواجها الاّ عواما مثلهم لاصلة لهم بالموضوعات المتحدث عنها كما سنشير الى جملة من سخافاتهما فى الأبواب اللاحقة هذا وان الأعاظم من الباحثين الغربيين لهم فيما تصدوا له من البحوث الشرقية ضمن دوائر معارفهم كدائرة معارف القرن العشرين من الأغلاط ما يضحك له صبيان المدارس .

(وامّا بالنسبة الى المقدمة الثانية) فان ثانى الرجلين مثلا ينكر واقعة غدير خم ويرى ما سمّاه بالأنتخاب امرا شرعيا وقانونيا وان ناس تلك الأدوار كانوا يملكون من القابلية والقدرة ما استطاعوا به ان ينتخبوا بآراء انفسهم من ارادوا من دون ان تكون للشريعة دخالة فى ذلك (اسلام شناسى ص ٤٢٥) وهو فى ذلك مخطأ من عدة جهات .

(الجهة الأولى) ان انكاره هذا يدلّ على عدم مطالعته حدّ الأقل لما ورد فى الغدير من الآثار وقد اعترف الدّ النواصب بتواتر حديثه راجع لذلك المجلدات الضخمة الخاصّة بحديث الغدير من قلم صاحب عبقات الأنوار قدّس سرّه وما دوّنه المرحوم الأمينى فى موسوعة الغدير وماكتبه غير هذين العلمين وراجع المجلد الثالث والرابع من كتابنا نتائج الفكر فقد اوعبت هذه الكتب وعشرات غيرها ماورد فى واقعة غدير خم على رغم ماعملته العصبيات والتحيزات من اخفاء الكثير من ذلك فان الحقد الذى يتولد فى الأنفس الضعيفة والأدمغة السخيفة لا يحدّد بمقياس وكم شاهدنا هذه الروح القذرة من معاصرينا فى القرن العشرين بعد ماحكم على الرجعية بلفّ بساطها حيث ادّى بهم التزلّف الى فريق العامّة لحذف

الخطبة الشقشقية من قاموس نهج البلاغة ولكنها محاولة فاشلة بعد ما طبع الكتاب وفى اهمّ فصوله الخطبة المذكورة مئآت المرّات لعنت هذه الأرواح الشيطانية القابعة بزى الملائكة هذه الأرواح التى لم تتحرر من اقذار رذائلها ولم تنطلق من جحور همجيتها ولم تستروح شميم الحق ولو بطرف خفىّ من حواسّها ولا شكّ فى ان مفاد متون تلك الأحاديث هو التنصيص على خلافة من يزين الخلافة اذا جلس على كرسيّها وله الفضل بذلك كما ان الفضل دائما للأحرار الصريحين وكبار النفوس الملهمين اولئك الذين لولاهم لما رأت حدقة عنوانا للحق مدوّنا ولما سمعت اذن لنغمته صوتا ولما شخّص الناس انهم بشر لاحيوان سارح فهاتان الجنبتان الحديثية والتاريخية من حديث الغدير غير قابلتين للانكار ومن انكر ذلك وكذّبه فقد هدّد التاريخ العمومى لاحداث الكون بخطر التكذيب لان التاريخ العمومى لامفاد له سوى مجموعة هذه الأنشعاثات من الأحداث فى كافة المجالات واذا هدم هذا الدكتور اركان التاريخ العمومى فقد هدم كيان نفسه وكيان كل امّة وكل حادث وكل تاريخ واصبح لا يستطيع ان يعترف بصدق ايّة واقعة او يقنع غيره بها .

(الجملة الثانية) انّه لم يفهم مع طول مكثه ودراسته فى فرنسا دار الحريات كما يقال معنى الأنتخاب الذى يجوز ان يكون ركيزة لتثبيت المطلب المنتخب فان الأنتخاب الذى يصححه العقلاء يجب ان يكون واجدا لشرائطه اللازمة فى تحققه وهى (١) معرفة الناخب بما ادلى برأيه له والاّ فهو دابة مساقة او مقادة بدافع الطمع او الخوف او التضليل (٢) ان يكون تصويته بدافع معرفته فلو كان بدافع آخر كالدوافع التى اشرنا اليها فلا قيمة لتصويت (٣) ان يكون تصويته من حنجرته لا ان يصوّت عنه غيره مهيمنا عليه مخفيا لصوته بصياحه (٤) وان لا يعبث بصوته ويسكت على

العبث به والناظر المحقّق فى هذه العصور المشبعة بهذه الألوان من زعم الحريّة فيها لا يجد للملاك المذكور الاّ المصاديق القليلة فى الناخبين والكثرة الهائلة امّا عوام طغام يجهلون كل شئ وحتى انفسهم ويكفى فى جهلهم توسطهم بين الأوهام والخرافات واستيحاشهم من الحقيقة التى ابعدهم عنها دعاة الحق والحقيقة فيما يدعون ليعيشوا على كدّهم اولاً ويشيدوا لانفسهم مقامات بخضوع هؤلاء المساكين لهم ثانيا ويتخذوا من دماء هؤلاء البؤساء مجارى يعبرون منها الى مقاصدهم ثالثا وبعد ان يدوسوهم بأحذيتهم يفترسونهم ليأمنوا من ناحيتهم رابعا سل عن كل ذلك تجميع الحطب على باب بيت فاطمة وسل الجنّ الذين تبعوا سعد بن عبادة الى سورية وقتلوه غيلة لانه بال بالليل قائما وسل آل المهلب بن ابى صفرة وقتيبة بن مسلم الباهلى وابا مسلم الخراسانى وامش على حلقات التاريخ تعطيك صورا كثيرة من هذا القبيل بأقلام متنوعة تعرض لها كل من كتب فى تاريخ الأسلام والمسلمين وراجع لذلك ماكتبناه فى ردّنا على الشيخ محمد الخضرى فى كتابه محاضرات تاريخ الأمة الأسلامية فأننا قد اشبعنا الموضوع بحثا ودقة فى الجزئين الثانى والثالث من الحياة الروحية كما اشبعناه بحثا فى الجزء الرابع من نتائج الفكر وقد حققه غيرنا بصور متعددة وعلى لم يستدل على احقية نفسه بانتخابه حينما انتخب حتى يقال ان هذا الثوب من ذاك القماش بل له من الأدلة القاطعة ماادلى به من حين انعقاد السقيفة لمّا بلغه اخبارها وهو والنخبة الصالحة مشغولون بتجهيز رسول الله راجع لذلك فضلا عن الخطبة الشقشقية فصولا مهمّة احتضنها نهج البلاغة وتعرض لها كافة المؤرخين ومن جملتها الكتب المشار اليها وراجعها ايضا لما صدر عن النبىّ (ص) منذ صدر البعثة عندما دعا عشيرته الأقربين وانذرهم كما امره الله فى

القرآن ولما تواتر عنه نظير ذلك على مرور الأحداث والفرص المناسبة على حلقات الشهور والسنين ومن جملتها غدير خم وتسيير جيش اسامة وايعاب كافة المهاجرين والأنصار معه وقصة احضار الصحيفة والدواة فقد اشبعنا الموضوع بحثا بما كتبناه في الجزء الثاني والثالث والرابع من نتائج الفكر فكلام الرجلين المتحدث عنهما في هذه المجالات لا قيمة له لانه فاقد لأدنى خبرة في الموضوع وانما هو هذر وهراء صادف اناسا بسطاء يملكون اسماعا بلا قلوب وآذانا بلا عقول ولو كان ثمّة عقل لما صدّق من دون تصوّر وللتصور مقدمات اهمّها استحضار ما يجول فيه التصور واستحضار ذلك لابدّ له من مطالعة ومراجعة واستشفاف للأطراف .

(الجهة الثالثة) ان الرجلين المزبورين لا يدركان المنطق في معنى الخلافة الشرعية وانها لا يجوز ان تكون بانتخاب العوام او غير العوام امّا ان الحكومة الشرعية غير السلطة الزمنية فجدّ واضح لان الحكومة الشرعية قائمة على الاسلام نفسه وكما ان الدين والأسلام في طليعة الأديان لا يجوز ان يكون من الفرد البشري بل لابد ان يكون من المشرّع نفسه وهو اللّه سبحانه كذلك الحكومة الشرعية والاّ اصبحت سلطة زمنية لا يفترق فيها جنكيز عن غيره فان الفارق ليس هو اللباس او الشعار كما ادّى بهما الحال الى ذلك حيث حكم المتزعمون في الاسلام بميل رغباتهم وان افترقوا في منبع الرغبة فقد يكون منبعها الأستهتار والتفسخ وقد يكون الظلم والعسف وان خلا من الاستهتار وقد يكون مزيجا من الجهل بواقع الدين ومن الاستبداد واعمال النفوذ واراقة الدماء والأغارة على الأموال والضغوط على الانفاس والتهريج بالصياح وكل هذا حصل تحت شعار الأسلام فكما راحت الفهود والقرود والخمور والطبول ازمان يزيد والوليد والأمين مثلا راج شق بطون الحبالى ازمان اهل الجباه السود والقرامطة والأسماعيلية

وكذلك راجع قتل الأبرياء والأغارة على اموالهم ازمان الوهابيين ومن يسمّون انفسهم اخوان المسلمين او الحكام الشرعيين الذين لموّا بساط الأحكام الاولية وتسرّبوا الى العناوين الثانوية ليشبعوا نهمتهم من دماء الناس واموالهم والأطاحة بحيثياتهم وكراماتهم والتطويح بالدين من جذوره واىّ متفقه لا يعقل ان العناوين الثانوية لاتحتاج الى جعل وانّما جاعلها الضرورات والضرورة فيها جنبة استثناء بمقدار دائرتها فجواز اكل الميتة لأجل حفظ الرمق لا يقال فى حقه انه من احكام الدين وانما طبيعة الضرورة تلجأ اليه والشارع لا يريد الاشطاط بالمكلفين ولذلك ماشى الضرورات على مقدارها واين هذا من احكام الدين التى روعى فيها الطبائع الاعتيادية التى هى القاعدة الاساسية للحياة الطبيعية المعمولة فى الناس منذ بدء الخلقة والى مادام لهم بقاء فألقاء المجتمع البشرى فى احضان العناوين الثانوية نوع من الدجل المفتضح ولو كان ماركس ولينين من اهل العلم بهذه المصطلحات لما تجاوزوا عنها شبرا واحدا ولما اعنتوا بالناس وفى غمارهم مسلموا قفقازيا والتركستان قتلا وتشريدا وسلخا ومسخا بل جاؤهم من هذا النفق وسلكوا اليهم من هذا الطريق (طريق العناوين الثانوية) فسلبوهم بها اموالهم بل وارواحهم .

(وامّا بالنسبة الى المقدمة الثالثة) فان الرجلين لم يحقّقا موضوعا استعرضاه ذلك لأنّهما ليسا من اهل التحقيق ولا هما من رجال الأنتقاد العلمى النزيه وشاهد من ذلك ان ثانى الرجلين استعرض فى رسالة له تصوير انتقاد الشبيبة من محصلى المدارس فى ظرف اليوم لما عليه آباؤهم وامهاتهم وان هؤلاء الآباء والأمّهات تائهون فى اودية ضلال (ونحن نترجم لك قطعة من الرسالة المزبورة ــ متهميم ــ ص ٤٢) ابتى وانت ياامّى علّمتمانى معنى الأمامة وان النبىّ اوصى الى ابن عمّه من بعده

ان يكون خليفة على الناس ومن بعده اولاده بملاك الوراثة الى اثنى عشر اماما بطريقة اتوماتيكيّة حتّى ان عدّة من اشباه المحققين عدوّا ان هذه الأمامة الارثية من صنع الأيرانيين تشبيها لها بنظام سلطنتهم ،على كل حال ،نحن الأولاد نسأل الآن ماذا نصنع،وهذه الأمامة والأئمة مافائدتهم لنا ولبشرية عصورنا ،ماذا ينفعنا ان نعتقد اليوم ان بعد النبى الى امتداد ٢٥٠ سنة كان من اللازم ان يحكم هؤلاء الأثنا عشر اماما ولكنهم لم يحكموا ماذا تقولون يا اباءنا وامهاتنا لناس هذا العصر ايّفرق بين الأمامة وسائر النظم السائدة :الى آخر ماقال وهذا الكلام كله هذر وان كان بصورة سفسطة تجلب انظار العوام واشباههم من السذّج البسطاء الذين يتجمعون حوله كما يتجمعون حول الشعوذيين فاتحى افواههم من من العجب لما يرون :ونحن نحرّر عناوين هذه المطالب بصورة علمية حتى يقف على جلية الحال من جهلها .

(فالعنوان الأوّل) ان النبوّة لازمة لتسيير البشرية على النظام الحقّ لان الحياة من دون نظام ولا تثقيف عادل تعتبر من اعظم الموبقات عليهم لان البشر المسيّب حيوان ضارى يعبث ويعيث ويهيج به الجهل الى التخريب بما لا يستطيعه اضرى الحيوانات واعظمها وحشيّة فان الحيوان الضارى لا يستطيع ان يسبّب حروبا وان يفتش لحروبه عن اقسى الوسائل الفتاكة المبيدة والبشر الجاهل اعرب عن نفسه فى فترات غير محدودة مالا يتميّزه التصوير ولا تهضمه العاطفة من التهجمات الشنعاء والأطاحات العارمة ولا شئ يقف امام ذلك سوى عزمات اولى العزم من رجال الأصلاح الواقعيين ولا واقعية لأنسان الاّ من ادّبه اللّه بأدبه الراقى وحفظه بكنفه ولطفه وذلك هو النبىّ فان يكن فى جوامع البشر بصيص نور فهو من آثار الأنبياء واوصيائهم وحواريّيهم الأمناء بلا ريب لأنّ الكثرة الهائلة من

الناس سواء كانوا من اهل المهن والصنايع الراقية ام من الطبقة النازلة بل حتى الأساتذة ومن جملتهم هذا الدكتور المتحدث لا تعرف سوى المادة فالاستاذ يماكس على ساعات التدريس كما يماكس الحمّال على الدرهم الزائد بلا شعور في تدبر هذا المطلب اضرّ بالباقين ام لم يضرّ وهو الأوضاع ام استقامت معه ولا شكّ ان هذا الداعي هو الذي اهاب بلطف الله كما هو مكنون في علمه الى بعثة الرسل الذين ينادون بالاخلاص قولا ـ لا اسئلكم عليه من اجر ـ وعملا بشدّ حجر المجاعة على البطن والموت لا عن تراث وتعزيز رسالاتهم بالأوصياء امثالهم في الحصانة والعصمة وليس في هذه الحقيقة معنى للوراثة ولا ان الأنبياء من اهل التحيّز والأنتهاز حتّى يظن فيهم ظن السوء والخارج شاهد على ذلك فليس عليّ وحده ابن عم لمحمّد كما انه ليس هو وحده صهرا لمحمّد واذا كانت القضايا بالوراثة فمن حق الأمامة بعد الحسن ان تكون لذراريه لا ان تكون للحسين بعده وامش على ذلك بالنسبة الى بقية الأئمة ومراعاة الاكبر فالأكبر من الأولاد بل كلّ امام من الأئمة الاثنى عشر له وزنه في العلم والفضيلة ومجانبة الموهنات وملابسة الخير والخيرات فمن ناحية الأمامة لا وراثة في البين ولا اتوماتيكية (العنوان الثاني) ان الأمامة من بدئها بل حتّى قبل فوت النبيّ (ص) كان للتشيع الذي هو رصيدها مجال معروف مشى فيه اعاظم الصحابة وكملّهم اولئك الذين استجلوا في ابن ابي طالب كل صفة حميدة شهد بها له اعداؤه فضلا عن اوليائه وهؤلاء كلهم كانوا عربا ولم يدخل الفرس الى حوزة التشيّع الاّ بعد ازمان فنظام تسلسل الأئمة ليس كما يدعي هذا العاري عن الفضيلة انه من مخلوقات الأيرانيين تبعا لما اندكّ في عاداتهم من نظام سلطنتهم .

(العنوان الثالث) ان الفائدة من الأمامة كالفائدة من النبوّة وهي

الأستضاءة بانوار علومهم وعظاتهم ونصائحهم واتخذها مقياسا للحياة البشرية حتى يسعد الناس حيويا بالنظام اكثر من سعادتهم بالمادة السوداء بلا نظام سالم بل يستحيل التمتع بالدنيا ولذائذها على الطريق المشروع الاّ من طريق نظام النبوات ومثالياتها فهذه الحياة الدارجة اليوم على مافيها من متع الحياة لمّا فقدت نظام محمّد وعليّ اصبحت من الكوابيس الثقيلة على البشرية حتى اولئك الذين لا يعتقدون بأية عقيدة ولا شاهد ابرز فى عصر النور كما يقال من هذه التموجات العارمة التى اخذت بمخنق البشرية فلا ترى الاّ اعناتا وتزويرا وارهاقا دولة من دولة وفردا من آخر كما لم يفترق عن عصر النور فى توحشه عصر التزمّت فى بعض اوقات الناس الذين عانوا كل مأساة تحت شعار التوحيد من وهابية وشبيهها وترى الناس فى واقعهم سكارى وما هم بسكارى ولكن الانفلات على المثاليات الصادقة سواء كان الى ميوعة ام الى جفاف ادّى بهم الى هذا الأنهيار الذى يدعو اليه الدكتور واضرابه واحزابه خونة البشرية وقادتها الى التلف على الاخص بعد ما اغروهم بالفتك بالناس وارهابهم والأستبداد بهم وان يصيخوا لاقوالهم وافعالهم وكم اغتيل على هذا الحساب رجل فاضل فضحهم وناقد كامل قبّحهم .

(العنوان الرابع) ان الفائدة من مثل حكومة على بن ابى طالب وحكومة معاوية مثلا هى ان حكومة عليّ مقياس العدل وحكومة معاوية مقياس الأستبداد واثر ذاك وهذا فى المجتمعات كثير جدّا سواء كانت غابرة ام فى امم معاصرة ومن ذلك تأسّى بعلى بعده افراد ممّن حكموا وتأسّى بمعاوية الكثيرون ممّن سيطروا واللاحقوق دائما يترسمون اثر الماضين فيما يحكى عنهم غايته كلّ وروجه فصاحب الروح المرنة يزداد مرونة بدراسة منالية علىّ وصاحب الروح المظلمة يزداد قسوة بدراسة حال

معاوية وقس وهذا امر مشاهد فى الأمم والممالك ومن هنا تستبين فائدة من وفى لعلّى وتعلم خيانة من خالفه وان الموافق للعدل نبراس لغيره والمخالف له يعطى بمخالفته جرءة لمن يريد المخالفة فيتخذ من اولئك الخونة حزبا واتباعا يخفف بهم ويلاته وسيئآته .

(العنوان الخامس) ان الأثر من هذه الأبحاث وهاته المعتقدات توجيه النفس توجيها حسنا او توجيها سيئا وهذه الأبحاث كالكتب المدرسية لطلّاب المدارس حسنها يزرع روح الأيمان فى المحصّل وسيئها يزرع روح الزندقة والكفر والظلمة فى الضمير واخراج المحصّل اخراجامنحرفا وهذه الآثار ممّا تقوم لها الدنيا وتقعد وليست الدنيا كلها اكلا وشربا ولباسا ومكنّا وشهوة جنسيّة بحق كان ام بباطل حتى نحصر البحث بها على ان هذه الماديات المحضة لاتستقيم لراغبها الاّ تحت نظام الحق والعدالة كما اسلفنا .

هذا نموذج من قشرية هذا الرجل على ان ماجاء فى اعتراضه الذى حلّلناه وردّدناه ليس وليدا لفكره بل قد سبقه به كثيرون من جملتهم الشيخ محمد الخضرى فى كتابه محاضرات تاريخ الأمم الأسلامية وقد اشبعنا القول فى الردّ عليه ضمن الجزئين الثانى والثالث من الحياة الروحية ونظير ماجاء عن هذا الرجل فى قشريته ماكرّر ذكره واصرّ عليه صاحب كتاب (شهيد جاويد) وهو اعتقاده ان الحسين قتل مغفّلا قد اشتبه عليه امره وانه لو بقى حيّا ولم يعارض يزيد لاستقام امره واستفادت الأمة من وجوده استفادة تامة بعنوانه اماما روحيّا وان قتله اضعف الدين ولم يقوّه الى غير ذلك من امثال هذه الشطحات القائمة على الغفلة فى التدبر والقشرية فى الفهم ونحن وان كتبنا على ذلك فصولا طبعناها فى الجزء الثانى من شرح نهج البلاغة لكننا هنا نلّم بذلك الماما ليقف على جلية

الحال من اغترّ بكثير من آراء هذا المرمرز واشباهه ومؤيديه ومقرّضيه فنقول الحسين عليه السلام لا يخلو امره فى نظر هذا الرجل امّا ان يعتبره اماما مفترض الطاعة او يعتبره شخصية حرّة تحمل فى جوانبها روحا عزيزة عظيمة جدا فاذا اعتبره اماما مفترض الطاعة معصوما كما تقضى عليه عمّته وبزّته امتنع فى حقّه ان يقدم على امر لا يعرف حكمه فيه فان ذلك يتنافى مع مقام الفقاهة فضلا عن الأمامة واذا اعتبره شخصية حرّة عزيزة الجانب ابيّة الروح جاز أن ينسب اليه التغفيل والأشتباه الاّ ان الحسين (ع) حتى لو لم يعتبره اماما معصوما لم يشتبه عليه موقفه ذاك ولم يغفله احد ذلك هو ان الأمام لم يكن انسانا طارئا على محيطه حتى تتعمّى عليه الحقيقة بالظواهر المطلسة بل كان يعرف زمانه ومحيطه واهلهما معرفته لمجاوريه فى بلده الذى يعيش فيه منذ آباءه واجداده وقد مرّ عليه وهو رجل تامّ العيار ماواجهه ابوه من التموجات من اصحابه فضلا عن اعدائه حتى قضى فى محرابه ومالقيه اخوه بعد ابيه من تلك الأرواح المنافقة والنفوس المتفاوتة والروحيات المتوّجة والحركات المرموزة فكيف يغيب عنه كل هذا ويغترّ بما لا يغترّ به العاديون من الناس اشباه صاحب (شهيد جاويد) .

ولكنّ الذى الجأه الى منابذة يزيد عدّة دواعى (١) انّ يزيد يريد منه البيعة على كل حال ولا يغفله طرفة عين كما لا يتغافل عنه حتى لو بايع لانه يعتبره اعظم رقيب له فكيف يتغافل عنه ويرخى عليه ستار الأهمال (٢) انه اذا بايعه لزمه امّا الخضوع لما يقرّره وهو يعرف يزيد جيّدا وانه شاب نزق تربّى تربية نصرانيّة وعاش عيشة المترفين المسرفين ومن لازم خضوعه له تقريره لأعماله الجاهلة وهو عمل غير مشروع حتى من غيره اذا كان مسلما كما يريد الاسلام منه مرموقا بين المسلمين بعين الأكبار : وان اشكل علينا برضوخ غيره لهذا الخليفة العفن فان هذا الاشكال غير وارد لاستنامة

هؤلاء المعنيين حتى للأوغاد من الأمراء فضلا عن الخلفاء لضعف نفوسهم بل وهن عقائدهم فأن شريحا القاضي وهو قاضي العراق منذ زمن ابن الخطاب كان آلة مسخرة لعبيد الله بن زياد يستعمله في تخذير اعصاب الناس بالتزوير كما زوّر على مدحج في قضية هانئ بن عروة ونظيرها وما اكثر امثال شريح في الرواة والقضاة .

او انّه عليه السلام بعد بيعته له يثور عليه ولا شكّ ان ثورته عليه بعد بيعته له تعدّ غلطا من نواحي عديدة (منها) انه اذا كان من نظره القيام عليه فلم بايعه ووجّه الى نفسه مسؤلية الوفاء بالبيعة ،والقيام على يزيد من الأحرار امر مسلّم تقرء خاتمته من بدايته وتدرك خواتيمه من مباديه :الداعي(٣) ان معاوية الذي كان بايعه في صلحه مع الحسن مات فلم تبق له ايّة علاقة ببيعته لابن أبي سفيان وهذا دور جديد ان يحصل فيه ماقت لسيطرة آل ابي سفيان فهو اكثر ممّا كان يحصل زمن معاوية بالمأة مأة وبالفعل حصلت فجوة للقيام لم تكن زمن معاوية :وهو يعلم فضلا عن امامته ومقامها ان الثائر ضدّ الجور والداعي الى الحق لا يشترط فيه ان يعرف مصيره من قيامه وقد ثار من الأحرار من يعلم انه لا ينتصر على حكومة الوقت تهييجا للرأي العام عليها وهو عمل مشروع عقلا وشرعا وسياسة من الشخصيات التي لها حساب خاص في المجتمع فأحر بالحسين بن علىّ ان يكون في طليعة اولئك .

ولا شكّ ان بقائه مستنيما الى حكومة يزيد مذيب لشخصيّته الأجتماعية والشرعيّة فلا يعود يملك اسم الحسين الذي ملكه بعد مقتله ولاعشر معشار شخصيّته التي توفرت له بعد شهادته بل يعود كعبد الله الذي كان زمن ابيه مرشحا للخلافة الأسلامية كلّها ومن ضعف نفسه جاء يبايع رجل الحجاج بن يوسف لعبد الملك بن مروان ومثل هذا ايّة فائدة في

وجوده فالحسين بقتله كان منشأ آثار عظام ولو بقى خاضعا ذليلا لما ترتب على حياته اقلّ اثر ولكانت حياته عارا على الدين لاعزّا له وتشييدا لقواعده امّا موته وبطلان حياته فى هذا العالم المادىّ فقد كان من اعظم العوامل للأرهاصات التى تمخضت ولا تزال تتمخض باسم الدين وشخصية رجاله واكبار اهل الانظار للفدائيين له وهذه نقطة واضحة تعمّت على هذا المسكين على طول شقق كتابه ....)

(وامّا بالنسبة الى المقدمة الرابعة) وهى ان بقاء الشىء مجهولا بحكم الجهل به لا يجوز الحكم عليه بنفى ولا اثبات لان كلا من الحكمين تخرّص محض مدفوع امّا عن ميل العاطفة فى الأثبات او عن الأستبعاد المحض فى النفى فان ثانى الرجلين من اولئك القشريين الذين يجعلون الدين محورا لتمسخرهم بكلام يسخر منه انصافا فى كل مجال لا يفهمون منه سببا ولا له علّة ظاهرة فيكيلون للدين كلّه ولجميع اهله السباب بمكاييل عظيمة من الهزء والسخرية .

مثلا هذا الدكتور فى جملة من نطقه الذى يتفيهق فيه ليسخر من كتب الدعاء ويهزء بما يرد فى بعضها من ان تلاوتها تدّر الرزق مثلا كما يهزء بجملة من احكام الدين نظير ما يذكر فى مناسك الحجّ من لزوم امالة المنكب الأيسر للأنسان فى حالة الطواف الى جانب الكعبة فيعقب عليه بقوله ان المنكب الأيسر للأنسان اذا لم يتمايل الى الكعبة فهل ترى تسقط سفينة الفضاء عن مجراها (المصدر ص٦ ادفاع از اسلام) وهو لو ادرك مجال الموضوع الذى يتحدث عنه لما سخر منه ذلك لأن موضوعه الذى يتكلم فيه موضوع تعبّدى لا طبيعى ولا فلسفى عقلى ومع الأعتراف بالدين ومقاييسه لا يجوز التشكك فى فروعه الاّ من ناحية فقد ان المدرك او ضعفه .

امّا الدعاء فقد ورد فی الکتاب العزیز مکررا وبصراحة لا تعلل فیها فمن ذلك قوله تعالی اذا سئلك عبادی عنی فأنی قریب اجیب دعوة الداعی اذا دعانی (الآیة ١٨٦ البقرة) امنّ یجیب المضطرّ اذا دعاه ویکشف السوء (الآیة ٦٢ النمل) وقال ربکم ادعونی استجب لکم (الآیة ٦٠ غافر) الی غیر ذلك ممّا هو کثیر فی القرآن فضلا عن السنّة اذا فمدرك الدعاء ضروریّ بدیهی کمدرك الصلاة والزکوة ومتعلق الدعاء کما یکون صحة من سقم وفرجا فی شدّة یکون غنی من فقر فأیّ تعجب من انّ الدعاء یدر الرزق بعد الأعتراف بشریعة السماء وامّا مع انکارها والجحد لها فانکار الدعاء حینذاك شیء بسیط لا یحتاج الی جدل .

وامّا مسألة امالة المنکب الأیسر حالة الطواف الی الکعبة فهی شأن اخواتها من مثل لا صلاة الاّ بطهور ولا صلاة الاّ بفاتحة الکتاب الی غیر ذلك یجب علی المتعبد بالدین ان یتعبد بها وان لم یفهمها فأن کلیات الدین واصوله بعد ان تعقل لا یکون مجال للتشکك فی فروعه : وامّا انّ سفینة الفضاء لا تسقط عن مجراها اذا لم یمل الطائف بمنکبه الی جهة الکعبة فان سفینة الفضاء لا تسقط حتی اذا انکر الأنسان صانع العالم واصرّ علی المادّیة وحدها وکذلك اذا انکر ان الواحد نصف الأثنین فأن سفینة الفضاء لا تسقط ولا تتضعضع ولا یصیب مجراها ایّ خلل کما ان الدکتور لو انکرها لما اثرّ علیها اقلّ اثر ولما اثرّ ایضا علی موضوعیة الدعاء فی اطار الدین وکذلك الأمالة بالمنکب الأیسر نحو الکعبة ونظائر هذه المسائل ، والدکتور لو کان من اهل الفضیلة لما تعرض لهذه المطالب ولو نبت عن الذوق بعد ان یعترف بالدین ویعرف ان مدرکه واحد من الکتاب والسنّة والأجماع والعقل لا قواعد الهندسة والهیأة والفیزیاء والشیمیاء ولهذا الدکتور واضرابه من هذه الشطحات الشیء الکثیر وهز

دليل جهلهم بالمواضيع التى يتحدثون عنها .

(وامّا بالنسبة الى المقدمة الخامسة) وهى ان الحقيقة ابنة الواقع وطريق الواقع امّا حسّ شهودى او عقل غير مغلوب بالعاطفة والحقيقة واحدة وليست اثنتين ولا قديم فيها ولا جديد وليست محكومة ببداوة او بحضارة كما لاعبرة بحاكميتها او محكوميّتها فى الخارج فمفاد ذلك مفقود عند الرجلين ونظيرهما من اولئك الذين ترسّموا هذه الخطى .وللمتمال نسوق ماقاله الدكتور(فى رسالة فاطمة ص ٤١ و٤٣) ان المرءة الشرقية فى الجامعة شبه الاسلامية فى العصر الحاضر تحمل كل عناء وجهد من جرّاء السنن الدينية والطقوس المذهبية فهى محرومة من الدرس والثقافة ومن كافة حقوق الأنسان وامكانات الحريّة وهى لا تتجاوز ان تكون كماكنة غاسلة حتى انّه لا يذكر اسمها فى المجالس حذرا من العار ــ يقول ــ فالا اعلم كيف يمكن ان تكون المرءة مع نقصان عقلها ومحروميّتها من العلم والثقافة والفكر والتمدن مربية لنسل يحتضنه المستقبل فلابدّ ان يكون مقصودهم من تربيتها لاولادها تسمينهم بالأكل حتى ترشد ابدانهم لا تغذيتهم بالمعرفة حتى ترشد عقولهم :ويقول (ص٤٦ و٤٨ من الرسالة المذكورة) على المجارى الدارجة بين الشرقى والشرقية لابدّ وان نسمّى الرجل ظالما والمرءة مظلومة وانها الضعيفة الناقصة العقل المملوكة للزوج ــ ويقول عنهم ــ فى حرمانها من التعلم انهم يخافون اذا تعلّمت القراءة والكتابة ان تحملها نفسها على مكاتبة الأجانب غير المحارم ــ فقال على هذا ــ كان من اللازم ان يفقئو عينيها ايضا حتى لا تنظر الى الأجانب :هذا منطق الدكتور فى دفاعه عن المرءة وانتقاده للأسلام ولا شكّ ان تحامله هذا حقا قليلا وغلطا كثيرا وقد خلط فيه بين الغثّ والسمين والعارى عن الحقيقة وواجدها وبين دساتير الدين وعمل العوام وفى جوابه تعرض نكات .

(١) ان دساتير الدين الثابتة عن المشرّع لا يجوز ان تؤخذ الاّ عن مداركها ومداركها هي الكتاب والسنّة المعتبرة والأجماع والعقل وليس منها عمل العوام وعاداتهم ولا فهمهم لها ميزان واقعيّتها والمراد بالأجماع اجماع اهل العلم لا الهمج الرعاع ولا المميزين فلا يجوز لأنّ عاقل ان يستدلّ بعمل العوام على انه مأخوذ من الدين وانهم لم يعملوا ماعملوا الاّ عن تقريره وجميع نقود الرجلين المذكورين وامثالهما على الدين والمذهب مصدرها عمل العوام .

(٢) وامّا دساتير الدين فمأخذها ما اسلفناه من كتاب اللّه وسنة الرسول والأئمة حيث تعتبر وتتوفر فيها شرائط الحجية المدوّنة في البحث عن احبار الاحاد واجماع اهل العلم الكاشف عن نظر المعصوم والعقل غير المغلوب للأهواء والعواطف. امّا الكتاب فيقول في حق الحجاب للمرأة وغضّ البصر من المرأة والرجل كليهما (الآية ٣٠ و ٣١ من سورة النور) قل للمؤمنين يغضّوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهنّ ويحفظن فروجهنّ ولا يبدين زينتهنّ — حتى يقول — ولا يضربن بأرجلهنّ ليعلم ما يخفين من زينتهنّ : ويخاطب نساء النبيّ (في الآيات ٣٢ و ٣٣ و ٣٤ من سورة الأحزاب) يانساء النبيّ لستنّ كأحد من النساء ان اتقيتنّ فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن في بيوتكنّ ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى واقمن الصلاة وآتين الزكوة واطعن اللّه ورسوله — الى ان يقول — واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات اللّه والحكمة — الى ان يقول في الآية ٥٣ من هذه السورة — واذا سألتموهنّ متاعا فسألوهنّ من وراء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهنّ — الى ان يقول في الآية ٥٩ — ياايّها النبيّ قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهنّ من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن

فلا يؤذين .

فمجموع هذه الآيات صريح بأنه لا يجوز للرجل ان يتقصد النظر الى غير محرم وان يحفظ عورته وانه لا يجوز للمرأة ان تتقصد النظر كذلك الى غير محرم وان تحفظ عورتها وان يستر النساء زينتهنّ الاّ ما هو قهرىّ ظهوره نوعا كصحن الوجه والكفين والقدمين وان يضربن بخمرهن على صدورهن وان يكون مشيهنّ خاليا عن التصنع حتى لا تعلم رنّة الخلخال وغيره والملاك فى اصل التكليف بين نساء النبىّ وغيرهن من المؤمنات واحد وان كانت نساء النبىّ بانتسابها له يلزمها ان تتصوّن اكثر فقد حرّم القرآن خضوع المرأة بالقول للأجنبى لان ذلك يقود ريبة الرجل بها فأن مرض الشهوة دفين فى قلب كل رجل على الأخصّ الشاب من الرجال كما حرّم عليهن التبرج والشخوص الى المسارح والمجامع العامّة وما هو مظنّة التفرج او التهتك واوجب عليهن دراسة القرآن الجامع لكل فضيلة المحذر عن كل رذيلة ومن هنا يعلم ان القرآن لم يجمّد وجود المرأة بل الزمها التعلّم بالعلم النافع لها وهى الآداب الفاضلة والأخلاق الشريفة والمعارف المثمرة وان تدير مملكة بيتها التى تتسّع بمديد عمرها على ضوء هذه المعارف وهذا مطلب تعترف بلزومه الفطرة والعقول السليمة ولا مساغ للتجاهل فيه والتجافى عنه .

وامّا التهتك الذى يدعو اليه الدكتور وامثاله فهو دعوة الى اشاعة الفحشاء والمنكر وايقاع مجامع الشابات والشبّان فى قلق مستمرّ وفساد مستشرى وقول — ثم ماذا — كما يجوز ان تلوكه اشداق هؤلاء المستهترين فسى مقابل العفّة والناموس تلوكه ايضا فى كل مقام ومورد بلا استثناء حيث تدعو بلسان الحرية الى الفوضى وبلسان التحرّر الى التفلّت على كل قانون واذا وصلت القضايا الى هذه الحدود خرج المجتمع الأنسانى الى

صحراء الوحش الهامل ولا كلام لنا معه حينذاك .

(٣) وامّا ما يذكره عن الدين بأنه يسم المرءة بنقصان العقل فأن ذلك ليس شتما من الدين للمرءة حاشا وانما هو تعبير عن موضوع يعترف به العيان وخارج الطبيعة فان نوعية المرءة على طول القرون لم تستطع ان تواكب نوعية الرجل فى آراءه وافكاره ولا ادلّ على ذلك من مقايسة النوعين فى اجدّ ادوار الحضارة واكثرها تحريرا للمرءة فهل تساوت النوعيّتان فى الانتاج الفكرى كمّا وكيفا ـ لا ـ ولا تتساوى الى الابد وبعد فالدين قد عزّز مقام المرءة الى حدّ انها اذا وضعت طفلها وابت ارضاعه لا تكلّف به لان ذلك لازم للأب فلو طلبت عليه اجرا جاز لها ذلك وبالنهاية فالحقيقة الثابتة هو لزوم صيانة المرءة لصالحها وصالح اهلها وصالح زوجها وصالح اولادها وصالح بيتها فان المرءة المفلتة تتأتّى عنها كل حزازة كالشاب المفلت وهذه الحقيقة لا ينكرها ذو عقل وذو تجربة نعم هذه الحقيقة التى لا يمترى فى واقعيتها اثنان من الوجهة المنطقية اصبحت محكومة فى الخارج بحيث اصبح كلّ الناس عليها ومشى الجميع على نقيضها .

(وامّا بالنسبة الى المقدمة السادسة) وهى ان للمعنويات عالما و للماديات عالما آخر فلا يجوز الأزراء بالاولى لأنّها لا تولد مادّة ولا بالثانية لأنّها تفقد روعة الروحانية بل لكل عالم منهما خصائص وميزان لا يرتبط بعض منها ببعض فاستنقاص هواة كل عالم منهما لهواة العالم الآخر بعد هذرا وتجاوزا عن حريم المنطق ،وقد اسف الدكتور فى هذا الباب اسفافا يدلّ على عدم تدبره هو واشباهه لمفاهيم العالم وطبقات بنى آدم مثلا هو يستعرض الشعر ويستشهد على ذمّه وذم المتلبس به بقوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انّهم فى كل واد يهيمون وانّهم يقولون مالا يفعلون ثم يجئ منتقدا للأدوار الاسلامية التى استقبلت الشعر و

الشاعر حتى كثر فيها الشعر والشاعر بصورة مدهشة بما يلاقيان من تجليل وتبجيل ويرى ان هذا النوع من الثقافة عامية صرفة لاتحاد هما في النتيجة وهي عدم استفادة الدنيا وابنائها من ذلك شيئا ويعطف بذكر الفقهاء ويقول مستهزء ان فضلاء المملكة بعد بحث دام قريبا من ثلاثين سنة صوّبوا ان كلمة زليخا ليست بفارسية فهل ترى ان العروة الوثقى ومستمسك العروة البالغ اثنى عشر مجلدا وآلافا من الكتب الاخرى الصادرة عن افاضل الحوزة العلمية من ذاك الرديف (كامة زليخا) راجع لذلك رسالته المسمّاة مسؤلية التشيع ص ٦ و ٧ و ٨ و ٢٣ وغيرها من الصفحات التي تعرض فيها لنسبة كلّ انحطاط للفقهاء والمجتهدين .

والرجل تظهر عليه العامية الصرفة في كل ما كتب وقال في الامور الحسّاسة امّا الشعر فشأنه في نفسه شأن الاشعة الحيوية المتنوعة الجامعة للغث والسمين والرخو والرصين وما فيه ضرر وفيه نفع وما يذم عليه صاحبه وما يمدح عليه ويحمد ولا شك ان القرآن وهكذا جامعة العقول انما ذمّت اولئك الذين مدّوا السنتهم في قلب الاعراض وهجو الناس والتعرض لنواميسهم او تحسين القبائح كالخمر وشربها واللهو ومزاولته والقمار وممارسته وما الى ذلك من اهداف تضليلية وليس هذا التهجين منوطا بمثل هذا النوع من الشعر، قالته بل يعمّ كل مسفّ مضلّ خبيث من محرّر جريدة او مجلّة او مؤلف كتاب يترسم فيه تلك الخطط ويحبّذ فيه فعل المنكرات وليس ما اشير اليه اضرّ على المجتمع من اضاليل الراديو والتلفزيون والصفحات الغنائية ومسارح التآترات والسينما آت والملاعب والمسابح التي يشيدها المتجددون ويدعون النشأ اليها ليخلصوهم من ورطة الصلاة وتزمتها والحجاب وأسره والفقه ودراسته حتى ان هذا الدكتور يقول ان الفقه لا فائدة فيه اليوم لانخزال المجتمع عنه فمزاولته تضييع للوقت وقتل له ،

امّا الشعر الكافل للحقائق وسردها والعظات وبثّها والنكات العلمية ودرسها خصوصا اذا كان رصينا فى صياغته متينا فى سبكه اخّاذا فى روعته ضخما فى مادته جزلا فى محتواه فهو من اهمّ الوسائل الثقافية التى تكون لأحقاق الحقّ وابطال الباطل وتشهير الحقيقة وتسييرها بين الناس فان العواطف البشرية تعود مسحورة امام القول الممتع والحقائق المسبوكة والمعارف الثمينة اذا برزت بقوالب جالبة وصور اخّاذة وامّا الفقيه والمجتهد فهما وليدا موضوعية خالق العالم وناشر بنى آدم ومرسل الرسل ومكلف البشر فى كل حركة ومسكون يكونان عنهم فالذى يثبت التكليف والمكلف بالكسر والمكلف بالفتح يرى من الضرورىّ لحياة المكلفين وجود الفقهاء والمجتهدين بالشرط الوارد فى حديث المعصومين من تقارن العلم و العمل فيهم و رسوخ التقوى فى نفوسهم والذى ينفى عالم التكليف واشتقاته طبعا لا يعود يرى معنى للفقه والفقيه ولا للاجتهاد والمجتهد ولا شك ان تطويحك يارجل بالفقيه وفقهه دليل على انكارك لعالم ماوراء الطبيعة وما يلزمه والذى ينكر الأصل لامجال لأكثاره بالتحدث عمّا يتفرع عنه .

وامّا مع الاعتراف بكون البشر مكلّفا للّه فالاعتراف بالفقه يعد ضربة لازم له اذ لاحياة للمكلف فى اطار تكليفه بدون الفقه هذا والفقه معناه النظام البعيد عن التحيّز والافراط والتفريط فليس فى قانونه مافى قوانين الرأسماليين كما ليس فيه الأخذ بالمخنق الذى عليه الماركسية وحفدة الشيوعية وليس فيه ايضا منفذ للضلالة ومسرب للرذالة كما عليه التجدد فى خلاعياته ولاابالياته المائلة للاقطار القانصة لكل احد بلااستثناء كما ليس فيه استبداد واختناق فان الربّ الذى يقول انا هديناه النجدين امّا شاكرا واما كفورا والذى يقول لااكراه فى الدين قد تبيّن الرشد من الغىّ والذى يعقد الصالح مع الكافر ويهادن المسالم ويعطى الذمة لمن يريد ان يحيى

آمنا مأنونا صائنا ومصونا وحيث امر بقتل المشركين فلأنهم اداة جهل و تعدّى وترويج للمفاسد وصدّ عن السبيل القويم بما توءل بهم حدّة الملاكمة والمزاحمة للمؤمنين انّهم يريقون دم المؤمن ويضايقونه اشدّ المضايقة وابرز شاهد على ذلك فعلتهم الشنعاء بياسر وسمية وعمّار وبلال وغير هؤلاء و مضايقتهم للمؤمنين حتى شردوا بأعمارهم الى الحبشة ومع ذلك تبعوهم الى تلك الديار البعيدة ومضى الباقون الى المدينة صفر الايدى من اموالهم والاّ فالدين ليس اداة فتك وسفك وتهجّم واغارة ومصادرة وانما هو اداة تأديب وتثقيف وتعليم وترميم وكلما واجهه التاريخ من توحش الخوارج وتهوّر الامراء والولاة الفسدة وغارات القرامطة واغتيالات الاسماعيلية وهجمات الوهابية ورذالات مرتزقة الاستعمار باسم الدين فانّ الدين منه برئ يلعن اهله ويسمهم بانهم قطّاع طرق وسلاّبون وان تظاهروا بسيماء المؤمنين والمستضعفين وقليل من المطالعة في حالات نبي الاسلام المعيشية والاجتماعية والسياسية اوحالات امير المؤمنين علىّ تكفي في صدق الذى ذكرناه وعرضنا طرفا منه وارجئنا مفصله لمحلّه .

وامّا كون المجتمع نبذ الدين وراءه وسار خالعا لربق التكليف متحررا من كل عقيدة وعمل خاص ماشيا وراء كل ما تجئ به الحياة وايّاكان الجائى به فذلك لا يبطل الدين كما لا تقوض حقيقة الحقّ بحكومة الباطل عليه و لا يفسد الصواب باستيلاء الخطأ على محلّه او العدل باستيلاء الظلم على اهله وهذا من الضرورة بمكان ونظير الشعر الرصين في المعنى المتين والحاجة الى الفقه لحياة المكلفين البحث عن موارد اللغة والعلوم اللسانية فانّها ثقافة تقيم من اود الانسان وليست الفائدة للمجتمع منحصرة بما يولّد لهم المادة فقط فان المادة ان اقامت صلب الطبيعة لتستمرّ في وجودها فان المعنويات تغذى الحواسّ والمشاعر فتجئ بها أنسية غير وحشيّة

ومهذّبة غير جافّة ولا فظّة ومعلّمة غير جاهلة ومرنة غير متجهمة ومن اجل هذه الميزات شيدت المدارس وقررت الدروس واستخدم المدرسون ،وها انت يارجل يدّعي لك انك دكتور في معرفة الاجتماع و درس اديانه و المحاكمة في تاريخه فهل لما تخصصت له فائدة لسادة الناس وشهواتها اذا فلم عطّلت نفسك سنين طوالا ولم تعطّل نفسك فعلا بالانتقاد لما عليه ناس الشرق من دين ومذهب واتخاذ فهل لك اجر مادّي على هذه الهيضات التي تهيجها بين الناس في عقايدهم وفروع دينهم لعملهم سواء فيها غشّها في نظرك وسمينها عندك ٠

هذا هو الدكتور يقول في رسالته الآنفة الذكر ان عظام الروحيين لا يملكون من مهمّة في الحياة الاّ ايديا تأخذ الأموال وتقبّل بالأفواه فيا قاتل الله المساكين في عقولهم امّا اخذهم للمال فهو عند متورعيهم بيت مال للضعيف و العاجز والأرملة والمسكين وكافة الشؤن العامة فكم شيّدت من هذا المال مساجد ومدارس ومستشفيات ودور ايتام واشترى بها مساكن للعجزة وامّن بها وضع منهار واقيم بها صلب لا وسيلة له غيرها ولم لا تذكر الاموال التي تصرفها الحكومات في كل باطل مع انها اموال النـاس و نتيجة كدّهم كما لم تذكر الايدي التي تقبّل وهي قذرة بالظلم والمعصية والانحراف ٠

ثم ليت شعري اذا لم يكن هؤلاء الروحيّون مصلحين في مجامع البشرية فمن ترى يكون المصلح أهم الحاكمون المتصرفون في ابشار النـاس و اشعارهم بالقهر عليهم والرغم لهم ام المتمولون المحتكرون ام اساتذة الجامعات الذين لم ينتجوا متورعا في عمله معتدلا في سيره محسنا في سلوكه رؤفا بالناس حاميا لهم محاميا عنهم وانت فيما تدّعيه من نبوّة اصلاحية جئت بها من الغرب لتبثّها في الشرق ماذا كان عنك غير

التهريج واثارة الفتن وشتم الناس والاعابة عليهم فلست انت وهكذا كلّ فحّاش بأرقى من هؤلاء الطرقيّين الذين يكيلون لكل احد مكاييل من السب والشتم من غير داع معقول سوى ارضاء احقادهم التى يحملونها على الناس بلا داع معقول .

وامّا غير المتورعين من المنتسبين للدين فشأنهم شأن غيرهم من كل طائفة فيها غثّ وسمين ومحق ومبطل وصريح ومدلّس وليس امر هؤلاء فى العالم منوطا بأحد الاّ بالمجتمع الذكىّ الذى يميّز الغثّ فينبذه والسمين فيأخذ به مضافا الى ان هؤلاء لا يعدمون الناصر فى مجامع الساسة و العوامّ لأنهم خير آلة للمشعوذين الذين يريدون ان يركبوا اكتاف البسطاء وقد تحدثنا عن شريح فيما سبق ولم يكن شريح بدعا فى دوره فان قماشه كثير منتشر واليوم اخوامس فى حاجة ولاته الى امثال هؤلاء الباعة للضمائر المرتزقة من ملابسة الكبائر .

(وامّا بالنسبة الى المقدمة السابعة) وهى ان الحاكمية والمحكومية العلمية وراء الحاكمية والمحكومية فى الخارج من طريق اعمال النفوذ و القدرة فربّ حق منكسر فى الخارج بين الناس وربّ باطل منتصر فيه بينهم فقد تبنّى الدكتور واضرابه هذا الغلط فى هذه المقدمة تبنيا مدهشا ولم يتجل لأعينهم الاّ ظاهرة الانتصار فى الحاكمين من اىّ سنخ كانوا وفى المجارى الدنيوية من اىّ لون كانت شأن السوقية والطرقية الذين يدينون بظاهرة الوقت فى العادات والاتخاذات ويعتركون عليها فتراهم فى السوانح التى تنفرج امام الدين يحيّون به وبأهله وينهالون على مناوئيه بجميع ما اوتوا من قدرة وبالعكس تراهم فى زمن المضايقات له ولأهله يبارزونه ويستهزؤن بالجميع كلّ ذلك لانهم لا يتعقلون ماذا يفعلون و نوع الشرقيين يعيشون على هذه الظاهرة المنحطة ولو تعقّل المطلب منهم

متعقل اغذّ به التملق والاستخذاء الى درجة السقوط والامتهان وهذه الروحيات المهلهلة هى التى جعلت من الشرق و الشرقيين بلادا وعبادا منغمسين فى المشكلات والمحرمّيات والانحرافات فى عموم الطبقات فياسؤتاه وامّا الغرب فانه وان تفسخت اخلاقه الشهويّة الاّ انه حافظ على وقاره وحاكميته واجراء العدالة والحرية فيما بين افراده بمقياس يعتدّ به وذلك لانه ادرك السرّ فى تعاليه فحفظ هذا السرّ وامّا الشرقىّ فانه امعن فى جهله وكثرت فى روحياته العلل و الامراض من كل جهة فالتدليس والتملق والتذبذب واليأس فى مقام الاتكال على النفس من اهمّ خصائصه بلا ميز لطبقة فيه عن طبقة ولا لمحصّل على عاطل او شيخ طريقة على تابع او روحى على عامّى وبما ان الشرق منذ سابقه هو مهد الديانات وقد عرفت روحيات اهله ترى الأديان فيه متضاربة يقتل بعضهم بعضا على حساب المذهب فى حال ان البحوث العلمية على الأخصّ ما ارتبط منها بمبدء القدس والطهارة والنزاهة وهو الله سبحانه لا يجوز ان تكون مثار فتن واراقة دماء انّما هو المدّعى بين السلب و الايجاب والطرد والتركيز فما اقرّه العلم قرّ وما نفاه انتفى وايّ ربط لهذه المطالب بالعداوات تزرع فى قرارات النفوس والحروب تشنّ والدماء ترخص ماذاك الاّ الجهل الفاضح فياللّه ولهذا الشرق البائس بجميع من فيه عميل استعمار كان ام مخلصا فى عمل .

ولا شك ان النفوس التى تصطدم فيها هذه المتناقضات نفوس جاهلة ساقطة لا يجوز ان تتخذ ميزانا لحقيّة ما اقبلت عليه ولا لبطلان ما ادبرت عنه وهذا الدكتور وكثير كانوا قبله او عاصروهُ يحملون هذه الروح المتسفلة فابن حجر العسقلانى عندما يترجم لمعاوية تراه يتبختر فى ذكره لانه حكم اربعين سنة بين كونه اميرا وخليفة ويراه آخر نظير هذا القشرى انه

هو رابع الخلفاء الراشدين لان حكومة علىّ لم تطل اولا واحتفت بالاحداث الداخلية ثانيا وعلى مثل هذه الروح ينطوى الدكتور غافلين هؤلاء جميعا ان يوما من حكومة قدّيس نزيه صاحب ضمير مثل علىّ (ع) لا يقارن بألف سنة من حكومة معاوية ونظير معاوية فان حكومة علىّ معناها حكومة انسان عالم فاضل عادل مثالى يراعى فى حكومته موازين الحقّ ولا تأخذه فى ذلك لومة لائم وقد برهن العيان عن كل ذلك فيه وحكومة معاوية ونظراءه حكومة ارهاب ورشوة وتختّل واستبداد ورغائب نفسية واهواء شخصية وعلى حساب الدكتور وامثاله فان حكومة چنگيز و تيمور فى الأقدمين وهتلر وموسولينى و لنين فى المتأخرين اهم واعظم من حكومة الخلفاء الراشدين فضلا عمّن حكم بعدهم .

وما صغّر عليا وآل على فى نظر الدكتور ومن هو على مشربه الاّ قصر زمن حاكميّتهم و تشوّش الاوضاع عليهم من اناس عضّوا الانامل حسرة حين لم يصيخوا لهم فانفسح المجال من اجل ذلك لزياد وعبيد اللّه بن زياد و للحجاج وامثال الحجاج فأناموهم الى الارض ذلة وهوانا يعبثون بهم عبث الصبيان بالاكر وتصور هذا الظلم الأسود فضلا عن معاينته هو الذى جعلهم يحترمون شبح الحجاج عندما يعترض فى اذهانهم فضلا عن مشاهدته واقعا وللدكتور وامثاله شطحات من هذا القبيل لا تعدّ ولا تحصى (راجع لذلك ماذكره ص ٢٠ و ٢١ من رسالة مسؤلية التشيع وشتاتا كثيرا من رسائله ــ امامت ــ متهيم ــ مسؤليت شيعه بودن) تجد الرجل قد شحذ مديته لذبح الحقّ لأنه لم يتوفق فى مباراته للباطل بين الناس وكثير اولئك الذين تدرعوا بشعار الحقّ حتى اجهزوا عليه ضع يدك اليوم على الممالك الاسلامية فى الشرق الاوسط بل غيره تجد حقيقة ماقلناه ملموسا بالعين واليد من جميع ولاته وحماته كما يقولون هناك تسمع فى المظاهرات

والشعارات شتم الاستعمار لكنك تلمسه سارى المفعول فى تلك الألسنة نفسها فالمعركة اذا معركة صاغة ـ كما يقول المثل ـ وليس فى البين شئ الا الاستعمار وحده .

(وامّا بالنسبة الى المقدمة الثامنة) وهى ان ثمرة البحث العلمى تحقيق الموضوع بماله من احكام تترتب عليه بحكم موازين العلم ولاربط لذلك بانه ذو اثر مباشر فى الخارج او فاقد له فالدكتور فيها نظير غيره ممّن لا يعرفون سوى المادة الملموسة التى تعود على صاحبها بنفع محسوس ولو تدبر هو وغيره لعلم ان كافة قضايا المنطق فرضيات عقلية يحوس خلالها العقل ثم تطبّق على الخارج امّا بنفسها او بآثارها وليست هذه الفرضيات مختصة بالشيعة حيث يقولون لو حكم علىّ واضراب علىّ هذا الكون لتغيّر وجه التاريخ ومسير الأحياء والدكتور وغيره يسخر منهم بأن قضية (لو) فرضية لا ننتفع منها بشئ فهلمّوا الى ما ننتفع به ودعوا هذه الفرضيات جانبا وهو فى عين استهزاءه بهذا البحث يؤمن بفرضيات لابلاس وداروين ونظيرهما من اولى الفرضيات العلمية فى حال ان جملة من فرضيات هؤلاء تعدّ من جملة المهازل ولا تثمر اقلّ شئ وحدّ الأقل ممّا يحصل فى فرضية حكومة علىّ تنبيه اذهان الحاضرين والآتين الى بذل توجههم وجهودهم حتى لا يحكمهم غير عالم عادل بطل شجاع لا تأخذه فى الحقّ لومة لائم فان الحكومات والقوى تطيح وتنهض نتيجة مصادمة الافراد لها ورضاهم بها ولذلك ترى الحاكمين يسعون السعى كلّه فى اقناع الناس بشتّى الوسائل من حقّ وباطل وبرهان وخداع وقد اسلفنا البحث عن جهة استعراض الشيعة حتّى بعد مرور اربعة عشر قرنا لبحث الامامة وبيان من هو الا حقّ بالخلافة كما اسلفنا جهة نقص الدكتور وغيره فى استنكارهم لتناول هذا الموضوع بعد ان لم يكن علىّ فى الوجود ولاغير علىّ فراجع

ما كتبناه فى اوائل هذا الموضوع .

(وامّا بالنسبة الى المقدمة التاسعة) وهى ان انكار اىّ موضوع يفرض يعود فى غنى عن الاسهاب فى فروعه وابطالها فان الفرع من نتائج الأصل والذى ينفى الأصل يعود غنيا عن تحمّل الكلفة فى ابطال فروعه ولا يستفاد من الدكتور ومن قبله استاذه من تذبذبهما فى بحوثهما الاّ انهما لا يدينان بما وراء الطبيعة وانما يتجولان فى بحوث الاسلام و التشيع ليعمّيا على مجتمعهما الذى يعيشان فيه مرامهما المتأصل فى قلبهما ودونك مصاديق لذلك فقد قال الدكتور فى رسالته (مسؤليت شيعه بودن ص ٤ أو ٥) بالنسبة الى ماذكره من قوله تعالى (سورة فصلّت الآيات ١٩ او ٢٠ و ٢١ و ٢٢) ويوم يحشر اعداء اللّه الى النار فهم يوزعون ، حتى اذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ،وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا اللّه الذى انطق كلّ شىء وهو خلقكم اوّل مرّة واليه ترجعون ، وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم ان اللّه لا يعلم كثيرا ممّا تعملون) .

يقول الدكتور تعليقا على هذه الآيات ان علم العصر اثبت محاليّة نطق الأعضاء وعليه حدّ الأقل مؤاخذتان (الاولى) انه ان كان يعترف بخالق العالم صانع الكائنات لزمه ان يعترف بوقوع كل ما امكن عقلا ودلّ على وقوعه ماثبت من السمع ولا سمع اعلا ثبوتا من القرآن الكريم وهذه الآية نظير اخواتها الكثيرات الناصّة على نطق الجوارح والاعضاء يوم القيامة و شهادتها على صاحبها بما فعل (الثانية) انه اذا كان يلحد باللّه فاشكاله على هذه الآية شىء زائد وليت شعرى اذا كان يتبنّى الاسلام فما معنى هذه الآية عنده وهى بصراحتها تأبى كل تأويل وليس امكان النطق

عقلا مقصورا على الجوارح الحيّة للانسان الحيّ بل هو سار حتى على الهواء والماء لانه من ذاته لا يعاند النطق اذا اراده به من هو قادر على خلق جهاز للنطق فيه وليس جهاز النطق مختصا بما نألفه من اللسان واوتاره فان ذلك فرع منه ونحن ان عرفنا الطبيعة وحكمنا عليها فان ذلك مأخوذ عمّا بعد الخلقة ولو كانت بلون آخر لكان من الاحكام غير ما عرفناه والفناه .

و يقول الدكتور ايضا (في كتابه اسلام شناسى فصل شناخت پيغمبر) ان نبيّ الاسلام انّما صار نبيّا نتيجة لعلوّ فكره و وقّادية ذهنه ونبوغه وانه لا ربط له بالغيب حتى يؤيّد من ناحيته ولا شكّ ان هذا الكلام لا يصدر الاّ من كافر بنبوة محمّد اذ لا معنى للأقرار بنبوة من لم يكلف بنشر رسالة الغيب وهو جدّ متضح فمحمّد عند الرجل صاحب نبوءة كالمتنبأين من السياسيين ،ويقول ايضا في كتابه (اسلام شناسى ص١٦٤) ان داروين ليس مخالفا للمذهب وانّما هو مخالف للمنتسبين للمذهب والمنتسبون هم الذين بارزوه و وسموه بسمة الكفر والاّ فهو من اعظم المذهبيّين فى القرون الأخيرة) ولا شكّ ان اصول داروين التى شرحناها وكتبنا عليها جزءً واسعا باستقلاله من كتابنا نتائج الفكر اصول فضلا عن كونها غلطا فى نفسها وعدم انتاجها وانقطاعها مخالفة لصريح الأديان والكتب السماوية التى تنسب كل شيء فى الكون الى اللّه وحده وانه الخالق المستقل وانه هو المغيّر و المبدل ما اراده يكون ومالا يريده لا يحصل وان كل تكوين فهومن نتائج قضاءه وقدره ومع هذا فكيف تتفق نظريات داروين من اصول النشوء والنماء و تنازع البقاء وانتخاب الأصلح وان كل ذلك من تفاعل الطبيعة نفسها وكيف يقال لداروين انه من اهل المذهب فان المذهب اصطلاح فى الدين لا فى المذهب بمعناه اللغوى وهو المسلك و المشرب و الحنق

ان هذا دجل غريب وتدليس من انسان مرموز يريد ان يغطش على كفره بالخداع والمكر و يحاول من ذلك اخراج الناس من عقائدهم بكل لغة تثمر له ذلك .

ويقول ايضا فى كتابه (اسلام شناسى ص ٦٩) بصورة سؤال وجواب امّا السؤال فهو يقول لنفسه انت ترى التكامل امرا لازما حتى فى النبىّ وتعلم ان كل موجود فى حاجة الى التكامل فكيف كان نبىّ الاسلام محمّد يقول انا خاتم الانبياء واما الجواب فهو ان ما قاله نبىّ الاسلام من خاتميته للأنبياء لم يرد به ان ماقلته وجئت به يكفى البشر الى الأبد لكن الانسان من الآن فما بعد قادر من دون وساطة وحى او نبوّة جديدة ان يستمرّ فى الحياة وان يكمّل نفسه : ولا شكّ ان عبارته هذه فيها تدليسات كثيرة تطلع اعناق الكفر من كثير فى زواياها فمن ذلك كون الانسان المكلف متعبدا بعقله ورأيه لا بشريعة الغيب وهذا هو معنى ان الانسان قادر على ان يستمرّ فى حياته مكملا لنفسه بنفسه فانه لو اراد الكمال المادّى و العلوم الراجعة للمادّة وما يمتّ اليها ممّا لا ربط له بالغيب لما كان لذلك ربط بعدم خاتمية نبوّة نبىّ الاسلام فان الكمال المتنوع خارج اطار الغيب لا يرتبط برسالة السماء وبالدين والانبياء لكنه لا يقصد ذلك قطعا وانّما مقصوده ان نبىّ الاسلام جاء الى جيل ناقص فى ثقافته فعدّله طبق مقتضيات وقته والاوقات ليست كلها مندرجة ومندمجة فى زمن وجود النبىّ بل هى سيّالة والقرائح سيّالة مثلها اذا فكل وقت نبوّته قرائح اهله على حساب التكامل ومعنى ذلك ان حلال محمّد حلال ما دام محمّد لا الى يوم القيامة وحرامه حرام مادام هو لا الى الآخر ولا شكّ ان هذا كفر برسالة السماء واعتراف بان الانسان يدين بقريحة جيله ووقته طبقا لقانون التكامل فى الطبيعة وهذا هو ما يقوله الماديّون المنكرون لما وراء الطبيعة

بطور مطلق هذا مضافا الى ان تكاليف الاسلام خصوصا الرئيسى منها يعد من الحقائق الثابتة التى لا يتفاوت فيها زمان عن زمان فلاقديم فيها ولا جديد مثلا ايجاب الحجاب على المرءة وغضّها البصر انّما شرّع تحصينا للرجال و النساء معا من الاختلاطات غير المشروعة بكافة صورها سدّا لباب الفساد فى المجامع البشرية و منشأ الفساد والاختلاطات غير المشروعة هو وجود الشهوة الجنسية فى الطرفين وهذه الشهوة بحدّ ذاتها شيطان مارد فكيف لو اخلى الدرب امامه وفتحت الأبواب فى وجهه ولا يتفاوت فى هذا الملاك قديم ولاجديد فان الانسان دائما حيوان وضراوته قائمة بحيوانيّته الاّ اذا هفتت طبيعته بعجز وشيخوخة اذا فما معنى انقطاع زمن النبىّ و نبوّته وسير الزمان بعده بالتكامل فى مثل هذا التكليف فهل ترى معناه ان تكامل هذه الادوار ملزم بالتعرّى كما عليه قريحة هذه العصور واهلها لان المرءة فى ادوارها السابقة لم تكن تعرف لوازم التطرية والجمال والتصنّع اما حيث استكمل الجمال بزتّه واحكم الحسن دولته فمن الغلط اضاعة هذا الجمال واخفاء زينته واذا كان التكامل هذا معناه كان من لازمه القضاء على الحيثيات بالتلف وعلى الصلاح بالفساد و هذا التسفل وان روّجه كافة أهل العصر الاّ من عصم نفسه لكنه خروج عن اطار الكمال و التكامل وارتكاس فى النقصان و التوحش وانحطاط فى التمدن الصحيح ونظير ايجاب الحجاب على المرءة وغضّها البصر عن غير المحارم من الرجال فى تأصّله وعدم تفاوت الازمنة فيه حرمة الزنا والرشوة والكذب وما الى ذلك من الرجال من تكاليف فى الشريعة هذا فيما أدرك سببه وعلّته وامّا الامور التعبدية الصرفة التى خفيت اسرارها على المكلف بادئا واخيرا فهى ليست من ملاك التكامل حتّى يكون البشر نبىّ نفسه فيها .

ومن المؤاخذات الواردة على سنة التكامل التى يدين بها هذا الرجل

وامثاله فى كل شيء ان التكامل انّما يستطيع ان يمشّى نفسه فى الوجود حيث لا يكون قضاء ولا قدر او ما هو بمعناه وقد شاهدت سلاسل الانسان بأحداقها تموجا عارما على طول الاجيال فمرّة تتعالى واخرى تتسفّل حتى تفقد وجودها تقريبا فى كافة اشياعها فكم تعالى العلم فى دور و تنزل فى دور آخر وعمرت المملكة عمرانا مدهشا وتنزلت فى الخراب تنزلا مدهشا وتكاثر افرادها آونة وقربوا من الانقراض آونة اخرى وازدهرت حاكميتها بما اصبحت مضرب المثل وتسفلت ضعفا وذلة حتى عادت موطأ الاقدام ومذقة العابر والمستطرق وكل هذا خلاف سنة التكامل الطبيعى وهو من اهمّ البراهين على ان الطبيعة لا تملك فى بواطنها قوى تمشّيها الى الامام بعنوان التكامل حتى مع القول بنكران الصانع .

(وامّا بالنسبة الى المقدمة العاشرة) وهى انه لا يجوز التنديد بأصل اذا كان فى نفسه مسلّما لاجل الصاق بعض الحواشى به فان الملصقين من الجهلة حتما او المرموزين الذين يريدون الاطاحة به والرجلان الموما اليهما انما انتكؤا فى انتقاداتهم على التشيّع او الاسلام بصورة اوسع على الخزعبلات التى الصقها الجهلاء والناقصون بالتشيع والاسلام ولا ربط لما استشهدوا به الاّ على عامّيّة عوام الشيعة والمسلمين واين ذلك من التحامل على نفس التشيّع او الاسلام والدليل على ذلك مانسوقه عن الدكتور فانه فى (ص ٣٥ من رسالة متهيم) يقول مستهزئ فى محلة من بلدان الشيعة وفى يوم عاشوراء اقيم مجلس تعزية وكانت فى تلك المحلة فاحشة ذات علم يفزع اليها على الدوام فسقة ذلك المحلّ فاشتركت هذه الفاحشة فى المأتم المقام واخذت تتعاهد اطراف المطبخ الذى يطبخ فيه الطعام على روح سيّد الشهداء وضمنا تستمع الى ما يتلوه الذاكر من الظلم والجور والعطش الذى نزل بالحسين بن على و تقوم

بواجب اشعال نار القدور ففي الاثناء يغمر عينيها دخان الحطب غير المشتعل فتدمع عيناها بعد تمام هذا اليوم وماجرى فيه يراها حالم في المنام في احسن مكان واجلّ مكانة فيقول لها ما انت وهذه التشريفات ألست فلانة الفاحشة المعروفة فيكون الجواب منها انّها لمّا اوقفت في عرصة القيامة جائها الملائكة الغلاظ الشداد ليأخذوا بتلابيبها ويزجّوا بها الى النار لكنها من بعد هذه الشدّة وجدت رخاوة في هؤلاء الجلاّدين وتغيّر منطقهم في حقها واذا بشفيع يوم الجزاء جاء الى صحراء المحشر وخلّصها من هذه الورطة وعند ما اقبلت لتدخل من بعض ابواب الجنّة وقف في وجهها حرّاسها ومنعوها من الدخول اليها وانه كيف يمكن ان تدخل الجنة فاحشة معروفة بعمل الخنا لكن جائها مأمور في الخفاء وادخلها الى الجنّة من مدخل مختفي ودخلت الجنّة وهي على وجل وتلفّت ولمّا تحققت النظر وجدت جملة من الجهنميّين قد اجتمعوا في هذا المكان وشكّلوا لهم مجلسا جميلا فالاقطاعيون الانتهازيون والحجّاج المرابون والنافذون السفّاكون وخونة البلاد وباعة الاوطان ومن الى ذلك تقول الفاحشة المذكورة فسألت من الى طرفي وقلت له كيف حشرونا مع هذه الطوائف من شهيد صالح ومجاهد صدّيق وولىّ متعبّد ولم يسألوا منّا ما كان صدرعنّا في الدنيا فقال ان عدل اللّه لم يأت بنا الى هذا المكان لأننا لسنا من اهله ولكن الذى جاء بنا اليه شفاعة الحسين بن على فأخذ هذا الجمع المتعفن في دنياه يقصّ كل واحد منه على صاحبه ما كان سببا في نجاته : هكذا يترنم الدكتور في استهزاءه على الدين لا على المتعفنين ولا شكّ انه يعلم ان الدين والاسلام و التشيع برئ من اقلّ وصمة ولكن اراد هتكه بما الصقه به الدجّالون كما لا شكّ ان القصة من صنع خياله ولكن لها اشباه ونظائر توجد فيما بين المنتسبين للدين حاكها

لهم من اراد العيش بسهولة فى هذه الحياة .

(واما بالنسبة الى المقدمة الحادية عشر) وهى انه يجب على رائد الفضيلة ان يحافظ على الوئام الاجتماعى مهما امكن فأذا بان له خطأ فيما يرتكبه كل المجتمع او بعضه تقدّم الى نقده بلسان مرن مؤدب لا يولد اثارة فتن ولا تفسخا فى الهيئة الاجتماعية حتى انه بلباقة التعليم وحسن الارشاد وجميل الموعظة يفضى على ما ادركه من خرافة سائدة وجهل معمول به اما اذا جاءه بشدّة وحدّة اعطى لمجتمعاته ضد ماكان يتوخاه من صلاح وسداد وصار مبرّجا مولّد فتن ومفرّق جماعات ومثل هذا الانسان حكمه الطرد عن المجتمع فان الدكتور ومن عاصره او كان قبله يعتبر من اعاظم المهرجين الذين لا ترقد اعينهم الاّ متى خلقت هياجا وازعاجا وداعى ذلك امّا لأنهم ينطوون على ارواح مظلمة تبغض الوئام والسلام اولأنهم مأجورون على ذلك قد استخدمهم من وجد بلغته فى تحريك العواطف وازعاج المجتمعات .

ولولا ذلك لما كان النقد النزيه متقاضيا منهم اثارة فتنة فان النقد النزيه من اهدافه اعلاء افق الأذهان وترقية المجامع واشاعة العلم الصحيح بين الافراد لا الاكثار من السب و الشتم وتحريش بعض على بعض حتى بالغيلة وازهاق النفوس فقد عبث اتباع هذا الدكتور بحيثيات الناس ونواميسهم ودمائهم كل عيث و دونك قليلا ممّا كان يتبنّاه الدكتور فى نقده لتقف على لون من بذاءته فانه يقول فى رسالة (انتظار معترض ص ٣١) و رسالة (متهيم ص ٩١) فى حق علماء الشيعة او بالاحرى علماء الاسلام انّهم خنّاسون نفّاثون فى العقد سحرة مغوون مضلّون : ويقول فى رسالة (مسؤليت شيعة بودن ص ٨) محقّرا ومستهزئ بجميع الشعراء ان السلطان محمود الغزنوى ارتبط على معالفه ٤٥ الف رأس شاعر وسمّنها ونحن

ننزّه القلم عن ان نجيله فى حلبات كلامه الركيك وشتائمه القذرة .

(وامّا بالنسبة الى المقدمة الثانية عشر) وهى انه ربّما تكون فيما بين الناس عادات لا تمسّ العقيدة الصحيحة بشىء ولا تحدث خللا فى النظام ولا ربط لها بمجارى الفنّ و العلوم ومثل ذلك بعد التحدّى له والتصدى للبحث عنه من اضاعة الوقت فان هذا الرجل واضرابه يتخذون عادات العوام واتخاذاتهم نقاط نقد وتهريج على المذاهب والأديان ويعلنون للناس بأن الأديان هذا نتاجها والمذاهب هذه ثمرتها ولا شك ان ذلك يعد اثارة غبرة باعثها سوء الظن والحقد على الناس لا لداع يتصور سوى الجهل او الرمز .

الى هنا ينتهى الجزء الرابع من شرح
نهج البلاغة ويتلوه الجزء
الخامس ان شاء الله
على يد مؤلفه محمّد
ابن محمّد طه
الحويزى
الكرمى

* *

*

* (فهرست الجزء الرابع من البحوث) *

الصفحة	العنوان
١	كلامه فى القضاء و القدر
١٠	فى علل الأحكام
١١	فى تحقيق معنى الايمان
٣١	فى معنى الكفر
٣٣	فى الشك
٣٩	الصلاة
٤٠	الزكوة
٤١	الصيام و الحج
٤٥	الجهاد
٤٩	المعروف و المنكر
٥١	صلة الرحم
٥٢	القصاص
٥٤	اقامة الحدود
٥٧	منع المسكرات
٥٩	تحريم التلصص
٦٠	المنع عن الزنا
٦٢	حرمة اللواط
٦٣	اقامة الشهادة ،الكذب ،افشاء السلام
٦٤	الأمانة ، الطاعة ، المعاد
٩١	فى الكلام على الروح

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الصفحة	العنوان
٩٦	من يتصدى للحكم
١٠٦	اختلاف الفتاوى
١٠٧	من له ان يفتى
١٠٨	مصدر الفتوى
١٠٩	التخطئة والتصويب
١١٠	هل يجوز الاختلاف فى الفتوى
١١٢	النبيّ و القرآن
١١٧	عدّة من الفنون
١٢٠	الانسان بين الطاعة والمعصية
١٢٣	معارف القرآن
١٢٩	الاستقامة على الحقّ
١٣٣	الشريعة والبدعة
١٣٦	الظلم واقسامه
١٣٩	تناقض الانسان
١٤٤	معنى الاستغفار
١٤٧	مراتب انكار المنكر
١٥٢	العقل و الدين
١٦٩	واعظ هذا العصر
١٩٩	العقد النفسية
٢٣٧	الفهرست

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی